



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور - خنشلة-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية - تاريخ-



مطبوعة بيداغوجية موجهة لفائدة طلبة السنة الأولى ليسانس مسار تاريخ  
عام للسداسي الأول

محاضرات في مقياس : تاريخ الجزائر المعاصر 1

إعداد: د.بوترعة علي

السنة الجامعية 2019-2020

مقياس تاريخ الجزائر المعاصر 1 – سنة أولى علوم إنسانية  
حسب البرنامج المسطر من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

- 1 -الوضع العام في الجزائر قبيل الاحتلال
- 2 -الحملة الفرنسية على الجزائر 1830
- 3 -ظهور الزعامات الوطنية ودولة الأمير عبد القادر
- 4 -مقاومة الأمير عبد القادر
- 5 -مقاومة احمد باي
- 6 -الثورات الشعبية الأخرى خلال القرن التاسع عشر – المقراني، بوعمامة
- 7 -سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في الجزائر
- 8 -أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين إلى غاية 1919، سياسيا-اقتصاديا-اجتماعيا
- 9 -حركة الأمير خالد
- 10-دراسات الأحزاب السياسية والجمعيات الوطنية 1926-1939
- 11-نجم شمال إفريقيا
- 12- حزب الشعب
- 13- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
- 14- الحزب الشيوعي الجزائري
- 15- مشروع بلوم فيوليت
- 16- المؤتمر الإسلامي

لا زال مجال البحث في تاريخ الجزائر المعاصر مجالاً بكرًا خصبا رغم وجود عدة دراسات وابحاث وهي وان اماطت اللثام عن بعض الجوانب منه ،فانها لم تولي اهمية ودراسة مفردة وشاملة لعدة مواضيع ، وذلك ما يبرز غزارة وثراء تاريخ الجزائر وحركية المجتمع الجزائري عبر التاريخ.

وكان الهدف من هذا البحث هو تقديم محاضرات للطلبة في هذا المقياس وهو انتاج عمل يكشف عن مدى تاريخ الجزائر في العالم الاسلامي والعربي والافريقي خلال القرن التاسع عشر ، وليعلم الطلبة ان المستعمرين الفرنسيين قد بثو طيلة احتلالهم للجزائر بانه لم يكن لاهلها ماض سياسي ، حسب ما ذكره المؤرخون الجزائريون ( ابو القاسم سعد الله ، وغيره ...).

ان تاريخ الجزائر المعاصر اثبت وجوده في التاريخ العالمي ، وهذا ما اسال اقلام المؤرخون الجزائريون والعرب وحتى الاجانب خاصة الفرنسيون ، وكانت الكتابات الفرنسية لتاريخ الجزائر متحيزة للاستعمار الفرنسي ، وطمس حقائق الاستعمار المدمرة للكيان الجزائري محاولة طمس الشخصية الوطنية الجزائرية ومحو الهوية الوطنية الجزائرية العربية الاسلامية .

تتمثل خطة هذا البحث او المقياس المدرس ، الى سبع محاور اساسية كبرى مرتبطة بعدد الحصص والمحاضرات ، نتناول في المحور الاول : الوضع العام في الجزائر قبيل الاحتلال والتمثل في نهاية الوجود العثماني وسقوط الدولة العثمانية وما انجر عنه من تكالب على الجزائر من طرق القوى الاستعمارية ، والاضاع السياسية الداخلية والخارجية ، والعلاقات الجزائرية الاوروبية وخاصة مع فرنسا ، ثم بداية استعمال القوة من طرف فرنسا ضد الجزائر .

اما المحور الثاني فقد خصصناه للحملة الفرنسية على الجزائر 1830 ، من استغلال فرنسا لحادثة المروحة ، والتهرب من الديون لتسديدها ، رغم المراسلات التي بعثها الداوي حسين للحكومة العرنية انذاك ، نستخلص من هذه الحقائق التي ذكرناها أن هناك عدة أسباب حقيقية دفعت بفرنسا إلى شن هجوم على الجزائر و احتلالها ، و أنّ حادثة المروحة ما هي إلا ذريعة لمحاصرة الجزائر ، يظهر هذا بوضوح في تصرف القائد " كوليت" الذي أرسلته فرنسا على رأس قوة بحرية يوم 11 جوان 1827 لمطالبة الداوي بتقديم الاعتذارات إلى قنصل فرنسا بالجزائر على ظهر سفينة فرنسية، و يرفع العلم الفرنسي فوق حصون مدينة الجزائر، وعلى الأخص فوق قصر الداوي ، و في مقر البحرية تم توجيه التحية للعلم الفرنسي بمائة طلقة مدفعية جزائرية ، و قد أندر الضابط الفرنسي الداوي بأن عدم الاستجابة لهذه المطالب في ظرف 24 ساعة يعني إعلان الحرب على الجزائر ، و بالفعل رفض الداوي هذه الشروط المجحفة و المهينة ، و اعتبرها إذلالاً له و لبلده.

من الجانب الديني جاءت الحملة الفرنسية امتداداً للحروب الصليبية حيث كان الفرنسيون يهدفون إلى تنصير شمال إفريقيا بعد طرد المسلمين من الأندلس بل وبرروا عملهم هذا بإعادة المسيحية إلى إفريقيا ، بدعوى أن الدين الذي كان سائداً هناك ، كما تعاونت عدة جهات فرنسية فيما بينها لمحو الجذور العربية الإسلامية للشعب الجزائري ، و

التحكم في خيراته و إذلاله حتى يبقى خاضعا لهم إلى الأبد ، وقد أفصح عن هذا الاتجاه ملك فرنسا شارل العاشر بقوله: " إن التعويض الحاسم الذي أريد الحصول عليه وأنا أثار لشرف فرنسا أن يتحول بمعونة الله لصالح المسيحية" ، و نفس التعبير نجده في التقرير الذي رفعه وزير الحربية الفرنسية "كليترمون" إلى مجلس الوزراء الفرنسي يوم 14 أكتوبر 1827.

وتناول المحور الثالث : ظهور الزعامات الوطنية ودولة الامير عبد القادر الجزائري ، فكان ظهور المقاومة الشعبية ،دليلا للتشبع بالروح الدين الاسلامي ومبادئه السمحة ،وفرض الجهاد ضد العدو الصليبي ،ففهم الامير عبد القادر حقيقة الاستعمار الصليبي الى جانب مقاومة احمد باي كانت هذه المقاومات الشرارة الاولى لمواجهة العدو المحتل الذي اراد استغلال هذا الشعب بحجة انه متخلف وهمجي ، وامام عدم تكافؤ القوى العسكرية ادى الى سقوط المقاومة الشعبية ، رغم صمودها لعدة سنوات .

وعرجنا في المحور الرابع : على الثورات الشعبية الاخرى خلال القرن التاسع عشر ، تمثلت في ثورة المقراني ، وثورة الشيخ بوعمامة ، فكما قلنا سابقا كلها تنبع من رحم الشعب الجزائري الذي يابى السيطرة ويرفض الاستعمار ،انطلاقا من المبادئ الاسلامية ،التي كانت الزوايا الدينية هي منبع هذه الافكار ، فرغم نجاحها في مواجهة استعمار قوي ، الا انها سقطت في الاخير سواء عن طريق عدم تكافؤ العسكري والحربي ، او نتيجة الخيانة الداخلية من طرف الاهالي ، كما حدث للشيخ بوعمامة مع قبيلته اولاد سيدي الشيخ .

اما المحور الخامس : سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة مع حلول سنة 1870 ، وتغيير نظام الادارة الفرنسية في الجزائر من عسكري يعتمد على قوة الجيش الى نظام مدني اصبحت فيه السلطة التشريعية في الجزائر بمقتضى دستور الجمهورية الفرنسية الثالثة تستند الى قرارات برلمانية مدنية ، شددت فرنسا قبضتها على الجزائر بهدف تحويلها الى مقاطعة فرنسية ، مما انجر عنه تشييع حركة الاستيطان وحركة التعمير بالجزائر وذلك عن طريق اصدارها لمجموعة من الإجراءات السياسية والقوانين الاقتصادية والتنظيمات الاجتماعية والثقافية التي كان لها الأثر الوخيم على المجتمع الجزائري وانطلاقا من ذلك:

فما هو مفهوم الحركة الاستعمارية؟ ثم ما هي أهم الإجراءات والقوانين أو التنظيمات التي اتخذتها فرنسا الاستعمارية على الصعيد الإداري والاقتصادي والثقافي الديني بهدف تشجيع الحركة الاستيطانية وتحويل الجزائر إلى مقاطعة فرنسية؟ وفي الأخير ما هي أهم انعكاساتها على المجتمع الجزائري.

اما المحور السادس : تناولنا فيه اوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين الى غاية 1919 ، من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية كما سنحاول في هذا المحور التطرق إلى أهم الحركات الإصلاحية (الجمعيات والنوادي الثقافية) والحركات السياسية والأحزاب السياسية، والوظائف الاجتماعية والسياسية (التنشئة الوطنية السياسية) والأفكار والبرامج السياسية، التصورات الدستورية المؤسساتية التي ساهمت فيما بعد في حكم الحياة السياسية بعد الاستقلال. والتي كان على راسها الامير خالد وحركته السياسية .

واخيرا جاء المحور السابع : ليتناول دراسات الاحزاب السياسية والجمعيات الوطنية ( 1926-1939)، ومن بينها حزب نجم شمال إفريقيا: وهو تيار وطني يسمى أيضا بالتيار الاستقلالي. كما يسميه البعض بالتيار اليساري الوطني

الثوري وقد ظهر هذا الحزب في سنة 1926، رغم اختلاف المؤرخين في تحديد تاريخ نشأته بالضبط. فمنهم من يعيده إلى سنة 1924 رابطا ذلك بالزيارة التي قام بها الأمير خالد إلى فرنسا والتي جمعتة بالعمال الجزائريين وانتهى ذلك بتأسيس الحزب.

اما حزب الشعب الجزائري فهو امتدادا لحزب النجم، وقد تأسس مباشرة بعد حل هذا الأخير في "نانتير" بضواحي باريس بزعامة مصالي الحاج، وحضور ثلاثة مائة (300) مناضل من حزب النجم وقد انتخب غداة هذا المؤتمر التأسيسي مصالي رئيسا للحزب الجديد وذلك يوم 11 مارس 1937 أي بعد حوالي شهر ونصف فقط من حل النجم، ولكن الحزب نقل نشاطه إلى الجزائر-ميدان المقاومة- بعد عودة مصالي إليها من فرنسا يوم 18 جوان 1937.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- مرور قرن كامل على احتلال الفرنسي للجزائر، فقد نظم الفرنسيون احتفالات ضخمة في الذكرى المئوية للاحتلال، استفزازا للأمة، وإظهارا للروح الصليبية الحاكمة التي يضمرونها للإسلام والمسلمين، حيث أن الفرنسيون قالوا: "إن احتفالنا اليوم ليس احتفالا بمرور مائة سنة على احتلالنا للجزائر. ولكنه احتفال بتشييع جنازة الإسلام فيها". ظهرت الجمعية لآحياء مقومات الشعب الجزائري المسلم .

بدأت فكرة الشيوعية بالتسرب إلى الجزائر منذ الحرب العالمية الأولى حيث عثر على منشورات الانضمام للحركة الشيوعية العالمية في منطقة القبائل وبعض المناطق الأخرى كما أن هناك عدة أمثلة تدل على التعاون الشيوعي الإسلامي في الجزائر على حد تعبير وورثام سنة 1922 حيث أن "بروليناريات" إفريقيا الشمالية قد أرسلت مندوبين إلى المؤتمر الذي انعقد في مدينة "تور" حيث انضموا إلى الحركة الشيوعية العالمية كما قام الحزب بنشاطات حثيثة في الجزائر لخلق حزب شيوعي جزائري، حيث بدأ حمل لتجنيد الجزائريين في صفوفه وكان من المجندين: حاج علي عبد القادر ومحمد الأكل، كما استعملوا أيضا المناشير والإعلانات إضافة إلى الصحافة لنشر أفكارهم بين الجزائريين غير أن الحزب الشيوعي لم يولد إلا بعد سنة 1935.

اما مشروع بلوم فيوليت جاء نتيجة كثرة الإضرابات التي واجهتها الجزائر ما بين 1935-1936م فعندما تسلمت الجبهة الشعبية الحكم في شهر جوان نشئ العمال الجزائريون عددا من الإضرابات في المعامل والمصانع والشركات التي يسيطر عليها كبار المعمرين بهدف تحقيق المساوات بينهم وبين زملائهم الفرنسيين في رفع الأجور. ففي 11 جوان 1936م إضطرب عمال سيدي موسى و13 من نفس الشهر ببئر توتة و15 في برج الكيفان حسين الداوي وبئر خادم وفي 16 حدث الإضطراب في شطاوالي كما شهدت لسنة 1935 العديد من الإضطرابات الخطيرة في كل من الجزائر ومستغانم قام بها عمال الموانئ إحتجاجا على البطالة وقد إشتراك فيها على الأقل 3000 شخص، كما حدث إضطراب خطير في سيدي بلعباس جرح فيه حوالي 40 شخصا وسطييف ووهران سيدي بلعباس جرح فيه حوالي 40 شخصا، وسطييف ووهران بسبب مشادات بين اليمينيين الشيوعيين وإشتراك فيها الجزائريين.

إن وفاة الأمير خالد حركت الروح الوطنية لدى الفئات الشعبية، فتعالت الأصوات منادية بضرورة توحيد الشعب الجزائري، و كان ابن باديس يعتقد أن مسالة تجديد القانون السياسي للجزائريين لا يجب أن يناقش من قبل طرف واحد، فهي مسالة تهم جميع الجزائريين، و من ذلك تكونت لديه فكرة عقد مؤتمر للنظر في مشروع بلوم فيوليت الذي

جاءت به الجبهة الشعبية، فقد كان المؤتمر الإسلامي الجزائري أول محاولة لتكوين جبهة سياسية تضم أبرز التيارات السياسية الموجودة فتعددت الآراء حول هذا المؤتمر.

بعد الانتقادات التي وجهها النجم إلى مؤسسي المؤتمر الإسلامي، قررت الحكومة الفرنسية اتخاذ إجراءات للقضاء على النجم وإنهاء وجوده القانوني، وكانت الإشاعة في أواخر عام 1936 تحدثت عن تطبيق الحكومة القانون الصادر في 10 جانفي 1936 بحق النجم، ويعطي هذا القانون رئيس الجمهورية وحده حق إعلان حل المنظمات التي تهدد وحدة البلاد و ذلك بموجب مرسوم يتخذ في مجلس الوزراء.

واختتمنا هذا البحث بقائمة موسعة من المصادر والمراجع باللغة العربية والاجنبية كما تم تدعيمه بمجموعة من الوثائق الارشيفية والاشكال والصور التوضيحية

## 1- الوضع العام في الجزائر قبيل الاحتلال

إن الأوضاع العامة للجزائر سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية تأثرت بشكل كبير بطبيعة و خصائص الحكم العثماني بها الذي استمر ما يزيد عن ثلاثة قرون من جهة ، و بشخصيات الحكام الأتراك من جهة أخرى ، حيث تميزت هذه الأوضاع بالاستقرار و الازدهار في بعض الأحيان و الاضطرابات و الانحطاط أحيانا أخرى . و في هذه المحاضرة عن الأوضاع العامة للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي سنتناول الفترة التي بدأت فيها الجزائر تأخذ منحرجا خطيرا بنهاية القرن 16 ، بعد أن كانت تتمتع بمكانة مرموقة و هيبه دولية ، مركزين على الفترة الأخيرة من حكم الدايات ( 1800-1830 ) ، و التي عرفت فيها

الجزائر تدهورا عاما طرأ على مجالات الحياة السياسية والعسكرية و الاقتصادية و الاجتماعية .

### أ- الأوضاع السياسية :

1- الأوضاع السياسية الداخلية : رغم أن عهد الدايات كان مليئا بالثورات و المؤامرات و لم تكن مدة حكمهم تستمر طويلا ، إلا أنه يمكن أن نستثني من ذلك الفترة التي حكم فيها الداوي محمد بن عثمان باشا في النصف الثاني من القرن 18 أي من سنة ( 1766 – 1791 ) ، حيث عرفت الجزائر في ظل حكمه استقرارا نسبيا و ذلك بالتعاون مع كل من الباي محمد الكبير و صالح باي قسنطينة في ادارة شؤون البلاد داخليا و خارجيا ، كما استطاع الداوي محمد بن عثمان باشا أن يتغلب على العجز الذي كانت تعاني منه الميزانية العامة للجزائر <sup>1</sup>.

و في مجمل الحديث عن الأوضاع السياسية الداخلية للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي يمكن القول أنها تميزت بعدم الاستقرار السياسي و الأمن ، حيث تواصلت الاضطرابات ، و التناحر على الحكم و الاستبداد ، و الاغتيالات و نشوب الفتن الأهلية و التمرد و العصيان من طرف الأهالي بسبب السياسة التي انتهجها الدايات بإرهاق الأهالي بالضرائب و الإتاوات ، علما أن التمرد و العصيان كان يواجهه الدايات بالقوة و سفك الدماء . يذكر أن السياسة

<sup>1</sup> - عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962 ، ط 1 ، بيروت ، دار العرب الاسلامي ، 1997، ص 230

الجبائية التركية المرتفعة طبقت عندما نقصت المغنم البحرية في السنوات الأخيرة من العهد التركي بالجزائر بسبب فقدانها السيطرة على البحر المتوسط .

و من بين التمرادات و الثورات على الحكم التركي تلك التي قام بها سكان العاصمة و القبائل المجاورة عام 1692 بعد اقدمهم على اشعال النيران في مرافق الميناء و بعض السفن الراسية به ، و حركة التمرد الواسعة التي قام بها كراغلة تلمسان في عهد الداى ابراهيم باشا كوجوك ، حيث سيطروا على المدينة و طردوا منها الحامية التركية ، كما حاولوا الاتصال بكراغلة عاصمة الجزائر للانضمام الى حركتهم ، لكن الداى تظن للأمر و قضى على تمردهم بالقوة ، بالإضافة إلى تمردات أخرى عرفتها مختلف مناطق الجزائر مثل ( القبائل الكبرى عام 1767 ، سكان البليدة- الحضنة- واحات الجنوب- الاوراس )<sup>2</sup>.

كما نذكر في هذا الصدد ثورة ابن الاحرش التي ظهرت ما بين 10 جوان إلى 10 جويلية 1804 ، حيث أعلن ابن الاحرش الجهاد للقضاء على سلطة بايلك الشرق ، و بعد سلسلة من الملاحقات تمكن الباى من وضع حد نهائي لثورته . يذكر بعض المؤرخين أن الثورة العارمة لابن الاحرش بالشرق الجزائري جاءت بتحريض من انجلترا ضد الحكم التركي ، و ذلك بعد الامتيازات الكبيرة التي قدمها الداى لفرنسا في الجزائر خاصة في ميدان استغلال المرجان بالقالة<sup>3</sup> . كما ظهرت حركات تمرد أخرى انتشرت في عدة مناطق من الجزائر لتشمل أوساط القبائل الجبلية والجهات الشرقية و الوسطى من البلاد.

## 2- الأوضاع السياسية الخارجية :

- على المستوى المغربي : كانت السياسة المغاربية متوترة في أكثر فترات تاريخ بلاد المغرب ، فقلما ما كانت العلاقات ودية أو حسنة أو على الأقل إدراك خطورة التحديات الغربية ، فمثلا مع تونس كانت الجزائر تعتبرها إقليما تابعا لها و تونس ترفض ذلك ، كما كانت لتونس أطماع في قسنطينة . و من جهته كان للمغرب أطماع قديمة في تلمسان ، كما كان ينظر للجزائر كخطر يهدده و يجب تفاديه حتى و ان اقتضى الأمر التحالف مع الغرب ، و قد ظهرت مؤامرات كثيرة بين البلدان المغاربية من أبرزها زحف تونس و المغرب و الأقصى و طرابلس متحالفين من تونس إلى قسنطينة عام 1702 ، و زحف المغرب على تلمسان و هكذا ظلت الحوادث مستمرة إلى أن بدأت التحالفات الأوروبية تنهياً لاقتسام ممتلكات ما يسمى بالرجل المريض<sup>4</sup>.
- على المستوى الأوروبي : أقامت الجزائر علاقات سياسية و تجارية مع عدة دول أوروبية ، حيث كان دافع الجزائر الحيلولة دون قيام أي تحالف أوروبي ضدها ، أما الدول الأوروبية فقد أجبرت على التقرب من الجزائر و تبادل التمثيل الدبلوماسي معها ، لحفظ مصالحها التجارية من القرصنة بتقديم الترضيات المالية لها، علما أن هذه العلاقات لم تخل من نزاعات و حروب بحرية بسبب الخلاف حول السيادة على البحر الأبيض المتوسط ، و فيما يلي فصل في علاقة الجزائر مع دول أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية :

<sup>2</sup>- نفسه ، ص 239

<sup>3</sup>- عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط 1 ، دار ريحانة ، الجزائر ، 2002 ، ص 290

<sup>4</sup>- صالح فركوس ، المختصر في تاريخ الجزائر ( من عهد الفينقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق.م - 1962 م ) ، ( ب.ط ) ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، ( ب.س.ط ) ، ص 278

- علاقتها مع بريطانيا : كان للجزائر علاقات ودية في غالب الأحيان مع بريطانيا ، فاستفادت الجزائر من التنافس الحاد بين بريطانيا و فرنسا ، تخللت تلك العلاقات معاهدات سلام بين الدولتين ، نصت على تنشيط التجارة بين البلدين .<sup>5</sup>
- كما أن بريطانيا كانت تبذل كل ما في وسعها لتتوتر العلاقات بين الجزائر و فرنسا ، حيث طلبت من داي الجزائر بعدما أرسلت له باخرتين محملتين بالهدايا أن يجعلها محل فرنسا ، خاصة فيما يتعلق باستثمار المؤسسات الفرنسية ، و قد استجابت لها الجزائر في سنة 1806 ، حيث سحبت الامتيازات من فرنسا و منحتها إياها إلى غاية 1816 ، التاريخ الذي شنت فيه بريطانيا حملتها على الجزائر .<sup>6</sup>
- لكن هذا لم يمنع بريطانيا من شن حملات عسكرية على الجزائر لإضعافها و إجبارها على التخلي عن سيادتها البحرية ، و من بين هذه الحملات نذكر : حملتها على مدينة الجزائر عامي 1660 ، و 1670 ، و حملة اكس ماوث 1816.
- علاقتها مع اسبانيا : تميزت بالتوتر في معظم فتراتهما بسبب احتلال اسبانيا للمرسى الكبير و وهران ، و الحملات المتكررة على المدن و الموانئ الجزائرية .<sup>7</sup>
- مع الولايات المتحدة الأمريكية : كانت الجزائر كعادتها السبابة في الاعتراف بأمریکا كدولة مستقلة عن بريطانيا عام 1776 ، كما منحتها مساعدات كثيرة ، لكن الاعتراف و المساعدات لم يمنع الجزائر من أن تفرض على أمريكا الإلتاوات التي كانت تفرض على كل الدول الأخرى المارة على البحر المتوسط ، و يبدو أن الكونغرس الأمريكي الذي اعتبر أن الجزائر بعيدة و أن علاقته بالبحر المتوسط قليلة ، فقرر أن لا يقدم الإتاوة ، و عليه أعلنت الجزائر على أمريكا حربا و أرسلت أسطولها إلى المحيط الأطلسي فأسر مجموعة من البواخر الأمريكية و قادها إلى السواحل الجزائرية ، مما جعل الكونغرس الأمريكي يرسل وفدا يفاوض و يلتمس المساعدة لدفع الإتاوة ، و تم التوقيع على معاهدة سلام بين الدولتين عام 1796 ، و بمقتضاها تدفع أمريكا 721 ألف دولار اسباني ( المعترف به في التعامل آنذاك ) ، هذا مقابل اطلاق سراح البواخر المحتجزة ، و كذلك تعترف أمريكا بدفع مبلغ 22 ألف دولار اسباني سنويا للجزائر .
- علاقتها مع فرنسا : عرفت العلاقات بين الجزائر و فرنسا تطورات متباينة ، من المودة و التعاون إلى التوتر و الحروب . بدأت العلاقات الأولى و الجيدة بين البلدين في عهد خير الدين و فرانسوا الأول بعد التوقيع على المعاهدة الثلاثية ( le Traité tripartite ) بين مبعوث خير الدين الذي حل بفرنسا بدعوة من ملكها و مبعوث السلطان العثماني و فرنسوا الأول عام 1535 ، حيث كانت فرنسا حريصة على اكتساب ود الجزائر و ذلك ابتداء من 1534 . و على اثر هذه المعاهدة توجه السفير الفرنسي الأول إلى الجزائر ( Jean de Laforet ) ثم عين قنصل فرنسي آخر سنة 1538 و كان أول قنصل أوروبي ، و قد تتابع المبعوثون الفرنسيون إلى الجزائر كقناصل أو كسفراء .<sup>8</sup>
- و بالتوازي مع بدء العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر و فرنسا ببادرة من هذه الأخيرة ، أخذت التجارة الفرنسية مع الجزائر طابعا قارا ، و ذلك بإنشاء فرنسا للمركز التجاري في مدينة القالة – كما أشرنا سابقا –

<sup>5</sup>- نفسه ، ص 286

<sup>6</sup>- جمال الدين سهيل ، ملامح من شخصية تاريخ الجزائر خلال القرن 11 و 17 م ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، المركز الجامعي غرداية ، العدد 13 ، 2011 ، ص 200

<sup>7</sup>- نفسه ، ص 247

<sup>8</sup>- نفس المرجع السابق ، عمار بحوش ، تاريخ الجزائر السياسي ، ص 356

ثم توترت العلاقة بين البلدين إثر الحملة الفرنسية على مدينتي الجزائر و شرشال عامي 1682- 1683 ، لتعود من جديد إلى طبيعتها في عهد الداوي محمد بن عثمان و حكومة الثورة الفرنسية 1789 التي بادرت الجزائر بالاعتراف بها ، كما قدمت لها مساعدات غذائية تمثلت في الدقيق ، القمح ، الشعير ، الحمص ، الفول و هذا بطلب صريح من حكومة فرنسا. في الوقت الذي كانت فيه الأنظمة الملكية الأوروبية تحاصر فرنسا سياسيا و اقتصاديا قصد القضاء على النظام الجمهوري الجديد.<sup>9</sup>

و في عام 1793 قرر داي الجزائر " حسن باشا " أن يعطي فرنسا قرضا خاصا لشراء المواد الغذائية من الجزائر قدره مليون فرنك ذهبي ، و أتبع في العام التالي ( 1794 ) قرضا آخر قدره مليونين فرنك ذهبي . و تجاوزت مساعدات الجزائر الغذائية لفرنسا إلى مساعدات عسكرية تمكنها من الوقوف في وجه أعدائها .

لكن في عهد الداوي مصطفى باشا توقفت المساعدات الجزائرية لفرنسا و ذلك بعد أن رفض هذا الداوي تقديم المعونة و الدعم اللذين طلبهما نابليون بونبارت ، بسبب الحملة التي شنها ضد مصر سنة 1798 ، و أكثر من ذلك وجه اندارا لفرنسا أن تسدد الديون التي عليها لجزائر بما أنها أصبحت قادرة على شن الحروب وحدها ، و إلا أعلن الحرب عليها ، و قد علل مصطفى باشا موقفه هذا بقوله " إن الدول المسيحية في أوروبا تدين بالولاء المعنوي للكنيسة و هي كذلك تهرع لمساعدتها كلما دعتها لذلك ، و بالمقابل فإن الدول الإسلامية حيثما وجدت يجب أن تكون هي أيضا مدينة بالولاء لخلافة الإسلامية ، و لأن مصر دولة إسلامية معتدى عليها من طرف دولة مسيحية فإن الواجب يفرض على حاكم دولة إسلامية أن يقف إلى جانبها و أن لا يبقي وسائله و امكانياته في حوزة المعتدي ."

و بعد انسحاب نابليون من مصر بعث برسالة إلى داي الجزائر مع أخيه " جيروم " يلتمس فيها من الداوي مصطفى باشا إعادة النظر في العلاقات الفرنسية الجزائرية ، و يعيد المساعدات التي كانت تقدمها الجزائر لفرنسا ، و تعهد نابليون بالوقوف إلى جانبه دبلوماسيا لمواجهة المتحالفين ضده في أوروبا ، و قد قبل داي الجزائر هذا العرض و عادت العلاقات إلى طبيعتها.<sup>10</sup>

لكن سرعان ما توترت العلاقات الجزائرية الفرنسية من جديد ، بسبب عدم تقديم قنصل نابليون ( ديبوا تانفيل ) ( Dubois Thainville ) الهدية التي اعتاد القناصل تقديمها له ، و حين طلب الباشا رسميا على أساس أنها شيء واجب ، رد عليه نافليون برسالة ساخطة هدد فيها بتحطيم الأسطول الجزائري ، و أنذر بأن فرنسا على عهده ليست هي فرنسا على عهد البوربون ، و كان نتيجة ذلك أن احتجزت الجزائر سفينتين فرنسيتين و ضربت أخرى في ميناء تونس من أحد الجزائريين .

كما أقدم الداوي أحمد باشا على سحب الامتيازات من فرنسا و منحها إلى منافستها بريطانيا عام 1806 إلى غاية 1816 أين أعادتها للمرة الثانية لفرنسا ، و بعدها جاءت أزمة ديون الجزائر على فرنسا و ما ترتب عنها من نزاع إلى احتلال . يجدر بالذكر أن عدد المعاهدات المنعقدة بين الجزائر و فرنسا كبير بلغ السبعين و هي معاهدات سلم و تجارة تم التوقيع عليها في سنوات مختلفة ( 1534 ، 1619 ، 1628 ، 1640 ، 1661 ، 1662 ، 1666 ... الخ ) . أكثر هذه

<sup>9</sup> - محمد مقصودة ، الكراغلة و السلطة في الجزائر خلال العهد العثماني ( 1519- 1830 ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في -- التاريخ الحديث و المعاصر ، قسم التاريخ و الآثار ، كلية العلوم الانسانية و الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، 2014-

<sup>10</sup> - مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية و هيبته العالمية قبل 1830 ، ط 2 ، الجزء الثاني ، شركة --- دار الأمة ، الجزائر ، 2007.

المعاهدات تخدم مصالح فرنسا . كما تنوعت المساعدات التي قدمتها الجزائر لفرنسا بين المساعدات العسكرية البحرية ، و المساعدات الدبلوماسية للثورة الفرنسية ، و المساعدات الاقتصادية و المالية للثورة .

غير أن أطماع فرنسا التوسعية كانت تحول دوما دون استقرار علاقتها السياسية مع الجزائر . و يرجع بعض المؤرخين النزاع الفرنسي الجزائري إلى عدة أسباب من أهمها :

1- تطلع فرنسا الى تحقيق مكاسب واسعة في الجزائر .

2- اعتماد أسلوب القوة تجاه أي خلاف ينشب ما بين بحارتها و بحارة الجزائر .

3- شركة " لنش " المركز التجاري الفرنسي بساحل القالة و عنابة .

أما بقية الدول الأوروبية مثل البرتغال و السويد و هولندا فقد سارعت إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع الجزائر لتأمين سفنها التجارية العابرة للبحر المتوسط.<sup>11</sup>

- التحالف الغربي ضد الجزائر :

و في أوائل القرن التاسع عشر بدأت الدول الأوروبية و كذا الولايات المتحدة الأمريكية تكف عن دفع الإتاوات للجزائر ، كما أصبحت النوايا الاستعمارية الأوروبية تتجلى في الأفق ضدها ، خاصة بعدما حققت تفوقا عسكريا واضحا على الجزائر بفضل دخول دول أوروبا مرحلة الثورة الصناعية الحديثة و عدم مواكبة الصناعة الجزائرية لهذا التطور ، و بذلك اختل ميزان القوى لصالح أوروبا على حساب الجزائر .

حيث تحالف الأوروبيون ضد الجزائر في مؤتمر فيينا الذي انعقد في 9 جوان من عام 1815 بطلب من الانجليز و ذلك لوضع حد نهائي لأعمال القرصنة البحرية الجزائرية في البحر الأبيض المتوسط و استرقاق المسيحيين ( استعبادهم ) ، و كلفت بريطانيا بتطبيق مقررات المؤتمر ، فتوجه الانجليزي اللورد ايكسمون ( اكسماوث ) عام 1816 على متن أسطول بحري إلى الجزائر و لما اقترب من سواحلها وضع الداوي القنصل البريطاني في السجن ، لكن البحرية الجزائرية انخدعت بالراية البيضاء التي كانت تحملها السفن الحربية البريطانية فتركتها تدخل للميناء الجزائري ، فقتلت بالمدفعية الأسطول البحري الجزائري و ألحقت به أضرارا جسيمة مما أجبر الداوي عمر باشا على قبول شروط مؤتمر فيينا .

و من بين هذه الشروط : تطبيق القرارات الصادرة عن مؤتمر فيينا و خاصة تلك التي تتعلق بإلغاء الرق و اطلاق سراح الأسرى المسيحيين الموقوفين في الجزائر ، و تسريح البحر الأبيض المتوسط للتجارة الحرة و الاعتراف بأولوية انجلترا في التعامل مع القنصليات الأجنبية في الجزائر .<sup>12</sup>

الجدير بالذكر أن حملة اكس ماوث كان ظاهرها تنفيذ لإرادة الدول الأوروبية و باطنها رغبة بريطانيا في فرض سيطرتها على البحار للاستحواذ على طرق المواصلات و الحفاظ على مصالحها التجارية ، بعد أن فقدت مستعمراتها في القارة الأمريكية .<sup>13</sup>

11 - نفس المرجع السابق ، عمار عمورة ، موجز تاريخ الجزائر ، ص 129

- محمد العربي الزبيري ، محاضرات في مقياس تاريخ الجزائر من القرن 16 إلى يومنا هذا ، ألقيت على طلبة السنة الثانية -اعلام<sup>12</sup> بجامعة الجزائر 03 ، السنة الجامعية : 2001-2002 .

13 - نفس المرجع السابق ، محمد العربي الزبيري ، محاضرات في مقياس تاريخ الجزائر ، ص 287

و في يوم 30 سبتمبر 1818 عقد الأوروبيون للمرة الثانية مؤتمر ضد الجزائر عرف باسم مؤتمر "ايكس لاشابيل" قرروا فيه مطالبة كل من الجزائر و تونس و ليبيا بوضع حد للقرصنة و اعتبروا أي مساس بالبواخر التجارية لأحد من هذه الدول المتحالفة سيؤدي إلى رد فعل سريع.

و في 5 سبتمبر 1819 قدمت قطعة بحرية انجليزية فرنسية تحت قيادة الأميرالين " فريمونتل " و " جوليان " إلى الجزائر ، ليبلغا الداى حسين بقرارات المؤتمر ، لكنه رفض استقبالهما و جمع القناصل الأوروبيين و حملها إلى أوروبا رسائل يقول فيها " الجزائر حرة في تسيير شؤونها كيف تشاء ، و هي ليست مستعدة لتطبيق الأوامر التي تأتي من الخارج . " ثم أمر القناصل الأجانب بأن يقدموا الهدايا المتأخرة ، و عندما رأى المشاركون في مؤتمر "ايكس لاشابيل" تعنت الداى حسين قرر أن تنظم حملة عسكرية نشارك فيها معظم الدول الأوروبية لتأديب الجزائر (14)

بعدها دخلت الجزائر في مرحلة ضعف و انحطاط و خاصة بعد تحطيم أسطولها في معركة نافارين يوم 20 أكتوبر 1827 ، ففقدت هي و الامبراطورية العثمانية قوتها و هيبتها ، فتكالبت عليها الدول الأوروبية و كانت نهاية الوجود التركي في الجزائر على يد فرنسا عام 1830 في عهد الداى حسين بعد ثلاثة قرون من وجودها.

**ب- الأوضاع العسكرية :** واجهت الجزائر و الدولة العثمانية تهديدات خارجية كبيرة ، خاصة من جانب اسبانيا و الدول الايطالية و فرسان مالطة ، مما جعلها ( أي الجزائر ) تهتم بأسطولها الحربي تدفع به الغارات المسيحية عن مدتها و سواحلها ، و تحمي التجارة الاسلامية و المهاجرين الأندلسيين ، و حجاج بيت الله الحرام من اعتداءات القراصنة الأوروبيين ، و تدعم به الدولة العثمانية في حروبها ، و تغنم من خصومها . يجدر بالذكر أن الدوافع الروحية التي كانت وراء الجهاد البحري للأسطول الجزائري ضعفن بالتدريج ، ليصبح الربح هو مبدأه الأساس.<sup>15</sup> و قد كانت النواة الأولى لأسطول الجزائر تلك السفن التي أتى بها الأخويين خير الدين و عروج لإنجاد إخوانهم المسلمين في بجاية و الجزائر ، و عددها أربعة عشر وحدة . تمركز الأسطول في مدينة الجزائر التي حصن ميناؤها و دعم بالمدافع ، ليصبح قاعدة بحرية هامة في بناء المراكب الجديدة و اصلاح القديمة و المعطوبة و تجهيزها . كما أصبحت موانئ المدن الساحلية الأخرى كشرشال و دلس و بجاية و جيجل و عنابة و تنس قواعد أخرى للأسطول. و كان الخشب يجلب من غابات شرشال و جرجرة و بجاية و جيجل و القل ، كما أنشئت مصانع لصناعة المدافع و البارود و الذخيرة و قطع الغيار .<sup>16</sup>

بلغ الأسطول الجزائر أوج قوته في منتصف القرن 17 مكنته من صد و افشال جل الحملات العسكرية على الجزائر كالحملات الاسبانية و الفرنسية و الهولندية و غيرها ، كما كان الأسطول درعا واقيا للسواحل المغاربية ضد القرصنة و العدوان الأوروبي. و قد تعاظم دور الأسطول الجزائري في حماية التجارة الدولية من القراصنة المتربصين عبر البحر .

<sup>14</sup> -- أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ( بداية الاحتلال ) ، ط 3 ، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع ، الجزائر ،

1982 ، ص 230

<sup>15</sup> - نفسه ، ص ص 349

<sup>16</sup> - بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر ( 1830-1989 ) ، ج 1 ، دار المعرفة ، الجزائر ، ( ب.س.ط ) ، ص 359

لكن دور البحرية و نشاط الأسطول الجزائري بدأ يتضاءل مع مطلع القرن 19 إلى أن اضمحل نهائيا سنة 1830 ، و يعود انهيار الأسطول إلى العوامل التالية :

- اتفاق الدول الأوروبية على ضرورة التصدي للجزائر و تقليص دورها .
- تقييد الجزائر بمعاهدات شراء سلامة تجارات الدول الأوروبية مقابل بعض الهدايا و الغرامات ، مما قل من نشاطات الأسطول الجزائري فتقلص عدد قطعه من حوالي 100 قطعة عام 1588 إلى 14 قطعة رئيسية سنة 1825.<sup>17</sup>
- الغارات المسيحية المتكررة على مدينة الجزائر ، و من أخطرها هجوم الأسطول الانجليزي الهولندي المؤلف من 39 بارجة بقيادة اللورد الأميرال اكسموث في 27 أوت 1816 ، و تمكن من تخريب قسم من أسوار مدينة الجزائر و مبانيها و مينائها ، و تدمير معظم أسطولها.
- اشتراكه في حروب الدولة العثمانية ، و آخرها معركة نافارين 1827 أثناء حرب اليونان التي دمر فيها ما تبقى من الأسطول.
- تخلف صناعة السفن الجزائرية و مهارة الأسطول قياسا إلى التقدم الصناعي الهام الذي أحرزته مثيلاتها في دول الغرب ، و المهارة الفنية التي اكتسبتها الأساطيل الأوروبية .
- و على صعيد آخر ارتكبت الجزائر خطأ فادحا يتمثل في تخليها عن الصناعة البحرية ( كانت تصنع بواخرها الحربية بنفسها ) نظرا لانشغال التقنيين و المهندسين و الفنيين في الحرب ، و كذلك بسبب تنازلها عن غابات الكرسنا الموجودة ببيجاية لفائدة التجار اليهود و في مقدمتهم بكري و بوشناق، حيث أقدم هذين الرجلين على بيع أخشاب الغابات إلى انجلترا التي اهتمت بصناعتها البحرية و كرس كل جهودها لتطويرها ، و عليه فالجزائر توقفت عن الصناعة البحرية و بريطانيا ضاعفت مجهود .
- ت- الأوضاع الاقتصادية :** ان عدم الامن و الاستقرار السياسي و انتشار حركات التمرد و الاضطرابات كان له انعكاسات سلبية على المجال الاقتصادي ، حيث أهملت الفلاحة بتوقف الحرث و الزرع ، و حدثت مجاعات من جراء كثرة الفتن و الأهوال و اهتزاز المجتمع . كما أغلقت الأسواق خوفا من قطاع الطرق ، إضافة إلى ظاهرة الجفاف التي استمرت سنوات خاصة بشرق البلاد و ارتفاع الأسعار و غلاء المعيشة.
- يجدر بالذكر أن الاهتمام الكبير للعثمانيين بالجوانب العسكرية و السياسية انعكس سلبا على الجانب الاقتصادي ، حيث لم يكن للعثمانيين سياسة اقتصادية واضحة المعالم من شأنها أن تنهض بالبلاد ، و يتجلى ذلك من خلال عدم اهتمام الحكام الأتراك بتطوير البنية التحتية للإيالة الجزائر ، فمثلا بالرغم من اهتمام العثمانيين بالبحر لا نجد لدولة أثرا في انشاء الموانئ الصالحة للتجارة ، حيث كان الاهتمام بالموانئ الجزائرية بقصد ايجاد مرسى آمن لسفن القرصنة و ليس بقصد التجارة ، كما لم تتدخل الدولة لتحسين وسائل الزراعة ، و لم تسهم في الوقاية من الأضرار الطبيعية ، أو الآفات الزراعية التي كانت تتعرض لها البلاد بصورة مستمرة.
- ث- الأوضاع الاجتماعية :** لم تكن الأوضاع على الصعيد الاجتماعي أحسن من غيرها ، حيث عرفت الجزائر انتشار الأوبئة خاصة في الفترة التي بلغ فيها مرض الطاعون درجة خطيرة و هي الفترة الممتدة من جوان 1817 إلى سبتمبر 1818 ، بالإضافة إلى و الزلازل التي ضربت كثيرا من المدن الجزائرية ( مدينة الجزائر و المدية عام

<sup>17</sup>- نفس المرجع السابق ، بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر ( 1830-1989 ) ، ص 265

1632 ، زلزال الجزائر العاصمة 1665 ، شرشال ، بجاية و الجزائر العاصمة عام 1716 ، ثم زلازل 1723 و 1724 و 1755 و 1760 التي خربت البلدة ، و زلزال وهران عام 1790 ) فتسببت في الكثير من الخسائر البشرية و المادية هلاك الكثير من الأرواح و الممتلكات .

- ظهور الطبقة الدخيلة من اليهود : بالرغم من وجود عدة فئات أجنبية مسيحية في الجزائر ، إلا أن الجماعة النشيطة التي ارتفع شأنها في هذا البلد هي فئة اليهود ، لأنها كانت تتعامل مع الداوي و قادة الجيش ( الرياس ) و يقومون بشراء و بيع البضائع أو الغنائم التي يحصل عليها الرياس ، كما اشتهر اليهود بعمليات السميرة و القيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية إلى درجة أنه أصبح من الصعب على أي عربي أن يبيع دجاجتين بدون وساطة مأجورة من أحد اليهود .

و في بداية القرن التاسع عشر تجلت في الجزائر نفوذ شخصين يهوديين و هما بوشناق و بوخريص ( بكري ) إذ كانا يقومان لوحدهما بدور البنوك في الجزائر ، و يحتكران الأسواق التجارية الجزائرية و خاصة في ميدان تصدير الحبوب فامتد نفوذهما حتى في بلاط الحكم ، فأصبحت لهما قوة تأثير في القرارات السياسية و الاقتصادية و كانا سببا مباشرا في احتلال فرنسا للجزائر عام 1830 ، و لسبب نفوذهم الكبير و سوء تصرفهما قام أحد الجنود الأتراك عام 1805 بقتل اليهودي بوشناق و هو خارج من قصر الداوي بالجينية ، أما صديقة بوخريص فقال بأمر من الديوان عام 1811 .

## 2- الحملة الفرنسية و احتلال الجزائر (1827-1830).

خلال أكثر من ثلاث قرون ظلت الجزائر قوة بحرية تسيطر على غربي البحر المتوسط ، و على أجزاء مختلفة من شواطئ المحيط الأطلسي إلى غاية مجيء سنة 1827 لتعلن نهاية هذه السيطرة إثر حادثة المروحة التي ختمت العلاقات الودية بين الجزائر و فرنسا<sup>18</sup> .

لقد حرصت فرنسا على استغلال حادثة المروحة إلى أقصى حد ممكن يتماشى مع متطلباتها<sup>19</sup> ، و يرجع سبب الحادثة إلى تفاقم الديون التي كانت في ذمة فرنسا لصالح الحكومة الجزائرية ، و التي قدرت بحوالي أكثر من ثلاثة عشر مليون فرنك فرنسي<sup>20</sup> ، و التي تقلصت بعد مداوات اللجنة التي شكلت لدراسة قضية الديون إلى سبعة ملايين فرنك فرنسي ، حيث كان اليهوديان بوشناق و بوخريص يقومان بالوساطة بين البلدين<sup>21</sup> ، و لما كان مدينين للحكومة الجزائرية بعد شراء الصوف منها ، فقد قام بالضغط على القنصل الفرنسي "بيار ديفال " لإعطائه نصيبا من الديون الفرنسية لتسديدها إلى الحكومة الجزائرية غير أن بوخريص الذي تجنس بالجنسية الفرنسية ، و غير اسمه إلى بكري ، لم يمنح الخزينة الجزائرية فرنكا واحدا ، و هنا أدرك الداوي حسين المؤامرة التي أحيكت ضد الحكومة الجزائرية و أن طرفاها هما القنصل الفرنسي بيار ديفال بالجزائر و تاليران بباريس و أدرك أن الاتصال بالحكومة الفرنسية عن طريق قنصلها لن يؤدي إلى نتيجة ما دام أنه طرف من المؤامرة<sup>22</sup> ، و هنا قام الداوي حسين بإرسال ثلاث رسائل إلى

<sup>18</sup> - أبو قاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج1، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1981، ص243.

<sup>19</sup> - يحيى بو عزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج1، ص367.

<sup>20</sup> - يحيى بو عزيز، أوضاع الجزائر في عهد الداوي حسين إلى آخر دايات الجزائر (1818-1830)، أوراق عن التاريخ ، جريدة الحوار،

22 سبتمبر 1994

<sup>21</sup> - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة ، ترجمة: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1972، ص148.

<sup>22</sup> - محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج3، ص277

الحكومة الفرنسية بشأن قضية الديون غير أنه لم يتوصل،

فلأبي جواب<sup>23</sup>، و في عيد الفطر شوال 1243 هجري الموافق ل27أفريل 1827 ميلادي حضر القنصل الفرنسي دوفال إلى قصر الداوي ليقدم تهانيه بالعيد كما جرت العادة و اغتم الفرصة فاستفسر عن مصير المركب الفرنسي الذي أسره الرياس لكن الداوي عاتبه على الأعمال المشينة التي تقوم بها شركة باريس في حصن الباستيون بالقالة التي توحى بأن هناك عملا عسكريا يعدّ ضد الجزائر<sup>24</sup>. كما سأله الداوي عن سبب عدم ردّ الحكومة الفرنسية عن رسائله، و لقد كان من الواجب على دوفال أن يعمل على تهدئته، قام بالرد على الداوي " ليس من العادة أن يخاطب الملك من هو أدنى منه دون وساطة"<sup>25</sup>. هذا جعل الداوي حسين يفقد صبره و ضرب القنصل الفرنسي بمروحية كانت بيده و أمره بمغادرة المكان<sup>26</sup>، فاعتبرت فرنسا هذا العمل إهانة لشرفها أو ما سمته " شرف الملك " و طلبت من الحكومة الجزائرية إذا لم تتلقى من الداوي الترضية الكافية خلال 24 ساعة فإن قواتها ستفرض الحصار على الجزائر في الحال. شرعت فرنسا في تنفيذ خطتها العسكرية و وجهت مجموعة من السفن البحري بقيادة الضابط "كوليت ( collette )" وصل بها إلى ساحل مدينة الجزائر يوم 11 جوان 1827، و رفع مجموعة من المطالب لم يقبلها الداوي هذا ما أدى إلى حصار مدينة الجزائر استمر ثلاث سنوات<sup>27</sup>.

قبل التطرق إلى الحملة الفرنسية على الجزائر، هناك سؤال يجب طرحه: هل كانت فعلا حادثة المروحة السبب الوحيد و الحقيقي في شن الحرب على الجزائر أم أنها مجرد ذريعة لمحاورة عاصمة الجزائر و أجبار الداوي على الاستسلام أم أن هناك عدة أسباب مخفية مععلن عنها، كانت وراء ذريعة المروحة؟

ظاهريا لقد كانت حادثة المروحة هي التي أدت إلى تأزم العلاقات بين الجزائر وفرنسا كما سبق أن ذكرنا، لكن من الناحية الواقعية<sup>28</sup>، إن وضعها الداخلي دور كبير في إعداد الحملة، ذلك أن ملك فرنسا شارل العاشر<sup>29</sup> وأي نمو الأفكار و الجمهورية في أوساط المجتمع قبل الانتخابات، مؤشر لإمكانية قيام ثورة تسقط بالنظام الملكي فالغى الصحافة، جرد الطبقة الوسطى من حق الانتخاب بل و ذهب إلى أكثر من هذا إلى التفكير في إعداد حملة عسكرية ضد الجزائر من شأنها صرف الأنظار عن الوضع السياسي الداخلي و إسكات المعارضة<sup>30</sup>. من الجانب الديني جاءت الحملة الفرنسية امتداد للحروب الصليبية حيث كان الفرنسيون يهدفون إلى تنصير شمال إفريقيا بعد طرد المسلمين من الأندلس بل وبرّروا عملهم هذا بإعادة المسيحية إلى إفريقيا، بدعوى أن الدين الذي

23 - جمال قنان، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر في الحديث و المعاصر، ص47.

24 - يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوربان ص130.

25 - بسام العسلي، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي، ص181.

26 - يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ص367.

27 - يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوربا(1500-1830)، ص130، و انظر كذلك يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ص368، وكذلك عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، ص79.

28 - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962، ص81

29 - شارل عاشر (1757-1836) هو ملك فرنسا حكمها من(1824-1830)، و هو من أسرة آل البورمون، ابن لويس الخامس عشر، و أخ لويس السادس عشر، عاد إلى فرنسا في 1824 بعدما أقام في إنجلترا طوال فترة حكم نابليون بونابرت، انتهى حكمه بعد الأيام الثورية (27-28-29 جويلية 1830) خلفه لويس فليب. (أنظر: المنجد في اللغة و الإعلام، دار المشرق، ط30، 1988، ص420).

30 - أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج1، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص27

كان سائدا هناك<sup>31</sup>، كما تعاونت عدة جهات فرنسية فيما بينها لمحو الجذور العربية الإسلامية للشعب الجزائري و التحكم في خيراته و إذلاله حتى يبقى خاضعا لهم إلى الأبد ، وقد أفصح عن هذا الاتجاه ملك فرنسا شارل العاشر بقوله: " إن التعويض الحاسم الذي أريد الحصول عليه وأنا أثار لشرف فرنسا أن يتحول بمعونة الله لصالح المسيحية" ، و نفس التعبير نجده في التقرير الذي رفعه وزير الحربية الفرنسية "كليترمون" إلى مجلس الوزراء الفرنسي يوم 14 أكتوبر 1827.

حيث قال : " لعله مع الوقت سيكون من حضا أن نمدنهم و ذلك بجعلهم مسيحيين"<sup>32</sup>

لقد لعب الجانب الاقتصادي دورا مهما في قدوم شارل العاشر إلى الجزائر و لعل الدوافع الاقتصادية و المالية هي التي حركت الأسطول الفرنسي نحو الجزائر فالملك الفرنسي كان يريد استرجاع سيادة ملكه عبر الانتخابات و لم يكن قادرا على خوضها دون أموال يشتري بها أصوات الناخبين ، و ولاء المعارضة و هو ما دفعه إلى تكليف دوبورمون<sup>33</sup> لقيادة حملة على الجزائر التي كانت تنام على كنز مهول حددت قيمته ما بين 150 و 350 مليون فرنك<sup>34</sup>.

في هذا الصدد صرح " دوبورمون " إن الفوائد المادية التي تعود على فرنسا من غزو الجزائر ، بغض النظر عن ملايين الفرنكات الذهبية التي تزخر بها الخزنة الجزائرية أسمى و أنفع من كل عمليات الغزو الاقتصادي التي قامت بها حتى الآن ، فهناك سهول طيبة و مناخ غنية<sup>35</sup>. و من هذا التصريح لقائد الحملة الكونت دوبورمون يمكن أن نستنتج أن الدافع الاقتصادي هو أهم الدوافع لإعداد الحملة الفرنسية ، ذلك لسببين هما:

- أن الفرنسيين سيعوضون تكاليف الحملة من الأموال و الكنوز الموجودة في الخزينة.
  - أن الوضع الذي توجد عليه الجزائر من حيث كونها تتوفر على أرض على أرض زراعية واسعة، و سهول خصبة تساعد إمداد فرنسا بكل ما تحتاجه من قمح و منتجات زراعية ، و هو ما جعلها بعيدة عن الأزمات الاقتصادية التي كانت تعصف بها قبل الاحتلال ، و من جهة ثانية توفرها على مناخ من شأنها تحريك المصانع الفرنسية التي تحتاج إلى مواد أولية بعد الثورة الصناعية ، و نتيجة لهذا فإن فرنسا تحتاج إلى سوق لتصريف منتجاتها الصناعية فوجدتها في الجزائر التي تعتبر مفتاح إفريقيا غايتها المنشودة.
- كما كان للدافع الإستراتيجي و المتمثل في سيطرة إنجلترا على مضيق جبل طارق سنة 1704 دور في إعداد الحملة

<sup>31</sup> - أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج4، ط10، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1995، ص335.

<sup>32</sup> - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص81

<sup>33</sup> - لويس دوبورمون (1773-1846) مارشال فرنسي، لمع نجمه أثناء الحملات النابليونية ، فعين عقيدا في الجيش الفرنسي في 1810، ثم جنرالاً سنة 1814 من طرف نابليون، ثم ارتقى إلى وزير الحربية الفرنسية في 1829 ، قاد الحملة الفرنسية على الجزائر ، وفي 1830 ارتقى إلى ماريشال.(أنظر: المنجد في اللغة و الإعلام ، دار المشرق، بيروت، ط30، 1988، ص420).

<sup>34</sup> - عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج3، ص383

<sup>35</sup> - عبد الرحمن المودن، عبد الرحيم بن حادة ، العثمانيون و العالم المتوسط مقاربات جديدة، ط1، 2003، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ص289

الفرنسية ضد الجزائر ، وذلك لتأمين مصالحها في المنطقة<sup>36</sup>.

نستخلص من هذه الحقائق التي ذكرناها أن هناك عدة أسباب حقيقية دفعت بفرنسا إلى شن هجوم على الجزائر و احتلالها ، و أنّ حادثة المروحة ما هي إلا ذريعة لمحاورة الجزائر ، يظهر هذا بوضوح في تصرف القائد " كوليت" الذي أرسلته فرنسا على رأس قوة بحرية يوم 11 جوان 1827 لمطالبة الداى بتقديم الاعتذارات إلى قنصل فرنسا بالجزائر على ظهر سفينة فرنسية، و يرفع العلم الفرنسي فوق حصون مدينة الجزائر، وعلى الأخص فوق قصر الداى ، و في مقر البحرية تمّ توجيه التحية للعلم الفرنسي بمائة طلقة مدفعية جزائرية ، و قد أندر الضابط الفرنسي الداى بأن عدم الاستجابة لهذه المطالب في ظرف 24 ساعة يعني إعلان الحرب على الجزائر ، و بالفعل رفض الداى هذه الشروط المجحفة و المهيمنة ، و اعتبرها إذلالاً له و لبلده ففرضت فرنسا الحصار على الجزائر في يوم 26 جوان 1827<sup>37</sup>.

لقد كانت فرنسا تريد إشراك محمد علي والى مصر في تحقيق مشروع الحملة وفي 10 أوت 1829 عاد هذا المشروع إلى المواجهة مرة أخرى ، و لقد كان هدف هذا المشروع هو غزو دول المغرب البحرية الثلاثة (تونس، الجزائر وليبيا)، فتحقق بذلك فرنسا هدفها دون اللجوء إلى قواتها العسكرية<sup>38</sup>. أعطى " محمد علي " موافقته المبدئية ، وكان يرى أن ذلك يتوقف على المساعدة التي تعطيها له فرنسا ، وكان قد طلب مقابل إقدامه على غزو الجزائر أربع سفن ذات ثمانين مدفعا ، و في مقابل هذا كان " بولينياك " وزير الخارجية الف رنسية يرى أن نجاح المشروع مرتبط بثلاث نقاط هي:

- موافقة محمد علي و حيايد انجلترا و كذا قبول الباب العالي بالمشروع<sup>39</sup>.

- لقد فشلت هذه المفاوضات بسبب الشروط الباهظة التي اشترطها محمد علي و كذلك بسبب التخوف من قيام الانجليز و الباب العالي بمنع الأسطول المصري من الوصول إلى الجزائر<sup>40</sup>، و لذلك انفردت فرنسا وحدها بالحملة لقد سقطت الجزائر بسهولة في أيدي الفرنسيين يوم 5 جويلية 1830 فالداى حسين كان يعتقد أن الجزائر محصنة و أن جيشها النظامي الذي كان لا يتجاوز 6000 جندي تركي قادر على مواجهة الفرنسيين في حالة هجومهم على موانئ الجزائر المحصنة<sup>41</sup> ، و لكن عندما تأكد نزول الجيش الفرنسي بسيدي فرج يوم 14 جوان 41830 شعر بالخوف على نفسه و على سلطته، و في 19 جوان 1830 كانت أول معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة الجزائريين سميت بمعركة " سطاوالي" و بعد ذلك تقدم الفرنسيون نحو مدينة الجزائر إلى دخولها يوم 4 جويلية 1830 ، و هو ما دفع الداى إلى الاستسلام و عقد معاهدة مع فرنسا يوم 5 جويلية 1830<sup>42</sup> و لقد نصت هذه المعاهدة على تسلم كافة

<sup>36</sup> - مبخوت بودواية، مقاومة أولاد سيدي الشيخ في الجنوب الغربي الجزائري (1864-1908) ، رسالة ماجستير ، جامعة عين الشمس ، مصر ، 1991-1992، ص15.

<sup>37</sup> - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص89-90 .

<sup>38</sup> - جمال قنان، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، ص74.

<sup>39</sup> - محمد زروال ،العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791-1830)، مطبعة دحلب، الجزائر،ص75

<sup>40</sup> - يحيى بوعزيز ، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر في المنتقيات الوطنية و الدولية ، ط1998 ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ، بن عكنون ، الجزائر، ص355.

<sup>41</sup> - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص90-91.

<sup>42</sup> - عبد السيد شريط ، محمد الميلي ، الجزائر في مرآة التاريخ، ص165 .

قلاع مدينة الجزائر و حصونها إلى الجيش الفرنسي ، و أن يتعهد القائد الفرنسي بترك أموال الداى حسين و السماح له و لعائلته بحرية التنقل تحت حراسة فرنسية وحرية ممارسة الدين و عدم التدخل في ممتلكات و تجارة و صناعة السكان<sup>43</sup>.  
في يوم 10 جويلية 1830 ، رحل الداى عن مدينة الجزائر و توجه إلى نابولي بايطاليا ثم التحق بفرنسا و أخيرا توجه إلى الإسكندرية حيث أقام فيها حتى يوم وفاته ، و دفن بها سنة 1834 ، و بعزل الداى من طرف الجيش الفرنسي و إجباره على الاستسلام و بذلك انتهى الحكم العثماني في الجزائر الذي دام أكثر من ثلاث قرون (326 سنة)<sup>44</sup>.

### عوامل ظهور اليقظة الجزائرية:

مع بداية القرن العشرين شهدت الجزائر بداية جديدة في تعاملها مع الإدارة الاستعمارية و برزت نخبة من الشباب الجزائري غيرت من أسلوب العمل، و تحولت من العمل التصادمي الانتفاضي إلى تبني أسلوب جديد يعتمد أساسا على البناء الذاتي و البحث عن مقومات العمل السياسي و قد توفرت جملة من العوامل منها الداخلية و أخرى دولية خارجية.

### أ/ العوامل الداخلية:

هناك جملة من العوامل الذاتية التي عملت على إنكاء الحس الوطني و إنماء المقوم السياسي و يمكن جمع هذه العوامل في المعالم التالية:

#### 1- فشل المقاومة الشعبية:

بحيث فشلت هذه الأخيرة في الحصول على أهدافها المتمثلة في توقيف الاحتلال و إقال مشاريع فرنسا الاستيطانية، و برغم شدة المقاومة و اتساعها جغرافيا إلى مناطق عديدة من أقاليم الجزائر كمقاومة الأمير عبد القادر و أحمد باي و المقراني و غيرها من المقاومات الشعبية العديدة، التي لم تخدم إلا بعد اعتماد أسلوب العمل السياسي المنظم خلال منتصف العشرينيات، و برغم بقاء فلول المقاومة الشعبية من حين لآخر باعتراف الفرنسيين أنفسهم و قد أشار إلى ذلك الدكتور فيتال الذي كتب من قسنطينة إلى صديق له في 8 أفريل 1864 بقوله: "ما تزال هناك كلمات تهز هذا البلد هزا كلما ورد ذكرها، هي كلمات القومية و الإسلام و الأرض المقدسة، التي يجب تطهيرها من الكفر... هذه الكلمات عندما تتردد تجعل الشعب مستعدا للثورة"<sup>45</sup>.

#### 2- الإجراءات الفرنسية التعسفية:

إن تمادي الإدارة الفرنسية الاستعمارية في إصدار قوانينها التعسفية قد مكن مستقبل بقائها في الجزائر، و خنق حرية صوت الجزائريين و عمل على تحقيق منظومة الاستيطان، و دمج الجزائر في الكيان الفرنسي و اتضح ذلك في العديد من القوانين و المراسيم و الإجراءات التي نصت عليها التشريعات الفرنسية منذ إنهاء مرحلة التردد و صدور القرار الملكي الخاص بإلحاق الجزائر بفرنسا. كما سنت قوانين تقييد الجزائريين، و التحكم في رقابهم و خنق أصواتهم، و غرس النعرات بينهم و تفضيل بعضهم عن بعض. بل و تنصيب أحدهم في المسؤولية خدمة لها لا للصالح العام و أرادت بذلك زرع اليأس و الخنوع في نفسية الأهالي ، و بمرور الزمن تصبح الأمور عادية و لا تجرأ على معارضتها<sup>2</sup>.

#### 3- تمكين سياسة الإستان الأوربي:

منذ الوهلة الأولى للاحتلال انتهجت فرنسا سياسة الاستيطان و تجريد الجزائريين من أراضيهم و ممتلكاتهم، وإفقارهم

<sup>43</sup> - جمال قنان، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر، ص 303-304.

<sup>44</sup> - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 100 .

<sup>45</sup> - المرجع السابق ، سعد الله ، تاريخ الجزائر المعاصر ، ص 321

اقتصاديا حتى يسهل لها تركيبهم و إبعادهم عن زعامات المقاومة، بل و تهجيرهم إلى المناطق القاحلة و أحيانا إلى خارج الوطن، و خصوصا بعد إخماد ثورة المقراني 1871، و قيام الإدارة الفرنسية الاستعمارية بمصادرة أملاك الجزائريين و نفي البعض إلى نومييا بكاليدونيا الجديدة و البعض الآخر إلى فرنسا و كورسيكا و البعض الآخر إلى كيان بأمريكا الجنوبية.<sup>3</sup>

وقد انتهجت حكومة باريس سياسة جديدة اغرائية لجلب الجالية الأوروبية للاستيطان في الجزائر، بعد أن وفرت لهم الإمكانات المادية و المعنوية، و أصدرت لذلك مجموعة من المراسيم والقوانين ما بين 1871 إلى 1914 تقنن جلب الاستعمار و تدمير بنية السكان الجزائريين و إبعادهم عن ممتلكاتهم وأراضيهم و كانت سياسة الولاية العامة دوما في خدمة الجالية الأوروبية، برغم اختلاف منهجية و مطروحات كل حاكم عام، لكن ذلك ظل يصب في خدمة المصلحة الفرنسية على حساب مصلحة الجزائريين، الذين أبعدوا عن ممتلكاتهم المشروعة، و أقصوا من المسؤوليات و حرموا من الحقوق، و قد ارتكزت فلسفة الاستعمار الفرنسي على حد قول محمد حربي على عنصر التفوق و الإقصاء و التهميش و غرس المهانة و المذلة في النفسية الجزائرية، و قد أشار إلى ذلك بقوله: "منذ سنة 1848 فرضت الجمهورية الثانية الاقتراع العام في المستعمرات، و أقرت للأوروبيين صفة المواطنة، و منحتهم حق التمثيل في البرلمان، و جعلت من شمال الجزائر مقاطعات فرنسية. أما الإمبراطورية الثانية فإنها قامت بمراجعة هذه السياسة، و فكرت في إنشاء مملكة عربية، و بعد سقوط هذه الإمبراطورية فرض المعمرون سنة 1881 على الجمهورية الثالثة نظام الارتباط بفرنسا، و بذلك خرج مصير الجزائر من أيدي العسكريين، و حقق المعمرون انتصارا كبيرا، و كان التفاوت و التمايز هو القاعدة و لم يكن للجزائريين بوصفهم رعايا الحق في الاقتراع، و لا المشاركة في انتخابات المجلس الوطني، و كان تمثيلهم في المجالس الجزائرية منقوصا. و على المستوى الجزائري كانوا يستهدفون لمجموعة من الإجراءات الاستثنائية تعرف باسم قانون الأهالي، رغم التعديلات العديدة التي أدخلت على المؤسسات، فأنها بقيت غير عادلة في أساسها"<sup>46</sup>.

#### 4- هدر مقومات الشخصية الجزائرية:

طمست فرنسا معالم و مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية اللغوية منها و التاريخية والدينية، حتى تقضي بذلك على مكونات الوحدة الوطنية، و كانت الإدارة الاستعمارية تسعى دوما إلى تغييب الدين الإسلامي عن مشاعر الجزائريين، باعتباره أهم مقوم للشخصية الجزائرية، و لذلك فلا غرابة أن نجدها تحاربه منذ الوهلة الأولى لاحتلال الجزائر ففي 11 جويلية 1830 أقامت إدارة دوبرمون حفلا دينيا ضخما في الساحة الرئيسية لمدينة القصبة بالجزائر، و قد حضره العديد من الجنرالات و الضباط و الجنود للتعبير عن نشوة الانتصار الصليبي.<sup>47</sup>

و في سنة 1841 قررت أن تكون المحاكم الفرنسية هي المسؤولة المباشرة عن النظر في القضايا الهامة، و من تم أصبح دور القاضي الجزائري كتابة العقود، و إصدار الفتوى و نحوها، و في 31 ديسمبر 1859 أصدرت إدارة الاحتلال مرسوما جديدا يتضمن إلغاء مجالس الاستئناف، و إعطاء هذه الصلاحيات إلى المحاكم الفرنسية دون غيرها.

و بالتالي نتج عن ذلك التخلي عن العمل بالقوانين الإسلامية و أصبح القضاء الفرنسي هو السائد و المصدر في

<sup>46</sup> - عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962 ، ط 1 ، بيروت ، دار العرب الإسلامي ، 1997 ، ص 255

<sup>47</sup> - نفسه ، ص 268

التشريع ، و أصبح القاضي المسلم مجبر على تعلم اللغة الفرنسية للمرافعة بها.

و في هذا الصدد كتب أحمد توفيق المدني يصف تلك المرارة التي ألحقت بالجزائريين، بعد أن ضربوا في أقدس مقدسا لهم بقوله: " هل يعلم عربي في دنيا العروبة أن القضاء في قطر الجزائر العربي المسلم قضاء فرنسي كله؟ و أن أهل البلاد ليست لهم أدنى مشاركة فيه؟ إن القضاء الشرعي الإسلامي قد حطمه الاستعمار تحطيمًا، فالقاضي المسلم المتخرج من المدرسة الحكومية هو موظف فرنسي يحكم بين المسلمين في أمور الزواج، و الطلاق و الحضانة و المواريث، إنما أحكامه تعتبر كلها ابتدائية وللمتناقضين استئنافها للمحاكم الفرنسية التي يكون لها القول الفصل. أما في بلاد القبائل فالقضاء الإسلامي يعتمد هناك منذ 1874 على العرف و التقاليد، أكثر ما يعتمد على الفقه الإسلامي، لتحقيق السياسة الخرافية التي ترمي إلى الفصل بين العربي و البربري، فالقضاء في القطر الجزائري مصيبة من أعظم المصائب الاستعمارية التي نكبت بها البلاد."

#### **-5- صدور قانون التجنيد الإجباري 1912:**

يعد قانون التجنيد الإجباري الذي صدر في 3 فبراير 1912 بداية جديدة في ردود الفعل الجزائري ضد سياسة التعسف الاستعمارية، لأن القانون جاء لتجنيد الشباب الجزائري لخدمة المصلحة الفرنسية، خصوصا وأن مضمون القانون غير عادل في محتواه إذ ما يطبق على الجزائريين غير ما كان يطبق على الفرنسيين، سواء من حيث سن التجنيد أو مدة الخدمة، أو المرتبات و الرتب و الترقيات و نحوها، وقد ترك ذلك المفعول تدمرا و سخطا وسط الشباب الجزائري، الذي عبر عن رفضه و استيائه من القانون بالعصيان و المقاطعة و الهجرة و العنف أحيانا<sup>48</sup>. وإذا كان الشباب الجزائري قد فضل الهجرة و الهروب من البقاء تحت خدمة العلم الفرنسي في الجزائر، و فضل البلاد الإسلامية الآمنة بحسب قول توفيق المدني<sup>49</sup>، فإن الإدارة الاستعمارية تفتنت لذلك النزيف ، و أشرفت بنفسها على تنظيم الهجرة منذ سنة 1916 وأسست لذلك مصلحة" عمال المستعمرات "تحت إشراف وزارة الحربية الفرنسية، التي تولت التكفل بنقل المهاجرين الجزائريين و توزيعهم و إلحاق معظمهم بوححدات الجيش، قبل مرحلة الخدمة العسكرية بحيث أن دفعة سنة 1917 قد أجبرت على اللحاق بالعمل العسكري قبل الأوان بسنة كاملة، وفي نفس الوقت كانت السلطة قد جندت عنوة 17000 عامل في الدفاع الوطني .

#### **ب- العوامل الخارجية:**

هناك جملة من عوامل خارجية التي ساهمت من قريب أو من بعيد في عملية إنماء الحس المعرفي و الثقافي، و بعث اليقظة الجزائرية من جديد و قد تجلت في معالم مختلفة كما أشرنا آنفا، و لذلك صح القول أن النهضة الجزائرية ذاتية متجددة بقدر ما هي متأثرة بالأحداث المعاصرة لها. سواء أكان ذلك على الساحة العربية و الإسلامية أو الدولية، و من العوامل التي دعمت بوادر النهضة أفكار الجامعة الإسلامية و النهضة العربية و كلها أجمعت على حركة التغيير و التجديد و خدمة العقل. كما دعت إلى تضامن المسلمين و توحيدهم في وجه التوسع الاستعماري. ولذلك فلا غرابة أن نجد صداها يصل إلى مسامع الجزائريين، و يأخذون بمبادئها خصوصا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، بعدما تألق نجم دعاة هذه الجامعة أمثال جمال الدين الأفغاني (1838-1897) و محمد عبده

<sup>48</sup> - عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط 1 ، الجزائر ، دار ربحانة ، 2002 ، ص 234

<sup>49</sup> - نفسه ، ص 255

(1849-1905) و رشيد رضا (1865-1935) و غيرهم. و كان لأفكار هؤلاء الرواد الوقع الهام على الحركة الوطنية الجزائرية، و خصوصا بعد تولى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني شؤون الدولة العثمانية و دعوته للإصلاحات، فكان مصدر دعم لنشاط الجامعة الإسلامية في الجزائر .

و من بين الأحداث الهامة أيضا التي هزت مشاعر الجزائريين الاعتداء الإيطالي على ليبيا سنة 1911، و قد بادر الجزائريون إلى جمع التبرعات و تقديمها لإخوانهم في ليبيا، كما ساندوا حركة الجهاد قولا و عملا، و شنت الصحافة الجزائرية حملة واسعة النطاق ضد إيطاليا و لصالح الليبيين و الجامعة الإسلامية، و قد نشر عمر بن قنور الجزائري دعوة صريحة للوقوف إلى جانب الإخوة الليبيين نشرت في جريدة الحضارة جاء فيها : "و تنصب الدسائس على بلاد العرب و تروج فيها الأكاذيب الأجنبية و تقوم الفتن في كل ناحية و تنتهك حرمان بيضة الإسلام و يزرى بها أهلها و يتبرأ منها ذووها، هناك بود كل موحد لو أن رأسه حز عنه نخيل واحة طرابلس الغرب و برقة دون أن يعاين هذا المصاب الجلل ولعذاب الآخرة أكبر فليتنق الله أرباب الأمر في طرابلس الغرب و برقة أن كانوا يعقلون. كما كانت لزيادة بعض علماء المشرق العربي للجزائر الأثر الواضح على تفعيل الحياة الفكرية و الثقافية للجزائريين مع بداية النهضة، و منها زيارة محمد عبده للجزائر سنة 1903 التي تركت وقعا هاما على نفسية دعاة التجديد و الإصلاح الإسلامي و قد أشار الشيخ الإبراهيمي إلى ذلك بقوله "كان الأستاذ الإمام أعجوبة الأعاجيب في الألفية و بعد النظر و عمق التفكير و حدة خاطر و استنارة البصيرة و سرعة الاستنتاج و استشفاف المخبات، حكيم بكل ما تؤديه هذه الكلمة من معنى، منقطع النظير في صدق الإلهام و سداد الفهم و صدق العزيمة"<sup>50</sup>

### 3- ظهور الزعامات الوطنية ودولة الامير عبد القادر الجزائري

#### 4- مقاومة الأمير عبد القادر بالغرب الجزائري (1830-1847)

أ- الوضع العام لإقليم الغرب : كان يتسم الإقليم الغربي للجزائر بفراغ سياسي و عدم الأمن ، نتيجة تخلي الباي " حسن " الذي كان يحكم إيالة الغرب عن السلطة يوم 7 جانفي 1831 ، و قد جاء هذا الاستسلام للعدو بعد أن قام الجيش الفرنسي باحتلال ميناء المرسى الكبير يوم 4 جانفي 1831 و من جهة أخرى بعث حضر سكان تلمسان بوفد إلى السلطان المغربي " عبد الرحمن بن هشام " يطلبون منه الحماية و بعد تردد قبلها ، فأرسل في شهر نوفمبر 1830 خليفته مولاي سليمان رفقة قوة من الجيش المغربي ليتولى حكم تلمسان ، فاحتج الجنرال كلوزال على هذا التدخل في الجزائر و هدد المملكة المغربية ، إلا أن سلطان المغرب لم يأخذ تهديداته بجدية و اصل عمله ، و عندما توسع نفوذ المغرب في الغرب الجزائري شعر الفرنسيون هذه المرة بالخطر الذي أصبح يهدد مصالحهم و نفوذهم في الجزائر ، فبعثت الحكومة الفرنسية مذكرة احتجاج و أرسلت الى سواحل مدينة طنجة المغربية يوم 18 نوفمبر 1831 سفينتين حربيتين ، و أمام هذا الضغط الدبلوماسي و العسكري استسلم في الأخير السلطان المغربي لأوامر الملك الفرنسي " لوي فليب " و سحب قواته من التراب الجزائري . و لملء الفراغ السياسي في الغرب الجزائري بادر الجنرال كلوزال إلى تعيين باي تونس حاكما على وهران بموجب الاتفاقية التي تمت بين الطرفين يوم 4 فيفري 1831 ، و هذا مقابل دفع ضريبة سنوية لحكومة فرنسا . إلا أن

<sup>50</sup>- المرجع السابق ، بشير بلح ، تاريخ الجزائر المعاصر ( 1830-1989 ) ، ص 300

قوات باي تونس انسحبت بسبب عدم وجود أية سلطة تدفع رواتبهم و كذلك بسبب استياء باي تونس من المبلغ المالي الكبير الذي يدفعه الى فرنسا. و هناك بعض الروايات تقول أن قوات باي تونس انسحبت لأنه وجد أمامه خزينة فارغة من الأموال.

و أمام هذا الوضع القائم في اقليم الغرب الجزائري إلتجأ سكانه إلى شيوخ الزوايا و لم يجدوا أفضل من الشيخ محي الدين كقائد يوحدهم و يقود المقاومة ، فطلبوا منه الامارة فرفضها و قبل الجهاد في سبيل الله .  
**ب- بداية مقاومة الأمير عبد القادر كقائد في صفوف جيش والده :** شارك الأمير عبد القادر في الهجومات التي شنها والده محي الدين على العدو الفرنسي المتواجد بمدينة وهران ، و قد تمكن الشيخ محي الدين من مضايقة العدو ، و في هذه الفترة برزت شخصية ابنه " عبد القادر " ، حيث أظهر في المعارك التي شارك فيها مع والده شجاعته و بطولته أبهرت المجاهدين .

قاد محي الدين المجاهدين في مواجهة الفرنسيين و أعوانهم بوهران منذ 17 أبريل 1832 ، و كان أول هجوم قام به على سرية استطلاع فرنسية من مائة ضابط و جندي في منطقة وهران ملحقا بها بعض الخسائر . و في مطلع ماي من نفس السنة خاض محي الدين برفقة ابنه عبد القادر و بقية المجاهدين عددا من المعارك المجيدة ضد العدو هاجموا فيها على بعض المعسكرات و الحصون الفرنسية بمدينة وهران ، و ألحقوا به هزائم نكراء أجبرتهم على الانسحاب ، و كان أهم هذه المعارك :

. معركة خنق النطاح الأولى يوم 4 ماي 1832 :

. معركة خنق النطاح الثانية في 4 جوان 1832 :

أسند محي الدين في هذه المعركة الراية إلى ابنه عبد القادر الذي كان بطل المعركة ، حيث قسم جيشه إلى خمس فرق : فرقتين للقتال ، و فرقتين للدفاع ، و خامسة كمننت وراء العدو ، و فاجأته عند تقهقره إلى الورا و أبادته عن آخره و استولت عن كل السلاح و الذخيرة .

. معركة برج رأس العين : في الجهة الغربية من وهران

**ت-بيعة الأمير عبد القادر :** رغم الانتصارات التي حققها الجزائريون في غرب البلاد ، لكنهم كانوا على يقين بأن المعركة مازالت طويلة مع العدو من جهة ، و أن الاقليم محتاج إلى شخص ينظم إدارته من جهة أخرى .  
و لهذا عرضت قبائل و أعيان الغرب للمرة الثانية من الشيخ محي الدين الامارة بتاريخ 22 نوفمبر 1832 ، قائلين له " إلى متى يا محي الدين و نحن بلا قائد ؟ إلى متى و أنت واقف جامد متفرج على حيرتنا . أنت يا من يكفي إسمه فقط يجمع كل القلوب لتدعيم و تماسك القضية المشتركة... " و قد أضاف أحد الحاضرين قائلا لمحي الدين " عمت الفوضى في البلاد و العدو دخل المساجد ، و أحرق الكتب ، و هدم الدور على أصحابها ، و لا بد من سلطان له سلطة شرعية ، و قد اخترناك لتحمل هذه المسؤولية"<sup>51</sup>

لكن الشيخ محي الدين اعتذر مرة أخرى لكبر سنه و قال " أشكر ثقتم و لكن أعتذر عن قبول هذا المنصب فأنا الآن أقوم بواجبي الديني و الوطني مجاهدا في سبيل الله كأبي أحد منكم." و في ذات الوقت لم يمانع في ترشيح ابنه

<sup>51</sup>- المرجع السابق ، عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر ، ص ص 260-276

قائلا " إن كان رأيكم و تثقتكم بولدي عبد القادر كرايكم بي فأنا متنازل له عن هذه البيعة ، فتشاوروا فيما بينكم ، و إذا عقدتم العزم فموعدا في سهل غريس تحت شجرة الدردارة صباح الاثنين 27 نوفمبر 1832 . " و هذا ما حدث بالفعل فقد تمت مبايعة الأمير عبد القادر في نفس المكان و في نفس الموعد ، بايعوه بالإمارة و لقبوه ب " ناصر الدين " و كانت هذه البيعة الأولى .

و بعد البيعة الأولى ، و قعت بيعة ثانية ( البيعة العامة ) في قصر الإمارة بمعسكر في 4 فيفري 1833 .  
ث- بداية مقاومة الأمير عبد القادر كأмира و قائدا للجهاد : بمجرد مبايعته نادى الأمير عبد القادر نداء الجهاد ، فهرعوا إليه من كل حدب و صوب ، كان ناصر الدين يقوم بعمل مزدوج : توحيد صفوف الشعب و محاربة الفرنسيين ، و من أجل ذلك لعب دور القائد العسكري فقاوم الفرنسيين ، و لعب دور القاضي ففك المنازعات بين القبائل ، و لعب دور السياسي فألف بين الصفوف المتفرقة .  
بدأ الأمير عبد القادر هجوماته العسكرية ضد الجيش الفرنسي ابتداء من يوم 4 فيفري 1833 ، و في حقيقة الأمر أن الأمير عبد القادر كان يحارب على جبهتين في آن واحد : فمن جهة كان يحارب فرنسا ، و من جهة كان يحارب القبائل المتمردة و يحاول أن يوحد الصفوف و يعيد الأمر إلى نصابه ، لأن الأمير كان يدرك أن نجاح مقاومته من فشلها متوقف على الولاء و الطاعة و احترام قرارات دولته ، خاصة و أن فرنسا كانت تراهن على فشل العرب في تنظيم أنفسهم و صفوفهم للنضال و المقاومة .

و في هذا الصدد يقول شارل هنري تشرشل " لقد آمن عبد القادر إيمانا عميقا بضرورة الاتحاد المطلق بين مواطنيه ، لكي يحقق لهم استقلالهم المشترك ، لقد قرر أن يفارح بسيفه الذين يشكون أو يحاولون أن يقاوموا سلطته . " دوافع مقاومة الأمير عبد القادر :

1 - بداية الانتشار الاستعماري في الغرب و ذلك بعد احتلال فرنسا لعاصمته وهران في 4 جانفي 1831 .

2 - انتهاء السيادة العثمانية على الجزائر و سقوط الحكم التركي ، و اشتداد الحاجة إلى قيام سلطة جزائرية تقود الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين .<sup>52</sup>

3 - الغيرة الشديدة على الاسلام و الوطن من عدوان و تدنيس المحتلين الظالمين ، و الحرص على صيانة أسس المجتمع الجزائري.

4 - انتشار الفوضى في المناطق الغربية ، و حرص الأمير على توحيد القبائل و تنظيمها.

5- تخلي المغرب و الدولة العثمانية عن نجدة الجزائر في مواجهة العدوان .

ج- مراحل مقاومته : مرت مقاومة الأمير عبد القادر بثلاث مراحل نوجزها فيمايلي :

**1- مرحلة الانطلاق و القوة ( 1832-1837 ):** سميت هذه المرحلة بالانطلاق لأنها شهدت بداية مقاومة الأمير عبد القادر للاحتلال الفرنسي كأمير و قائد للجهاد ، و بداية بناء اللبنة الأولى للدولة الجزائرية الحديثة هذا من جهة و

<sup>52</sup>- سعيدوني ناصر الدين ،دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر ، الجزائر 1985 ، ص 165

وصفت من جهة أخرى هذه المرحلة بالقوة لأن ميزان القوة كان لصالح قوات الأمير ، حيث تفوق في أغلب المواجهات العسكرية بينه وبين العدو ، و انتهت هذه المرحلة بإبرام معاهدة التافنة التي اعترفت فيها فرنسا بدولته.<sup>53</sup> و فيما يلي نستعرض أهم الأحداث التي شهدتها هذه الفترة :

. اتخاذ معسكر عاصمة له ، اعترافا لذور سكان منطقتها في انطلاق الجهاد المنظم.  
. شرع الأمير في تشكيل حكومته في فيفري 1833 ، و تعيين القضاة ، و تنصيب الولاة في مختلف أنحاء الإمارة ، كما شكل مجلسا للشورى من 11 عالما . علما أنه كان يدقق في اختيار خلفائه و أعوانه ، فكان يتحرى فيهم الكفاءة و القوة و التقوى . و بمرور الوقت أنشأ الأمير كذلك الدواوين و الإدارات المركزية .  
. عمل الأمير على توحيد القبائل حول مبدأ الجهاد و تحت سلطته ، و انتزاع من الفرنسيين كثيرا من القبائل التي كانت قد تحالفت معهم ، كما ألزمها بالتشبت بأرضها. و بالمقابل اعتبر المتعاونين معهم مرتدين عن الإسلام .  
. مقاطعة المحتلين و محاصرة مراكزهم في وهران و مستغانم ، و حملهم على الخروج من معاقلم لقتال بالداخل .  
. الاستيلاء على ميناء أرزيو و استخدامه في توريد السلاح و الاتصال بالعالم الخارجي .و ذلك قبل أن تستولي عليه فرنسا .  
. تنشيط مدن الداخل و السهول العليا كتلمسان و مليانة و المدينة و قصر البخاري ...و جعلها محاور اقتصادية و اجتماعية و عسكرية للدولة.  
. توسع نفوذ الأمير ليشمل كل الغرب الجزائري ماعدا وهران و مستغانم و أرزيو ، كما توغل في إقليم التيطري و استولى على مليانة في أفريل 1835 ، و على المدينة في الشهر التالي ، و توسع شرقا فأخذ مدينة بسكرة .  
. شرع في تكوين جيش نظامي وطني وفي.

### معاهدة ديمشال 1834 :

#### 1- الظروف التي وقعت فيها معاهدة ديمشال :

تمكن الأمير عبد القادر في المرحلة الأولى من مقاومته من مواجهة الجيش الفرنسي و إجباره على التمسك و الاكتفاء بالبقاء في مدن : مستغانم ، أرزيو و وهران ، و قد عمد الأمير إلى فرض حصار اقتصادي على هذه المدن الثلاثة . و في هذا الصدد يذكر بعض المؤرخين أن نظام الحصار الذي ضربه عبد القادر كان تأشير مهلك على القوات الفرنسية " حتى أصبحوا كالطيور الكاسرة يبحثون و يقعون على طعامهم في المناطق الداخلية".<sup>54</sup>  
و في أواخر شهر أكتوبر 1833 قام رجل من قبيلة " البرجية " باختراق الحصار ، و قصد أرزيو لتموين قوات الاحتلال ، و عندما أتم صفقة البيع مع العدو طلب من الفرنسيين توفير حماية له للعودة إلى قبيلته ، خشية من جنود الأمير ، فكان له ذلك حيث أرسلوا معه ضابط و أربعة جنود ، و في طريقهم اتقض عليهم 100 فارس جزائري ، فقتلوا جنديا و أسروا الباقين في معسكر .

على إثر هذه الحادثة كتب الجنرال ديمشال إلى الأمير يطلب منه إطلاق سراح الجنود الأسرى ، و يقول ديمشال في رسالته " هؤلاء الجنود الأسرى سقطوا في كمين بينما كانوا يحمون عربيا . " فكان رد الأمير " ذلك ليس حجة في

<sup>53</sup> - نفسه ، ص ص 170-180

<sup>54</sup> - بوعزوي يحي ، : الامير عبد القادر راند الكفاح الجزائري ، الجزائر 1964 ، ص 55

نظري ، فالحامون و المحمي كانوا سواء أعدائي ، و إن كل العرب الذين يشيدون بك هم ليسوا مؤمنين حقيقيين و جهلاء بواجبهم ."

و نظرا لشدة وطأة الحصار الاقتصادي المفروض على الفرنسيين في كل من وهران و مستغانم و أرزيو راسل الجنرال ديمشال الأمير لكن هذه المرة ليعرض عليه صراحة إجراء مقابلة معه و عقد معاهدة سلم تحقق دماء " شعبيين فرضت عليهما العناية الإلهية أن يتعايشا في ظل حكم واحد."

## 2 - توقيع المعاهدة في 26 فيفري 1834:

اضطر الجنرال الفرنسي ديمشيل إلى ابرام معاهدة هدنة مع الأمير عبد القادر بتاريخ 26 فيفري 1834، الذي اعتبرها هذا الأخير فرصة لتوطيد مركزه و توسيع نفوذه خارج اقليمه ، و كذا حيازة اعتراف العدو به و بدولته . و أهم ما نصت هذه المعاهدة من بنود نوجزها فيمايلي :<sup>55</sup>

- . وقف القتال بين الطرفين .
- . اعتراف ديمشيل بإمارة الأمير على كامل البلاد في المقابل اقراره لفرنسا على مدن : الجزائر ، وهران ، أرزيو و مستغانم.
- . تعيين وكلاء من الأمير عبد القادر بوهران و مستغانم و أرزيو ، كي لا تقع خصومة بين الفرنسيين و العرب ، و بالمثل يقام وكيلا عن فرنسا ضابط فرنسي في معسكر .
- . يلزم رد الأسرى من الفريقين.
- . اعطاء الحرية كاملة للتجارة .
- . تلتزم العرب بإرجاع كل من يفر إليهم من العسكر الفرنسي و يلتزم الفرنسيون بتسليم كل من يفر إليهم من أهل الجرائم الهاربين من القصاص إلى وكلاء الأمير في المدن الثلاث.
- . كل أوروبي سيعطى له إذا رغب في السفر داخل البلاد جواز سفر موقعا عليه من ممثلي الأمير و مصادقا عليه من القائد العام ، و بذلك يحصل على الحماية في جميع الأقاليم.<sup>56</sup>
- اعتبر الجنرال ديمشال توقيع هذه المعاهدة انتصارا دبلوماسيا ، حيث قال " إنني أعلن لكم استسلام إقليم وهران الذي يعتبر أكبر جزء في ولاية الجزائر و أكثرها محاربة ، الفضل في هذا الحادث الكبير يعود إلى الميزات التي امتازت بها القوات التي أقودها." أما الأمير عبد القادر فقد كان راضيا باعتبار أنه نجح في ارغام عدوه على طلب السلام ، و وضع شروطه الخاصة ، و لم يدفع أي جزية ، و لم توضع أي حدود على منطقتة و فضلا عن ذلك كانت عند الأمير وثيقة سرية وقع عليها ديمشال تقضي باعطاء الامير الحرية الكاملة لشراء الأسلحة من غير الرجوع إلى فرنسا و كذا احتكاره للتجارة ، بمعنى أن ممثلي الأمير هم الوحيدون المسموح لهم بشراء و بيع القمح و الشعير و باقي الانتاج الفلاحي ، و هم كذلك الذين يحددون الأسعار في الأسواق . و بناء على ذلك أصدر الأمير عبد القادر أوامره بمنع العرب من بيع منتوجهم الفلاحي مهما كان نوعه إلى المسيحيين سواء كانوا من أهل البلاد أو أجانب.<sup>57</sup>

<sup>55</sup> - بوعزيز يحي : ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20 ، ج 2 ط 2 منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، ص 345

<sup>56</sup> - تشرشل ، هنري : حياة الامير عبد القادر ، ترجمة لبو القاسم سعد الله تونس - الجزائر ، 1975 ، ص 200

<sup>57</sup> - الجليلي عبد الرحمن : تاريخ الجزائر العام ج 4 ، ط 4 بيروت 1984 ، ص 269

و على صعيد آخر استغل الأمير هذه الهدنة ليلتف إلى أحوال البلاد ، فعمل جاهدا على تشييد الحصون ، و إقامة القلاع ، كما قام على صنع السلاح و انتاج الذخيرة الحربية ، و في ذات الوقت عمل على تنظيم صفوف الشعب و توحيد الجماهير حوله دفاعا عن الوطن و حماية للدين.

### 3 - نقض المعاهدة :

و كعادتها قامت فرنسا بنقض معاهدة ديميشال ، فكما قال شكيب أرسلان " كانت معاهدات الدول الاستعمارية مع أهالي الأقطار ... هي في الغالب محاط استراحة بين الحملة و الحملة ، و منازل استجمام بين مراحل الحرب لاغير ، بحيث لا تعدم عذرا لدى توفر القوة في نقض المعاهدات التي لم تيرمها منذ البداية إلا على نية النقض .<sup>58</sup> حيث بمجرد عزل الحكومة الفرنسية الجنرال ديميشيل عن قيادة وهران في 15 جانفي 1835 ، و استبداله بالجنرال تريزيل ( Trézel ) حتى قام هذا الأخير بنقض المعاهدة ، و ذلك بعد اقدمه على توفير الحماية لقبائل الزمالة و الدوائر المتمردة على الأمير . و مقابل هذه الحماية اعترفت القبيلتان بسيادة فرنسا و التزامهما بدفع ضريبة سنوية . يذكر أن هذه القبائل استأنفت المبادلات الودية مع الفرنسيين ، فهدد الأمير أن يعيدها بالقوة إلى تلمسان ، و لكن تلك القبائل فضلت الحماية الفرنسية في الحال على التخلي عن منتجاتها الزراعية و تجارتها ، و قد لبي الجنرال تريزل طلبهم . حيث كان يري أن فرنسا تضيع وقتا حين تترك الفرصة للأمير ليشدد سلطانه و يقوي نفوذه ، و عليه فلا بد من محاربة الأمير و القضاء على قواته.<sup>59</sup>

و اعتبر الأمير عبد القادر هذا العمل منافيا و مخالفا للاتفاق المبرم بين دولته و دولة فرنسا ، حيث ينص الاتفاق " أن لا تقبلوا من يلتجئ إليكم من العرب ، كما أننا لا نقبل من يفر إلينا من الفرنسيين . " و أجابت فرنسا أن المعاهدة لا تشمل أشخاص يريدون تغيير محل إقامتهم و إنما تشمل على كلمة " هارب " ، و أجاب الأمير " إن الحكومة الفرنسية ملزمة بأن ترد إلي كل مذنب إلتجأ إليها ، إذا كان رجلا واحدا ، فكيف بالعشيرة و القبيلة ."<sup>60</sup> و بمجرد استئناف الطرفين الحرب ، خاض الأمير عبد القادر عدة معارك مع الجيش الفرنسي خسر في البعض منها و انتصر في البعض الآخر كمعركة التافنة المشهورة سنة 1836 .<sup>61</sup>

### 4- معاهدة التافنة ( 30 ماي 1837 ) :

اضطرت فرنسا أن تعقد صلحا آخر مع الأمير عبد القادر ، و كلفت هذه المرة الجنرال بيجو يوم 23 ماي 1836 بالتفاوض معه ، و ذلك لتحقيق الأغراض الآتية:

- . التفرغ للقضاء على مقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري.
- . إعداد فرق عسكرية خاصة بحرب الجبال.
- . فك الحصار عن المراكز الفرنسية.
- . انتظار وصول الإمدادات العسكرية من فرنسا.

<sup>58</sup>- يحي بو عزيز : حروب المقاومة الجزائرية كما صورتها الكتابات الغربية الفرنسية ، جامعة وهران 1982 ، ص ص 145 - 198

<sup>59</sup>- ابن عبد القادر محمد : تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، 1964 ، ص 286

<sup>60</sup>- البدوي ، احمد فوزي ، الامير عبد القادر الجزائري ، دبلوم ، جامعة القاهرة ، معهد الدراسات الافريقية 1964 م ، ص ص 120-189

<sup>61</sup>- اديب حرب : التاريخ العسكري والاداري للامير عبد القادر 1808-1847 ، ج 2 ، ش و ن ت ، الجزائر ، 1983 ، ص ص 256-278

أما الأمير عبد القادر فقد قبل الهدنة قصد تخفيف معاناة الشعب الجزائري و التقاط الأنفاس و توسيع نفوذه في البلاد و حيازة اعتراف فرنسا به ، مما قد يكسبه الاعتراف الدولي مستقبلا و يؤكد اعتداء فرنسا على بلاده و شعبه . و قد أدت الاتصالات بين الطرفين إلى ابرام معاهدة التافنة في 30 ماي 1837 و التي نصت على وجه الخصوص بمايلي:

- إن الأمير يعترف بسلطة دولة فرنسا على مدينة الجزائر و سهل متيجة ، و على مدن وهران و مستغانم و أرزيو.<sup>62</sup>
- على دولة فرنسا أن تعترف بإمارة الأمير عبد القادر على إقليم وهران و إقليم التيطري ، و القسم الذي لم يدخل في حكم فرنسا من إقليم مدينة الجزائر من الناحية الشرقية. و لا يحق للأمير أن يمد يده لغير ما ذكر من أرض الجزائر.
- يمكن للأمير أن يشتري من فرنسا البارود و الكبريت و سائر ما يحتاجه من الأسلحة.
- على فرنسا أن تتخلى للأمير على مدينة تلمسان و قلعة المشور و رشغون مع المدافع القديمة التي كانت فيها قديما و يتعهد الأمير بنقل الذخائر الحربية و الأمتعة العسكرية التي للعساكر الفرنسية في تلمسان إلى وهران.
- تطبيق مبدأ التجارة الحرة بين الطرفين.

و بناء على هذه الشروط تكون هذه المعاهدة اعترافا صريحا من حكومة فرنسا بإمارة الأمير التي أصبحت تشمل ثلاثة أرباع مقاطعة الجزائر زيادة عن ولاية وهران كلها ، باستثناء المدن السالفة الذكر.

## 2 - مرحلة تنظيم الدولة (1837-1839) ( الهدوء المؤقت ) :

استغل الأمير عبد القادر معاهدة التافنة و عاد لإصلاح حال بلاده و ترميم ما أحدثته المعارك بالحصون والقلاع و تنظيم شؤون البلاد ، و كذا لتعزيز قواته العسكرية و تنظيم دولته من خلال الإصلاحات الإدارية و التنظيمات العسكرية الآتية:<sup>63</sup>

- 1- تشكيل مجلس وزاري مصغر يضم رئيس الوزراء ، نائب الرئيس ، وزير الخارجية، وزير الخزينة الخاصة و وزير الأوقاف ... و اتخذت هذه الوزارة من مدينة معسكر عاصمة لها.
- 3- التقسيم الإداري للبلاد إلى ثماني مقاطعات ( ولايات) و كل ولاية يديرها خليفة ، و قسم الولاية إلى عدة دوائر و وضع على رأس كل دائرة قائدا يدعى برتبة آغا و تضم الدائرة عددا من القبائل يحكمها قائد ، و يتبع القائد مسؤول إداري يحمل لقب شيخ<sup>64</sup>.
- 4- تنظيم الميزانية وفق مبدأ الزكاة و فرض ضرائب إضافية لتغطية نفقات الجهاد و تدعيم مدارس التعليم... الخ.
- 5- تدعيم القوة العسكرية بإقامة ورشات للأسلحة و الذخيرة و بناء الحصون على مشارف الصحراء حتى يزيد من فاعلية جيشه.
- 6- تصميم علم وطني وشعار رسمي للدولة.
- 7- ربط علاقات دبلوماسية مع بعض الدول

<sup>62</sup> - يحي بوعزيز ، الأمير عبد القادر راند الكفاح الجزائري ، طبعة منقحة ، تونس الدار العربية للكتاب ، 1983 ، ص56  
<sup>62</sup> - شارل هنري تشرشل ، ترجمة و تقديم و تعليق أبو القاسم سعد الله ، حياة الأمير عبد القادر ، الدار التونسية للنشر ،

<sup>64</sup> - صالح فركوس ، المختصر في تاريخ الجزائر ( من عهد الفينقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق.م - 1962 م ) ، ( ب.ط ) ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، ( ب.س.ط ) ، ص167

### 3- مرحلة الضعف (1839-1847) حرب الإبادة:

بادر المارشال فالي إلى خرق معاهدة التافنة بعبور قواته الأراضي التابعة للأمير ، فتوالت النكسات خاصة بعد أن انتهج الفرنسيون أسلوب الأرض المحروقة ، كما هي مفهومة من عبارة الحاكم العام الماريشال بيجو: " لن تحرثوا الأرض، و إذا حرثتموها فلن تزرعوها ،وإذا زرعتوها فلن تحصدها"<sup>65</sup>.

فلجأ الفرنسيون إلى الوحشية في هجومهم على المدنيين العزل فقتلوا النساء و الأطفال و الشيوخ ، و حرقوا القرى والمدن التي تساند الأمير.

و في هذه المرحلة بدأت الكفة ترجح لصالح العدو بعد استيلائه على عاصمة الأمير تاقدامت 1841، ثم سقوط الزمالة -عاصمة الأمير المتنقلة- سنة 1843 و على إثر ذلك اتجه الأمير إلى المغرب في أكتوبر عام 1843 الذي ناصره في أول الأمر ثم اضطر إلى التخلي عنه على إثر قصف الأسطول الفرنسي لمدينة (طنجة والصويرة )، و تحت وطأة الهجوم الفرنسي يضطر السلطان المغربي إلى طرد الأمير عبد القادر، بل و يتعهد للفرنسيين بالقبض عليه. الأمر الذي دفعه إلى العودة إلى الجزائر في سبتمبر 1845 محاولا تنظيم المقاومة من جديد.

### 4- محاصرة الأمير و استسلامه عام 1847م

اضطر الأمير عبد القادر إلى الانسحاب إلى المغرب الأقصى أمام ضغط الجيش الفرنسي القوي طالبا من سلطان المغرب عبد الرحمن بن هاشم مساعدته محذرا اياه من سقوط الجزائر ، لأن ذلك سيؤدي إلى سقوط المغرب و بلدان إسلامية كثيرة تحت السيطرة الإستعمارية ، لكنه لم يستمع إلى نصائح الأمير متذرا بمواجهة المتمردين ضد السلطان في المغرب، و كأن مواجهة الشعب الثائر ضده أفضل من مواجهة العدو الكافر الذي يهدد أرض الإسلام.<sup>66</sup> و أكثر من ذلك تعاون هذا السلطان مع الجيش الفرنسي لمحاصرة الأمير عبد القادر الذي اضطر للإستسلام في عام 1847 بعد محاصرته من طرف الجيش الفرنسي شرقا و جيش السلطان المغربي غربا و خيانة بعض القبائل له. و لم يستسلم الأمير إلا بعد أن اشترط على الجيش الفرنسي إعطاء عهد الأمان لجميع رفاقه وجنوده و السماح لهم بالإلتحاق بقبائلهم، أما هو فطلب السماح له بالهجرة إلى الإسكندرية بمصر أو عكا بفلسطين، و إذا لم تقبل فرنسا بهذين الشرطين فإنه الجهاد حتى الموت. و كان هدف الأمير من ذلك هو إبقاء شعلة المقاومة ضد الإستعمار ملتبهة على يد رفاقه بعدما يضمن لهم الحياة، و هذا ما حدث بالفعل فيما بعد مما يدل على بعد نظر الأمير عبد القادر.

### 5\_ مقاومة الحاج أحمد باي بقسنطينة (1830-1848)

أ- مقاومة أحمد باي إثر احتلال الجزائر العاصمة :

كان الحاج أحمد باي من الأوائل الذين قاوموا الاستعمار الفرنسي ، حيث عندما تأكدت الحملة الفرنسية على الجزائر بعث الداوي حسين إلى أحمد باي يأمره بالقدوم إلى العاصمة عام 1830 لتقديمه " الدنوش " للداوي في مدينة الجزائر ، و قد أمره الباشا أيضا بتحصين ميناء عنابة و أخطره بالمشروع الفرنسي ، و ما دام لم يطلب منه الإتيان

<sup>65</sup> - بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر ( 1830-1989 ) ، ج 1 ، الجزائر ، دار المعرفة ، ( ب.س. ط ) ، ص98

<sup>66</sup> - صالح فركوس ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ( 1830-1925 ) ، ( ب . ط ) ، الجزائر ، مديرية النشر لجامعة

08 ماي 1945 قالمة ، 2010 ، ص45

بالجيش معه فإنه لم يصحب معه سوى حوالي 400 فارس ، و بعض أعيان قسنطينة و قوادها . و بعد وصول أحمد باي إلى العاصمة أعلمه الداي حسين بتفاصيل الحملة الفرنسية و طلب إليه أن يستعد لملاقاة الفرنسيين في سيدي فرج . حضر الحاج أحمد مجلسا عسكريا قرب اسطوالي شارك من خلاله في مناقشة طويلة بين أعضائه حول وسائل الدفاع ، غير أن رأي أحمد باي تعارض مع رأي قائد الجيش ابراهيم آغا و سبق و أن أشرنا إلى تلك الخطة الدفاعية الذكية التي اقترحها الباي على قائد الجيش ابراهيم آغا لمواجهة الفرنسيين ، و التي رفضت من طرف هذا الأخير .<sup>67</sup>

شارك أحمد باي في المعارك الأولى في سيدي فرج و اسطوالي ، هذه الأخيرة فقد فيها 200 من رجاله . و بعد استيلاء الفرنسيين على قلعة مولاي حسن انسحب الحاج أحمد إلى وادي القلعة ثم إلى عين الرباط ( مصطفى باشا الآن ) شرق العاصمة ، ثم تابع طريقه شرقا في اتجاه قسنطينة ، بينما انضم إليه أكثر من 1600 شخص من الأهالي الفارين من الجيش الفرنسي

و في طريقه إلى عاصمة بايلكه تلقى احمد باي رسالة من قائد الحملة الفرنسية الجنرال دي بورمون يطلب فيها منه أن يوقع على معاهدة الاستسلام و يعرض عليه اعتراف فرنسا به كما هو ، إذا قبل دفع الجزية التي تعود دفعها الى الباشا . و كان جواب الحاج أحمد باي على هذا العرض هو أن السلطة توجد بيد جميع سكان قسنطينة و مقاطعاتها و سيستشيرهم في الموضوع بعد العودة الى المدينة.

#### ب- بداية مقاومة أحمد باي بشرق العاصمة :

عندما استقر أحمد باي في مدينة قسنطينة اجتمع بأعضاء الديوان و تباحث معهم في المسألة المتعلقة بعرض دي بورمون ، فكان رد الجميع الرفض لأن قسنطينة تابعة لباشا الجزائر و تمتثل لأوامره ، و هي بدورها تمتثل لأوامر اسطنبول ، و لهذا لا بد من الكتابة إلى السلطان محمود الثاني و الحصول على موافقته.

و على صعيد آخر شرع أحمد باي في التخلص من الجنود الإنكشاريين و تعويضها بعناصر وطنية ، و بالتالي اعتمد أحمد باي في مقاومته للاحتلال الفرنسي على تأييد الجيش العربي الذي أخذ في تكوينه كونه أصبح لا يثق في الاتراك بعد الانقلاب الذي قاده هؤلاء ضده عندما كان في العاصمة . كما عمل على تحصين عاصمته قسنطينة ، ثم قام ببناء ثكنات جديدة مستوعبا بها جنودا من الوطنيين الجزائريين .<sup>68</sup>

#### ت- مراحل مقاومته :

##### 1- المرحلة الأولى : 1830- 1837 : يمكن تلخيص أهم الأحداث المرتبطة بهذه المرحلة فيمايلي :

محاولات أحمد باي العديدة لإقناع السلطان العثماني بالاعتراف به واليا على الجزائر ، و إمداده بمساعدات عسكرية يستعين بها على قتال الفرنسيين ، لكنه لم يحظ منه سوى بوعود و تشجيعات ، و ذلك خوفا من فرنسا التي لم يتردد سفيرها في اسطنبول في الاعلان أن بلاده ستعبر توجيه رتبة الباشا إلى باي قسنطينة بمثابة إعلان حرب عليها . ففي إحد محاولات أحمد باي في الحصول على النجدة من السلطان العثماني رد عليه هذا الأخير بأن " السلطان في حالة سلم مع الدول المسيحية و لا يمكنه إعلان الحرب على فرنسا بسبب قضية الجزائر ، أو بالأحرى قضية قسنطينة و لكنه طلب من الحاج أحمد أن يستمر في نضاله ضد الفرنسيين و أن لا يوقع أي صلح معهم إلا بعد مشاورته."

<sup>67</sup>- عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962 ، ط 1 ، بيروت ، دار العرب الاسلامي ، ، 1997ص ، 123

<sup>68</sup>- نفس المرجع السابق ، ص 147

يذكر بعض المؤرخين أن الحاج أحمد باي لم يبأس من بعث رسائل عبر وفوده الى السلطان العثماني يلح فيها على طلب المساعدة المادية ، مؤكدا على أنه مستعد للتضحية من أجل الدين ، و مشيرا في رسائه كذلك أن الفرنسيين يقتربون منه يوما بعد يوم ، و كان السلطان في كل مرة يرد عليه بأن " السلطان لم ينسهم و أن عليهم بالصبر و الإيمان ، و أن السلطان يعمل على إبقاء إقليم قسنطينة تحت طاعته ، و كذا أن عليهم أن لا يقبلوا أي شرط بدون موافقته .<sup>69</sup>

يذكر بعض المؤرخين أن أحمد باي عندما انتصر على القوات الفرنسية سنة 1836 بعث برسالة أخرى الى السلطان العثماني يشرح فيها وقائع الحادثة و يطلب منه المساعدة ، فلبى السلطان هذه المرة نداه و أرسل له سنة 1837 عن طريق تونس أربع سفن حربية محملة بالجنود الأتراك و المدفعية ، لكن باي تونس خوفا من فرنسا لم يسمح إلا بنزول المدافع و لم يسلمها لأحمد باي.

كان احتلال فرنسا لعنابة أهم موانئ إقليم قسنطينة عام 1832 سببا في توتر مستمر بين فرنسا و الحاج أحمد حيث شرعت قوات الاحتلال بقيادة يوسف المملوك بالإغارة على القبائل الجزائرية و التنكيل بها و نهبها ، و قد حاول علي بن عيسى خليفة أحمد باي استرجاع عنابة في جوان 1833 لكنه فشل .<sup>70</sup>

. حاولت فرنسا جاهدة أن تقضي على مقاومة الحاج أحمد باي ، فسعت إلى التفاوض معه عدة مرات ، لكنها كلها محاولات باءت بالفشل ، حيث كان أحمد باي يصر دائما على موقفه الراض توقيع أي معاهدة استسلام مع العدو . و كانت أولى هذه المفاوضات مع الجنرال دي بورمون سنة 1830 - كما سبق الذكر

تلتها المحاولة الفاشلة للجنرال كلوزال الذي بعث له برسالة يطلب فيها منه تعيينه بايا على قسنطينة باسم ملك الفرنسيين شريطة أن يدفع الجزية ( اللازمة ) لفرنسا ، و لكن الحاج أحمد باي كان يعتقد أن سلطاته مستمدة من الشعب و من السلطان العثماني جمع ديوانه و استشاره ، فكان رد الديوان الرفض القاطع.

و لما قدم " الدوق دي روفيقو " إلى الجزائر لتولي منصب الحاكم العام في 17 ديسمبر 1831 سعى هو الآخر للتفاوض معه و جعله يعترف بالسيادة الفرنسية و يستسلم لفرنسا ، و للمرة الثالثة تفشل المفاوضات مع أحمد باي الذي بعث برسالة مؤرخة في 14 ديسمبر 1832 إلى حمدان خوجة ردا على المهمة التي كلفه بها الدوق قائلا فيها: " ...لقد وقع السؤال منهم سابقا ( الفرنسيون) من أول الأمر و تكرر صدور الجواب منا بعدم الإمكان ... و بينا وجه تعسب الأمر و تعسره و عدم إمكانه و تعزره ، سابقا و لاحقا ..."

و بينما كان الفرنسيون يستعدون لجولة أخرى ضد قسنطينة حاولوا فتح المفاوضات من جديد مع أحمد باي و هذه المرة كان يمثل الطرف الفرنسي الجنرال " دامريمون " عبر وسيطين يهوديين ، و مرة أخرى يرفض أحمد باي اقتراحات الفرنسيين التي تتمثل في دفع مليونيين من الفرنكات ضربية الحرب و إقامة حامية فرنسية في قسبة قسنطينة ، في مقابل أن تعترف به فرنسا بايا على الاقليم ، باستثناء المناطق التي تحتلها هي .

<sup>69</sup> - عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط 1 ، الجزائر ، دار ربحانة ، 2002 ص ، 231

<sup>70</sup> -- صالح فركوس ، المختصر في تاريخ الجزائر ( من عهد الفينقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق.م - 1962 م ) ، ( ب.ط ) ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، ( ب.س.ط ) ص 54

و عندما خلف الماريشال فالي الجينرال دامريمون بعد مقتل هذا الأخير ، حاول فالي أن يتفاوض من جديد مع الباي أحمد ، فكان يعده و يمينه بإعادة منصبه كباي للحيلولة دون وحدته مع الأمير عبد القادر . لكن أحمد باي ظل متمسكا بموقفه الراض للاستسلام .

#### • الغزو الفرنسي الأول لقسنطينة 1836 :

عندما تمكنت فرنسا من احتلال ميناء عنابة ، و بنست من ارغام أحمد باي على الاستسلام ، بدأت تهدده بالإطاحة به ، ثم قررت أن تستولي على عاصمته و تضع حدا لمقاومته . و من أجل ذلك جهزت حملة قوامها نحو 8700 رجل ، خرجت من عنابة يوم 8 نوفمبر 1836 بقيادة كلوزيل .

و من جهته جند أحمد باي 1500 رجل من المشاة و 5000 من الفرسان و استعد لمواجهة الجيش الفرنسي في واد الكلاب لكنه انسحب إلى مدينة قسنطينة عندما شعر أنه غير قادر على محاربتهم لأن جيشهم كان أقوى .

على صعيد آخر قسم أحمد باي قواته إلى قسمين : قسم يضم ألف رجل ( 1000 ) مزودين بثلاثين ( 30 )<sup>71</sup>مدفعا على الأسوار و في القصبة ، و كلف هذا القسم الذي كان تحت قيادة خليفته ابن عيسى كلف بالدفاع عن المدينة من الداخل . أما القسم الثاني الذي كان بقيادة الباي و يتكون من 5000 فارس و 1500 من المشاة المتطوعين و مدافع ميدان خفيف ، فتولى محاولة عرقلة القوات الغازية ( دون نجاح ) ، و ضربها خارج المدينة من الخلف ، ما يجعل تلك القوة عند بلوغها أسوار قسنطينة بين نارين<sup>72</sup> .

بلغت الحملة الفرنسية قسنطينة يوم 21 نوفمبر 1836 منهكة جراء الغارات التي استهدفتها على طول الطريق ، و تهاطل الأمطار و الثلوج غير المعهودة في تلك الفترة من العام ، و التي عرقلت تقدمها .

ضربت القوات الفرنسية على قسنطينة حصار دام ثلاثة أيام ( 21-22-23 نوفمبر ) ، و في اليوم التالي رفع الغزاة حصارهم بعدما تكبدوا خسائر جسيمة و أوشكت ذخائرهم على النفاذ ، و انسحبوا إلى عنابة منهزمين . و قد دفعت تلك الهزيمة الحكومة الفرنسية إلى عزل كلوزيل من منصبه في 13 جانفي 1837 ، و تعيين الجنرال " دامريمون " ( Damrémont ) خلفا له ، و اعداد حملة غزو ثانية.

#### الغزو الثاني لقسنطينة 1837 :

بعد إبرام الفرنسيين معاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر ، تفرغوا مجددا لقتال أحمد باي ، فسيروا حملة كبيرة إلى قسنطينة بقيادة الحاكم العام " دامريمون " ضمت 20.400 رجل ، و مدفعية قوية بقيادة الجنرال فالي ( Valée ) ، و فرقة هندسة عالية التجهيز .

و بالمقابل كان أحمد باي مستعدا للقتال مرة أخرى ، حيث جمع شيوخ القبائل و القواد و جند منهم 5000 فارس و 2000 راجل ، بالإضافة إلى الجيش النظامي الذي يعمل بأمره شخصيا .

هاجم أحمد باي طلائع الحملة الغازية عند مجاز عمار ( قرب قالمة ) ثلاثة أيام ، و لما عجز عن دحرها ، قرر إعادة تطبيق خطة حرب السنة الماضية التي ساعدته على الانتصار ( مواجهة الجنود الفرنسيين من داخل المدينة

<sup>71</sup> - أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ( بداية الاحتلال ) ، ط 3 ، الجزائر ، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع ،

1982، ص 54

<sup>72</sup> - بوعزة بوضرساية : الحاج احمد باي رجل دولة ومقاوم 1826-1848 الجزائر 1993 ، ص 268

المحصنة و ضربهم من الخلف) ، لكن في هذه المرة لم تنجح لأن القوات الفرنسية كانت أكثر استعدادا و أوفر عددا و عدة من المرة السابقة .

وصلت الحملة الفرنسية إلى قسنطينة يوم 5 أكتوبر 1837 و حاصرتها ، و أمطرت القوات أسوار المدينة بوابل لا يكاد ينقطع من القنابل ، مركزين على أجزاء من الأسوار الجنوبية الغربية . و من الثغرات التي أحدثتها الضربات في أسوار المدينة دخل الغزاة قسنطينة في 13 أكتوبر 1837 ،

بينما كان المواطنون يحاربونهم من دار إلى دار و من شار إلى شارع ، و أثناء هذه الجولة قتل دامريمون القائد العام للجيش الفرنسي فتولى مكانه الجنرال فالي ، كما قتل البجاوي خليفة الحاج أحمد في قسنطينة و تكبد الحاج أحمد خسائر كبيرة و هلك أحسن جنده . أما ابن عيسى الذراع اليمنى لأحمد باي فقد تخلى عنه و عرض خدماته على الفرنسيين الذين خسروا الجنود و العتاد و كانوا يعانون من قلة المؤونة .

و بعد سقوط قسنطينة اختل الغزاة سكيكدة في 8 أكتوبر 1838 و جيجل 13 ماي 1839 ، فأكملوا سيطرتهم على الساحل الشرقي للجزائر.<sup>73</sup>

**2- المرحلة الثانية 1837-1848 :** رغم ضياع عاصمة بايلك الشرق إلا أن الحاج أحمد باي أبى إلقاء السلاح و الاستسلام للعدو ، رغم أن فرنسا عرضت عليه الأمان و حمله إلى بلاد اسلامية فرفض . و من بين الأحداث التي ميزت هذه الفترة نذكر مايلي :

. تركزت جهود أحمد باي في هذه المرحلة على محاربة الفرنسيين و خصومه الجزائريين ، فبالنسبة إلى خطته الجديدة لمقاومة الفرنسيين اقترح بقطع خط التموين عليهم الرابط بين عنابة و قسنطينة ، لكن صهره اعترض على هذه الخطة و أراد أن يحارب فرحات ابن سعيد أولا ثم الفرنسيين.<sup>74</sup>

. امتثل أحمد باي لرأي خاله بوعزيز بن قانة و انسحب إلى الزيبان لمواجهة خصمه فرحات بن سعيد الذي كان يحكم بسكرة ، فاستهدفه بن سعيد في الطريق لكن احمد باي تمكن من هزيمته و إزاحته من منصبه ، حكم الحاج أحمد بسكرة بضعة أشهر إلى أن انتزعها منه خليفة الأمير عبد القادر في ماي 1838 و في هذا السياق يقول أحمد باي في مذكراته " ... و عليه انضمت إلى رأي بوعزيز و لو أن الله هداني في ذلك الوقت ، لفهمت أنه يريد جلبي إلى الصحراء ليأخذ أمواله عن آخرها ، ... و أكرر قد اتبعت رأي بوعزيز و كان ذلك هو مصابي الأعظم ."

. ظل الحاج أحمد باي يقاوم باعتماده على حرب العصابات ، فكان ينتقل من قبيلة إلى أخرى ، و من الجبل إلى الصحراء ، في كل من بسكرة ، نواحي عين البيضاء ، النمامشة ، الأوراس و أولاد سلطان غربي باتنة الحضنة ... محاولا تعبئة القبائل لمواصلة الجهاد و مهاجمة المراكز العسكرية الفرنسية إلى غاية صيف 1848 .  
. مراسلة الأمير عبد القادر لأحمد باي بهدف توحيد صفوف المقاومة لكنه رفض ذلك ، و ذلك حسب ما جاء في تقرير الجينوال " قالبوا " الذي بعث به إلى الحاكم العام بالجزائر ، بتاريخ 26 أوت 1839 .

<sup>73</sup> - بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر ( 1830-1989 ) ، ج 1 ، الجزائر ، دار المعرفة ، ( ب.س.ط ) ، ص 135

<sup>74</sup> - باي احمد : مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، تقديم وتحقيق وترجمة محمد العربي الزبيري ، ط 2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982 ، ص ص 120-259

. اصرار العدو على استسلام أحمد باي عن طريق التفاوض معه من جديد ، حيث في سنة 1838 بعث الجينرال " نيفريي " رسالة إلى أحمد باي جاء فيها : " ...إنك تحاول ( الحاج أحمد) إثارة الجماهير ...و عليه ينبغي أن أقاتلك أينما وجدتك ...إن استسلامك الكلي ، يمكن وحده أن ينفذك من الهلاك ...و ليس لك إلا أن تثق في شرف فرنسا ...بهذا الشرط أضمن لك الأمن و لعائلتك و أملاكك..."

. انتهاء مقاومة الحاج أحمد باي للاحتلال الفرنسي سنة 1848 بعد أن دامت 18 سنة ، حيث عرضت عليه السلطات الفرنسية في باتنة و بسكرة الاستسلام و إعادة كل أشيائه إليه و أخذه ليعيش في بلاد إسلامية ، فقبل هذه المرة العرض بعد أن تقدم في السن ، و قل أنصاره و فقد موارده المالية ، و تكاثر المتآمرون عليه من الجزائريين ، و حاصره الفرنسيون بقوات متخصصة في حرب الجبال في معقله بجبل " أحمر خدو" (الأوراس ) بالتعاون مع عملائهم.<sup>75</sup> يذكر أحمد باي في مذكراته أنه وضع شروطا مقابل الاستسلام و هي : استرجاع أملاكه و ثرواته ثم السماح له بالسفر تحت رعاية فرنسا إلى بلد إسلامي. و يقول في هذا الصدد " ...جئنت إلى الفرنسيين راضيا تحذوني إرادة صادقة في وضع حد للحرب الطويلة التي ظلت قائمة بيني و بينهم ، و ذلك بإبرام اتفاق متين و أمان مشرف."

. بعد استسلام أحمد باي يوم 5 جوان 1848 الى الرائد " دوسان جرمان " توجه إلى بسكرة أين أقام فيها ثلاثة أيام ، ثم إلى باتنة أين أمضى فيها يومين ، و في اليوم الثالث توجه إلى قسنطينة . و في أثناء استحوذته أفكار متعددة ، حيث يقول أحمد باي " إنني أذهب بلا أملاك و لا قوة إلى المدينة التي رأيتي سيدا في أوج عزتي و حيث مارسلت سلطة السيادة . و لكن الله كيف نفسي و تجلت إرادته ، و أي إنسان يستطيع الافلات من أيدي القدر فسبحان الله و جل جلاله." و من قسنطينة التي بقي فيها ثلاثة أيام توجه إلى سكيكدة ثم إلى العاصمة أين خصصت له السلطات الفرنسية مسكنا أقام فيه مع أسرته و خدمه و منحة سنوية قدرها 12 ألف فرنك ، لكنها لم تسمح له بالهجرة و توفي سنة 1850.<sup>76</sup> أسباب فشل مقاومة أحمد باي :

. اجتمعت عدة عوامل ساهمت في إضعاف مقاومة أحمد باي ، نوجزها في النقاط التالية :

- 1 -موت أو تخلي أحد قواده عنه و خلافه مع خاله بوعزيز
  - 2- محاولة الامير علد القادر مد نفوذه الى اقليم قسنطينة بتوجيه نداء إلى أعيانه و تعيين خلفاء له فيه .
  - 3- غيرة باي تونس منه الذي كان يكيد له لدى القبائل المجاورة و لدى السلطان العثماني.
  - 4- تحريض فرنسا عليه القبائل و خلق له الصعوبات أينما حل ، لأنها كانت ترى في وجوده بين العرب علامة خطر
  - 5- سلبية السلطان الذي كان الحاج أحمد يعتمد عليه حتى بعد سقوطه.
- بالإضافة إلى الأخطاء التي ارتكبها أحمد باي و كانت من أسباب فشله :
- . محاباته لقرابته و أوليائه على حساب الصالح العام ، فمثلا انتزع مشيخة عرب الزيبان من فرحات بن سعيد ، و إسنادها إلى خاله بوعزيز بن قانة الذي أصبح فيما بعد من كبار عملاء فرنسا التي عينته شيخ العرب .
- . غدره بمن أعانوه على إحباط مؤامرة الانكشارية عام 1830 .

<sup>75</sup> - صالح فركوس ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ( 1830-1925 ) ، ( ب . ط ) ، الجزائر ، مديرية النشر لجامعة

08 ماي 1945 قالمة ، ، 2010 ص ، 176

<sup>76</sup> - بوعزيز يحي : كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، الجزائر ، م.و.ك 1986 ، ص ص 134-167

. اعلانه الحرب على عائلة بوعكاز غداة ضياع قسنطينة عام 1837 لتحقيق أغراض عائلية في الجنوب ، بدلا من مناخزة الفرنسيين في الشمال .

الجدير بالذكر أن أحمد باي واجه أثناء مقاومته للاحتلال الفرنسي عدة جبهات :

. جبهة ضد فرنسا : لتي جندت جميع قواتها للقضاء على مقاومته ، كما أنها سعت للاستمالة شيوخ القبائل مقابل منحهم مناصب إدارية و نفوذا على أتباعهم و تأمين أملاكهم .

. جبهة ضد تونس : حيث نجح كلوزال في خلق توتر بين الجزائر و تونس و ذلك بسبب المعاهدة التي وقعها مع باي

تونس في 18 أكتوبر 1830 و التي نصت على عزل أحمد باي و منح أحد أشقاء باي تونس الخلافة على بايلك

قسنطينة . و لكن فرنسا لم توافق على هذه المعاهدة و بعد توقيع المعاهدة انتشرت الرسائل في اقليم قسنطينة من باي

تونس تدعو الناس إلى الثورة ضد الحاج أحمد و تعلن انضمام قسنطينة إلى تونس . و كان رد أحمد باي بأن باي

تونس ليس من حقه المطالبة بقسنطينة و أن أهلها راضون بحكمه .

. جبهة ضد فرحات بن سعيد : شيخ العرب الذي عزله الحاج أحمد و انتزع منه مشيخة عرب الزيبان و اسندها إلى خاله

بوعزيز بن قانة الذي أصبح فيما بعد من كبار عملاء فرنسا.

. جبهة ضد باي التيطري بومزراق : الذي أعلن نفسه " باشا الجزائر " خلفا لحسين باشا و طالب الحاج أحمد الاعتراف به.

## 6- الثورات الشعبية الأخرى خلال القرن التاسع عشر – المقراني – بوعمامة

### ثورة المقراني والشيخ الحداد

### مراحل مقاومة المقراني ودور الشيخ الحداد

#### 1 -- مرحلة الإنطلاق:

بعد قيام سكان أولاد عيدون في الميلية بمحاصرة القوات الفرنسية في برج المدينة خلال شهر فيفري 1871، و

كذلك الثورة التي اندلعت في سوق أهراس بزعامة محمد الكبلوتي و الصبايحية وأيضا مقاومة بن ناصر بن شهرة

بالأغواط و الشريف بوشوشة كلها أحداث بارزة مهدت لبداية المرحلة الأولى لثورة المقراني في 16 مارس

1871 بعد أن كان قد قدم استقالته من منصبه كباشاغا للمرة الثانية في 27 فبراير 1871 ، و ما ميز مرحلة

الإنطلاقة الفعلية هو إعادته شارة الباشاغوية آنذاك إلى وزارة الحربية و المتمثلة في البرنوس الخاص بها ، و

بداية عقد إجتماعاته مع رجالاته و كبار قاداته و كان آخرها الإجتماع ذو الطابع الحربي الموسع المنعقد في 14

مارس 1871 ، و في 16مارس بدأ زحفه على مدينة برج بوعريج على رأس قوة قدرت بسبعة آلاف فارس قصد

محاصرتها و الضغط على الإدارة الإستعمارية الجديدة<sup>77</sup>.

مرحلة شمالية الثورة و بروز الشيخ الحداد و الإخوان الرحمانيين

بعد محاصرة مدينة البرج انتشرت الثورة عبر العديد من مناطق الشرق الجزائري، حيث وصلت إلى مليانة و

شرشال و إلى جيجل و القل، و كذلك الحضنة و المسيلة و بوسعادة، يضاف إليها كل من توقرت و بسكرة و باتنة

و عين صالح.وفي هذه الظروف برزت بعض الخلافات بين زوايا منطقة القبائل، منها زاوية الرحمانيين بصدوق

<sup>77</sup>- بوعزيز يحي : ثورة 1871 المقراني والشيخ الحداد ، ش. و. ن.ت ، الجزائر ص ص 93-178 ، ص ص 231-300

و زاويتي شلاطة وإيلولة كما انتقلت هذه الخلافات كذلك حتى داخل أسرة المقراني التي كانت مقسمة إلى فرعين وهما فرع الباشاغا محمدالمقراني و مقرها مجانية و هو حليف لباشاغا شلاطة ابن علي الشريف ، و فرع الباشاغا محمدبن عبد السلام المقراني قائد عين تاغزوت شرق برج بوعريرج وهو صديق الشيخ عزيز قائد عموشة و عائلة الشيخ الحداد،<sup>78</sup> و أمام هذا الوضع الذي لا يخدم معركة المقراني التي أعلنها ضد الإدارة الإستعمارية عمد إلى استمالة الشيخ الحداد والإخوان الرحمانيين. وبواسطته بدأت تعبئة السكان للجهاد و قد لعب ابن الشيخ محمد امزيان بن علي الحداد دورا بارزا إلى جانب المقراني. و استطاع إقناع والده بإعلان الجهاد في 08 أبريل 1871 وهو ما سمح لبعض الأتباع من الإخوان الرحمانيين بالإنضمام إلى صفوف الثورة و أصبحوا قوتها الضاربة حيث خاضوا مع الباشاغا محمد المقراني عدة معارك انتصروا فيها على جيوش العدو الفرنسي وتعتبر معارك المقراني ، و أخوه بومرزاق و الشيخ عزيز بالإضافة إلى الإخوان الرحمانيين من المعارك التي أثبتت لقادة الإستعمار توسع رقعة هذه الثورة التي لم تكن محصورة في مجانية أو البرج بل وصلت إلى دلس وتيزي وزو و صور الغزلان و ذراع الميزان و البويرة و وصلت إلى مشارف العاصمة .

كان للإخوان الرحمانيين من أتباع الشيخ الحداد دور بارز في انتصارات ثورة المقراني خاصة بعد إعلان الشيخ الحداد الجهاد في 08 أبريل 1871 بزواوية صدوق و بإلحاح من ابنه عزيز مما أعطى للثورة شموليتها من خلال زيادة انضمام أعداد كبيرة من المجاهدين و انتشار الثورة غربا و شمالا و شرقا حيث حوصرت العديد من مراكز الجيش الإستعماري، في مناطق عدة و قد وصل عدد المجاهدين من أتباع الشيخ الحداد و الإخوان الرحمانيين أكثر من مائة و عشرين ألف مجاهد ينتمون إلى مائتان و خمسون قبيلة، في حين استطاع الباشاغا محمد المقراني تجنيد 25 ألف فارس من قبائل برج بوعريرج و بوسعادة و صور الغزلان و بهذه القوة التي يعود الفضل فيها إلى الزاوية الرحمانية و أتباع الشيخ الحداد و ابنه عزيز حققت هذه الثورة انتصارات كبيرة أخافت الإدارة الإستعمارية وأصبحت تشكل خطرا على مصالحها و مستوطنيتها في المنطقة.

### مرحلة التراجع :

رغم قوة الشيخ الحداد وابنه عزيز في التعبئة العامة للجهاد و دور أتباعهم من الرحمانيين إلى جانب دور كل من الباشاغا محمد المقراني وأخيه بومرزاق إلا أن الخلافات عادت لتطفو على السطح وقد غذتها الإدارة الإستعمارية بطرقها الخاصة بعد استشهاد بطل المقاومة الباشاغا في محمد المقراني معركة وادي سوفلات قرب عين بسامفي 05 ماي 1871 على يد أحد الخونة التابعين للإدارة الفرنسية<sup>79</sup>.

انحصرت هذه الخلافات بالدرجة الأولى على شخصيتين لهما وزنهما في هذه الثورة و هما عزيز ابن الشيخ الحداد و بومرزاق المقراني أخو محمد المقراني زعيم المقاومة الذي تسلم راية الجهاد بعداستشهاد أخيه، لكن الشيخ عزيز لم يرض بهذا الوضع الجديد فكان يبحث عن زعامة المقاومة خاصة و أنه من أبرز الشخصيات التي إلتف حولها الرحمانيون. لكن سيطرة بومرزاق على الأوضاع جعلت الشيخ عزيز يسارع إلى طلب الإستسلام ، ومن أسباب ضعف المقاومة و تراجعها كذلك الخلاف الذي كان قائما بين الزوايا الرحمانية نفسها منها الخلاف

<sup>78</sup>- بوعزيز يحي : وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي بوعزيز ، م.وك 1989 ، ص 134

<sup>79</sup>- نفس المرجع السابق ، بوعزيز يحي : ثورة 1871 المقراني والشيخ الحداد ، ص 234

بين زاوية صدوق بزعامة عزيز و زاوية الشريف بن الموهوب و زاوية شلاطة اللتين تعرضتا لهجومه ما بين 15 أفريل و 24 ماي ، مما أثر سلبا على مسار الثورة ، حيث بقى بومرزاق يواصل المقاومة من خلال معارك أنهكت قوته و لم يستطع مجاراة الحرب ضد جيوش العدو خاصة بعد استسلام الحداد الذي أثر على معنويات بومرزاق المقراني ، ، رغم محاولته رص الصفوف بين قادة الزاوية الرحمانية لكنه فشل في مسعاه ، وبعد انهزامه في معركة بالقرب من قلعة بني حماد في 08 أكتوبر 1871 اتجه إلى الصحراء لكن الفرنسيين اكتشفوا أمره في 20 جانفي 1872 بالقرب من الرويسات بورقلة وألقوا عليه القبض ، حيث نقل إلى معسكر الجنرال دولاكروا و منه أرسل إلى سجن كاليدونيا الجديدة.

الشيخ محمد المقراني هو أحد قادة الثورات الشعبية التي شهدتها الجزائر في القرن التاسع عشر الميلادي بعد الغزو الفرنسي للجزائر عام 1830. محمد المقراني هو ابن أحمد المقراني أحد حكام (قائد) منطقة مجانة (الهضاب العليا). وبعد وفاة الأب عين مكانه ابنه محمد المقراني لكن بلقب منحته إياه السلطات الفرنسية و الذي كان "باشا آغا" و امتيازاته أقل من امتيازات أبيه.

في مارس عام 1871م قدم استقالته للسلطات الفرنسية و في نفس السنة ثار على الاحتلال الفرنسي وقاد مقاومة الشيخ المقراني فقد زحف بجيشه إلى مدينة برج بو عريريج بمعية أخيه محمد بو مزران المقراني و ابن عمّه الحاج بوزيد. ثم انضم إلى الثورة الشيخ الحداد<sup>80</sup>.

في 5 مايو 1871م استشهد محمد المقراني إثر إصابته برصاص جيش الاحتلال. وهو الآن مدفون في بني عباس قرب مدينة بجاية. و في رواية أخرى قيل بانه قتل على يد خادمه عندما كان يصلي تنفيذا لرغبة المستعمر الفرنسي و الله اعلم. وكان أخوه و جماعته من المخلصين الذين فضلوا الموت على حياة الذل والهوان قد واصلوا المقاومة حتى النهاية حيث أوقفته السلطات الاستعمارية في 20 يناير (كانون الثاني) 1872م بالقرب من قصر الرويسال شمال شرقي ورقلة بالمنطقة الجنوبية. " وبالقاء القبض عليه انتهت شعلة الثورة إلى حين . تلك الثورة التي دامت سنة تقريبا ، والتي زعزت أركان الإستعمار الفرنسي في أرض الجزائر» .

خلفت هذه الثورة قرابة 100.000 قتيل جزائري وكما أدت إلى مصادرة الأراضي وتوزيعها على المستوطنين الأروبيين. نفي الألاف من الجزائريين الضالعين في الثورة إلى كلدونيا الجديدة، كما تمت مطاردة عائلة المقراني إلى الجنوب بحيث اخذوا ابنه الشريف إلى أحد اقربائه ببوسعادة و الذي كان شيخ زاوية الهامل حيث ترعرع و مات هناك و دفن بمقبرة الهامل و كان له ولدان هما بلقاسم و سعيد اما البنات ف فاطمة و زينب ومنه تمكن من بقي منهم و عددهم حوالي 150 شخصا من التسلسل للجنوب التونسي عبر توغورت فواد سوف فالجريد التونسي ثم استقروا هناك وخاصة بمدينة قفصة حيث ما زال بعض أفرادها إلى يومنا هذا . و اثر هذه الأحداث الدامية وإصدار قانون الأهالي عام 1881م، ازدادت هجرة الجزائريين إلى خارج الوطن خاصة إلى سوريا<sup>81</sup>.

الشيخ الحداد

<sup>80</sup> - نفس المرجع السابق ، بوعزيز يحي : ثورة 1871 المقراني والشيخ الحداد ، ص 334

<sup>81</sup> - نفس المرجع السابق ، بوعزيز يحي : ثورة 1871 المقراني والشيخ الحداد ، ص 365

هو محمد أمزيان بن علي الحداد انتقلت أسرته من بني منصور واستقرت في إيغيل إيمولة بالضفة الغربية لوادي الصومام بالجزائر ومنها إلى بلدة صدوق. وفيها امتهن جده حرفة الحدادة لذلك أطلقت على الأسرة تسمية الحداد. تعلم الشيخ محمد أمزيان في الزاوية التي أسسها والده علي الحداد في صدوق فحفظ القرآن وتعلم قواعد اللغة العربية ومنها انتقل إلى زاوية الشيخ أعراب في جبال جرجرة التي قضى فيها وقتا طويلا أضاف إلى معارفه العلمية علوما إسلامية أخرى، وفي نهاية المطاف أخذ الميثاق على خليفة السيد محمد بن عبد الرحمن في زاوية سيدي علي بن عيسى بجرجرة، ، وعند عودته إلى أهله تولى تسيير زاوية أبيه، وقد اختاره أهله أن يكون إماما على قرية صدوق ومعلما للاطفال في جامع المدينة وأصبح بعد ذلك خليفة لطريقة محمد بن عبد الرحمن. وقد ساهم الشيخ الحداد ومن خلاله الطريقة الرحمانية مساهمة كبيرة وفعالة في دعم مقاومة الشيخ المقراني وذلك بإكسابها تأييدا شعبيا واسعا، مكنها من الصمود أمام الجيوش الفرنسية. بعد سلسلة من المعارك، [[ملف:ألقي عليه القبض من طرف قوات الجنرال لالمان في 24 جوان 1871 بعد مقاومة قوية ضد العدو الفرنسي وقد سجن في قلعة بارال في بجاية، حيث وافته المنية آخر شهر أفريل 1873.



صورة للشيخ المقراني

مقاومة الشيخ بوعمامة بالجنوب الغربي للجزائر

خصائص مقاومة الشيخ بوعمامة و العوائق المحلية في وجهها:

الشيخ بوعمامة هو زعيم المقاومة الشعبية التي اندلعت سنة 1881 بالجنوب الغربي الجزائري في مواجهة التوسع الاستعماري الفرنسي. وهو ينتمي لإقبائل أولاد سيدي الشيخ التي تزعمت المقاومة المعروفة باسمهم سنة 1864.<sup>82</sup> وينحدر الشيخ بوعمامة من سيدي التاج الابن الثالث عشر لسيدي الشيخ جد القبيلة. لم يكن لقبيلة "أولاد سيدي التاج"

<sup>82</sup>- نفس المرجع السابق ، بوعزيز يحي : ثورة 1871 المقراني والشيخ الحداد ، ص 277

دور بارز في تاريخ القبيلة، بل كان رجالها محايدون من ذلك الصراع الذي دار بين فرعيها الشرقي والغربي على رئاسة الزاوية، وكان أسلافهم قد انتقلوا إلى منطقة عين الصفراء وفكيك المغربية في تاريخ سابق (ق18م) قادمين من منطقة الابيض سيدي الشيخ.

كانت قبائل أولاد سيدي الشيخ ذات النسب المرابطي، تسكن الجنوب الغربي الجزائري منذ القرن الرابع عشر الميلادي. وكانت تحظى بمكانة محترمة بين سكان المنطقة. وقد ازداد التكريم والاحترام لهذه القبائل بعد ظهور الشيخ عبد القادر بن محمد الذي سبغ على "سيدي الشيخ"، بعد أن أسس طريقة صوفية متفرعة عن الشاذلية. وبعد وفاته سنة 1616م، أصبحت بلدة الحاسي الابيض التي دفن فيها، تدعى منذ ذلك الحين بـ "الابيض سيدي الشيخ"، تكريماً للشيخ الراقد في تربتها. وأصبحت البلدة والضريح مقصداً للزيارة قصد الذكرى والتذكر، أو قصد التبرك والتوسل. كان للطريقة أتباع كثيرون بين مختلف قبائل المنطقة، يُقدمون العطايا المادية فيما يدعى بـ "العُفَار" للزاوية سنوياً، مما كان يُدرُّ الدخل المالي للمكان الذي أصبح زاوية تعلم القرآن الكريم وتؤوي الغريب والمسافر. وكان تأثير الطريقة يمتد من مدينة فكيك المغربية غرباً إلى مدينة ورَقلة شرقاً.

### الوضع في الجنوب الغربي بعد احتلال مدينة الجزائر سنة 1830

كان الوضع مستقرًا، وكانت الزعامة الشعبية في المنطقة لقادة أولاد سيدي الشيخ باعتبارهم ورثة جدهم سيدي الشيخ مؤسس الطريقة المذكورة. وقد سارت القبيلة مع الأمير عبد القادر سنة 1836 لتأديب الزاوية التجانية في عين ماضي، وفرض الانضمام إلى المقاومة الوطنية، وعادت بعد ذلك إلى العزلة التي عاشتها منذ زمن. وبعد أن احتل الفرنسيون مدينة الجزائر سنة 1830، انطلقوا لاحتلال القطر الجزائري كله، وكانت لهم محاولات للسيطرة على الجنوب الغربي من خلال القيام بعدة حملات عسكرية: منها حملة العقيد جيرى سنة 1845، وحملة الجنرال كافينيك سنة 1847، والحملة الثالثة تحت قيادة الجنرال بليسيي سنة 1849.

جاءت هذه الحملات للاطلاع على المكان من أجل السيطرة عليه مستقبلاً، وقد عانت هذه القوات المعتدية فساداً في التكتيل بالسكان والاستيلاء على مقدراتهم المادية، وعادت إلى قواعدها في الشمال. وكانت بلدة البِيض هي التي نجح جيرى في إقامة أول مركز عسكري بها عندما عاد إليها ثانية سنة 1853، وستدعى البلدة بعد حين باسم (جيريفيل).<sup>83</sup> عمل الفرنسيون على التقرب من العائلة الشيعية لكسب أبنائها إلى جانبهم، وقد وُفقوا في ذلك بجعل زعيمها حمزة بن بوبكر زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة يسير في ركبهم، فعينوه خليفة على الجنوب في ذلك الوقت حتى ورقلة. وعندما ارتابوا في إخلاصه لهم استدعوه إلى الجزائر العاصمة، وهناك توفي سنة 1861، وقد أثرت حول موته عدة تفسيرات، منها أنه مات مسموماً بتدبير من الفرنسيين. جاء في أحد التقارير الفرنسية أن حمزة بن بوبكر خليفة أولاد سيدي الشيخ مات يوم 21 أوت 1861 في ظروف غامضة بمدينة الجزائر.<sup>84</sup>

وبعد موت حمزة بن بوبكر، خلفه ابنه بوبكر برتبة باشاغا، وهو منصب أقل من منصب خليفة، ولم تدم فترة حكمه طويلاً؛ حيث توفي في السنة الموالية (23 جوي)، ليخلفه أخوه سليمان بن حمزة، الذي أعلن المقاومة سنة 1864،

<sup>83</sup> - عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2010، ص: 55

<sup>84</sup> -Archives d'Aix-en-Provence : 22H/9. GMM انظر

فاستقال من منصبه، وأعلن الجهاد في أبريل من السنة نفسها، بمراسلة مختلف قبائل أولاد سيدي الشيخ والقبائل الموالية لهم<sup>85</sup>. وقد قتل سي سليمان في أول معركة في مواجهة الفرنسيين، كما قتل الجنرال بوبريتز قائد القوات الفرنسية في المعركة نفسها وهي معركة عُوَيْنة بوبكر بنواحي البيّض. وتولى الزعامة بعده أخوه سي محمد ثم أحمد وأخيرا قدور بن حمزة الذي عقد الصلح مع الفرنسيين سنة 1883.

هذا عن قبائل أولاد سيد الشيخ الشراقة(الجزائريون) عامة، قبل ظهور مقاومة الشيخ بوعمامة، الذي ينتمي إلى هذه القبيلة الكبيرة بفرعها الغربي، والذي استقر في بلدة مُغرار التحتاني سنة 1875 لينشئ فيها زاوية شيخية، ثم يعلن المقاومة المسلحة سنة 1881 ويخوض معارك ضد العدو المحتل، ويبقى صامدا في موقفه العدائي من الفرنسيين حتى وفاته سنة 1908 بعيون سيدي ملوك بالمغرب الأقصى.

فماذا نعرف عن خصائص مقاومته؟

تميزت مقاومة الشيخ بوعمامة بعدة خصائص نذكر منها ما يلي:

### 1-الزعامة الدينية

كان بوعمامة شيخا لطريقة صوفية، قبل أن يعلن المقاومة سنة 1881، أي أنه كان زعيما دينيا بحتا. وإذا قارناه بزعماء مقاومة أولاد سيدي الشيخ، التي اندلعت قبل ذلك سنة 1864؛ فإننا نتوصل إلى حقيقة أن الشيخ بوعمامة يختلف عنهم؛ حيث أنه تولى هذه الزعامة منذ استقراره ببلدة مُغرار سنة 1875، كمقدم للطريقة الشيخية، بتوجيه من شيخه محمد بن عبد الرحمن ممثل الطريقة في بلدة بني ونيف، ثم كشيخ في مرحلة تالية؛ في الوقت الذي تزعم مقاومة 1864 زعماء سياسيون، ورثوا ولاء القبائل التي كانت مؤالية لأسلافهم، وليس لمنصب ديني كانوا يتولونه.

كما أن مقاومة الشيخ بوعمامة عُرفت باسمه لأنه كان الزعيم الأوحدها، بينما تعدد زعماء المقاومة التي اندلعت سنة 1864. ويتمثل هؤلاء الزعماء الآخرون في سليمان بن حمزة مفجر المقاومة، فأخوه محمد فأحمد وأخيرا قدور بن حمزة، يضاف إليهم أعمامهم سي الأعلى وسي الزبير، بالإضافة إلى زعماء أولاد سيد الشيخ الغرابة ومنهم سي سليمان بن قدور.

وكان شعار مقاومة 1881 هو مواجهة الاستعمار عن طريق الجهاد تحت راية الإسلام ودفاعا عن الوطن، وليس لمنصب فقده زعيمها أو لقضية أثيرت بينه وبين الفرنسيين أو مع أعوانهم من الجزائريين الذين باعوا ضمائرهم لأعداء الوطن.

كان الشيخ على علم بالحركة الجهادية التي عزم على قيادتها، فأعلم تابعيه وأعوانه أنها المشقة والمآسي وأنها ترك الأولاد والأوطان. لم يجبر أحدا على ذلك، بل كان يخبرهم بين إتباعه أو التخلي عنه، ولكنه وفي الوقت نفسه، يطلعهم على أن ما يقوم به، وهو إحدى شعائر الدين الإسلامي وهي شعيرة الجهاد. جاء في إحدى رسائله إلى قبائل الشعامبة سكان الصحراء الجزائرية: ".وبعد نعلمكم أعلمكم الله خيرا، نريد قدومكم، ونلاقوا(كذا)على أمر الجهاد في سبيل الله، هذا الأمر نادى (به) المنادي".<sup>86</sup> وهو بهذا الطرح كان يحاول تحاشي قناصي الفرص والمتملقين ذوي النفوس

<sup>85</sup>- جرت حادثة بين كاتبه سي الفضيل وبعض جنود الصبايحية، اعتقل على إثرها هذا الأخير من قبل المكتب العربي

بجيريفيل(البيّض)، مما أثار حفيظة سي سليمان، وكانت هذه الحادثة التي أفاضت الكأس ضد الفرنسيين

<sup>86</sup>- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830-1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص: 137.

المريضة الراغبين في استغلال الفرصة للإغارة والسلب، على حساب المبادئ والدفاع عن الوطن بإخلاص وتفان، ويريد أن لا يتبعه إلا مَنْ قَبِلَ الجهاد وقلْبُه مطمئن كل الاطمئنان.

لقد كان الدين ولا يزال من أهم الروابط الاجتماعية التي تربط الأفراد بعضهم ببعض، لأن الدين بما له من قوة التأثير يُولد لدى أتباعه نوعاً من الوحدة في الشعور ويثير في نفوسهم العواطف والنزعات الخاصة التي تؤثر في أعمالهم تأثيراً شديداً. وبهذه الخاصية اختلفت مقاومة الشيخ بوعمامة عن مقاومة أولاد سيد الشيخ السابقة لها تاريخياً، والتي تميزت بالجانب العسكري دون غيره

## --2- إنشاء الزاوية

بمجرد أن استقر الشيخ في بلدة مُغرار جنوبي عين الصفراء ابنتى زاوية بمساعدة سكان القصر، التي أصبحت تؤدي مهمة تحفيظ القرآن الكريم وإيواء المحتاجين والمسافرين وذوي الحاجة بصفة عامة. كما ابنتى ثانية تحت الزرائب في بلدة أولاد عبو بدلول في الجنوب الجزائري عندما انتقل إلى هناك، وثالثة متنقلة في الخيام بعد خروجه من بدلول سنة 1894 إلى وفاته سنة 1908. وقد استقبلت الزاويتان الأخيرتان، بالإضافة إلى ما سبق ذكره من أعمال البر والإحسان، استقبلت الناقمين على السلطة الفرنسية في الجزائر، الذين كانوا يجدون في الزاوية الأمن والإيواء. وقد ظلت الزاوية خلية تلتف حولها القبائل الجزائرية في الجنوب الغربي وفي شرقي المغرب تحت زعامة "شيخ يجمع إلى جانب الورع والتقوى موهبة القيادة الحربية والمناورة السياسية، حريص على جمع كلمة المسلمين وخدمة الإسلام عقيدة وعملاً. ومن ثمة يمكن اعتبار هذه الزاوية، (كما يقول عبد الحميد زوزو) نموذجاً للدور الإيجابي الذي اضطلعت به بعض الزوايا، والمتمثل في رفضها للاستغلال والاستعمار."<sup>87</sup>

## -3- التحضير المُحَكَّم

لم تقم مقاومة الشيخ بوعمامة من العدم أو دون تحضير ورغبة، بل كانت مسألة المقاومة في ذهن الشيخ قبل سنوات من اندلاعها. فقد زار قبائل مختلفة في الجنوب الغربي، ووعدها بإعلان الجهاد في الوقت المناسب، وأرسل مقامي الطريقة إلى قبائل أخرى،<sup>88</sup> يدعوها إلى الاستعداد للجهاد بتوفير السلاح والذخيرة (تقرير 22 أبريل 1881) معلناً لهم بأنهم سيسمعون عنه قريباً "سلطاناً" (بالتعبير الصوفي). وكان السبب المباشر الذي اندلعت على إثره المقاومة هو حادثة محاولة القبض على أحد مقدميه وهو الطيب الجرمانى. جاء في تقرير للسلطات الفرنسية مؤرخ في 25-4-1881 أن الزائرين لبوعمامة يرُوحون عُقلاء ويغدون مجانين.<sup>89</sup> وهو ما يعني رفضهم للحكم الاستعماري، وهذا ما يراه الفرنسيون خروجاً عن الأعراف وعن القانون الذي وضعوه، وهو في نظرهم جنون ويذكر أحد الضباط الفرنسيين المعاصرين للشيخ أنه "منذ سنة 1878 قام مقدمو بوعمامة بأعمال مشتبه فيها لدى القبائل البدوية جنوبي إقليم وهران، يبشرون بالجهاد ويسجلون الإخوان وينظمون جهودهم من أجل حركة عامة."<sup>90</sup> ويقول آخر، معاصر له أيضاً، إن بوعمامة كان يكرر في ظروف متعددة أنه لن يطول الوقت حتى يسمع عنه الكثير، وأن أيام فرحة

<sup>87</sup> - عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881-1908 جانبها العسكري والسياسي، دار هومة، الجزائر 2013، ص: 108-109.

<sup>88</sup> - من القبائل التي زارها نجد قبائل الرزاينة وأولاد خليفة وحميان والطرافي وأولاد التومي وأولاد أحمد. ومن المقدمين الذين أرسلهم نذكر: مرزوق السروري- الطيب الجرمانى- العربي ولد الطيب- بلقاسم ولد لزغم .

<sup>89</sup> - عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، المرجع السابق، ص: 12.

<sup>90</sup> - أنظر -Empéranger, Etude sur les causes, les effets et les conséquences de l'insurrection de 1881, cercle de Tiaret, le 1er Janvier 1883, archives de la wilaya d'Oran N° 4465.



بهدف خداعنا، لقد طلب في شهر أوت 1880 القدوم للسكن في الابيض (سيدي الشيخ)، حيث اقترح بناء مسكن له فيه. وقد أجبناه بالإيجاب ومنحناه تصريح مرور، ورغم ذلك بقي يسكن مُغرار ولم يتكلم عن تغيير مسكنه مرة أخرى.<sup>96</sup> وفي تقرير آخر، ورد أن الشيخ تقدم سنة 1883 بطلب للأمان، ورفضته السلطات الفرنسية لعدم ثقتها فيه.<sup>97</sup> لقد وعى كثير من الفرنسيين أهداف الشيخ من طلبه للأمان، فلم يعيروه اهتماما كبيرا، ودعوا حكومتهم إلى الانتباه لهذا الأمر، واتخاذ الإجراءات اللازمة للقبض عليه أو إبعاده عن الأراضي التي كان الفرنسيون يسعون للسيطرة عليها.<sup>98</sup> أما عروض الأمان من قبل الفرنسيين فتمثلت، بحسب علمنا، في الآتي: في سنة 1885 زاره، وهو في دلدول، الملازم مارسيل بالات، وأبلغه العرض الفرنسي بتسليم نفسه بدون شروط مع إحالته على العدالة للنظر في الدور الذي لعبه في حوادث ما كان يسمى بالجنوب الوهراني، فلم يرد عليه ردا واضحا.

وفي سنة 1892 جاءه مبعوث السلطات الفرنسية الحاج علي بوطالب الملحق بالوزير المفوض بطنجة، تُعرض عليه السلطة الفرنسية الأمان والتمتع بالراحة والحصول على كل الامتيازات التي حصل عليها أبناء عمه سنة 1883. وفي المرة الثالثة توصل برسالة أمان، من قبل الحاكم العام لافيربير، في نوفمبر سنة 1899 يَعهده فيها بالحصول على ما ناله الرعايا الفرنسيون من حسن الحماية. وقد كانت ردود الشيخ كلها مراوغة لاستغلال الوقت، فلا هو قبلها ولا هو رفضها قطعيا، بل نجده يؤجل ذلك إلى الوقت المناسب؛ مما يدل على حنكته ومعرفته بالأوضاع المحيطة به.

وفي السنة التي غادر فيها منطقة دلدول في اتجاه فكيك المغربية وهي سنة 1894 راسل عدة جهات فرنسية يطلب فيها منحه الأمان، مذكرا إياهم أنه لا يرغب في تعكير الجو بين الطرفين. وقد وجه ثلاث رسائل في السنة المذكورة إلى كل من الحاكم العسكري لبلدة جنين بورزق القريبة من مدينة فكيك (4 أبريل)، وثانية إلى الحاكم العام بتاريخ (24 أبريل)، وثالثة إلى الحاكم العسكري لدائرة غرداية (جوي). وبعد سنتين أي في 17 جوي 1896 راسل الحاكم العام بنفس المعنى، ومما جاء في رسالته: "وَنحب منك تنبه طاعتك وتأمركم بكف الأذى عنا. لهم يستوصوا بنا خيرا..<sup>99</sup> فهو يطلب الأمان من السلطات العسكرية الفرنسية بين الحين والآخر، وعندما يصدر له الأمان يتلصق في الخضوع، وبعد مرور سنوات يرسل السلطات العسكرية لينكرها بالأمان الذي منح له في السابق كي لا يتم التعرض بالأذى لاتباعه، رغم أنه لم يَبْدُ منه أي رد إيجابي.

وإذا أردنا معرفة رأي أحد معارضي الشيخ بوعمامة وهو عبد الوهاب بن منصور المؤرخ المغاربي، الذي لم يترك شاردة ولا واردة مشينة إلا ألصقها بالشيخ؛ فما هو يُرغم على قول جزء من حقيقة سلوك الشيخ تجاه الفرنسيين؛ فيذكر أن بوعمامة كان دائما حذرا في مخالطته مع السلطات الفرنسية بالجزائر، تارة بعامل الخوف، وأخرى بدافع المحافظة على نفوذه حتى لا ينهار. "وقد ذهب ضابط فرنسي لزيارته في يوم من الأيام فتمارض ونام. وكان إذا طلب منه التفاوض مع ولاة فرنسا طلب منهم أن يقطعوا إليه نصف الطريق على أن يقطع هو إليهم نصفها الباقي، حرصا على

<sup>96</sup> - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 71 .

<sup>97</sup> - عبد القادر خليفي، الشيخ بوعمامة وقضية الأمان، مجلة حولية المؤرخ، العدد الثاني سنة 2000. ص: 205-206 .

<sup>98</sup> - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 152 .

<sup>99</sup> - عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، الجزء الثاني، المطبعة الملكية، الرباط 1979. ص 91 .

قواعد البرتوكول المعمول بها بين النظراء والأنداد. (100)

ويضيف المؤرخ المغربي نفسه، أن طلبه للأمان من فرنسا، كان يفسره تفسيراً خاصاً، ليُشعر مردييه وأتباعه أنه يتفاوض معها مفاوضة الند للند والدولة مع الدولة..

### 5- التعامل بالحسنى

عَمِلَ بوعمامة، منذ تأسيس زاويته في بلدة مُغرار التحتاني على إيجاد مناخ ديني متسامح مع كل الطوائف الجزائرية، بعد أن غاب عن الطريقة الشيخية شيخ مُوجِّه. وكان هدفه جمع شَمِلِ قبيلة أولاد سيدي الشيخ دون إقصاء أحد، وكان أن عمل على إحياء أذكار الطريقة وأورادها، وهي أحد عوامل التآلف والتوَادُد؛ ولم يفرق بين شراكة وغرابة ولا بين مرابطين وغير مرابطين، بل تعامل مع الجميع بإنصاف. فمُقدموه، كانوا من مختلف طوائف مجتمع المنطقة، وهم أنفسهم مبعوثوه إلى قبائلهم أو إلى غيرها.

وقد عمل الشيخ على العناية بأصحابه المحاربين منهم وغير المحاربين، فكان يسهر على راحتهم ويسأل عن غائبهم ويحنو على المريض منهم. فرفاقه هم العُمدة وعليهم الاعتماد، وبهم يكون النصر أو الاستشهاد، فكان عليه أن يقترب منهم، وأن يَعْرِفَ ظروف حياتهم ومتطلباتهم، ويشارك في حل مشاكلهم، ولم يكن يرضى لهم إلا الخير والنجاح، لذلك وثقوا في حركته واتفقوا في الذود عن وطنهم بكل ما أوتوا من قوة.

وكان يرسل السلطات الفرنسية للحفاظ عليهم ومعاملتهم بالحسنى، وكان يصدر رخص مرور لهم للتنقل من مكان إلى آخر؛ لكن الفرنسيين لم يكونوا يعترفون بتلك الرخص، يقول أحد الضباط الفرنسيين أن السلطات الفرنسية كانت لا تعترف بتلك الرخص، بل كانت تنزعها من حاملها ثم تعيده من حيث أتى.<sup>101</sup>

أ- مع بني عمومته: كان إيمان الشيخ كبيراً بوحدة العائلة الشيخية، فقد دعا إلى التآلف بين أفرادها، وتحاشى دائماً الصدام مع بني قومه، وكان يرفض التقاتل بين الإخوة المسلمين عامة، ويفضل الانسحاب على مقاتلة أبناء عمومته. رغم محاولاتهم هم جرّه إلى ذلك. لقد رأوا فيه منافساً لهم في قيادة سكان المنطقة، واعتبروه غير أهل لهذه الزعامة، وبخاصة لخمود ذكر قبيلته "أولاد سيدي التاج"، بالمقارنة مع بقية الزعماء الذين ورثوا الزعامة أباً عن جد. فقد حاصره سليمان بن قدور، زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابية، ليستولي على زاويته، فتركها له وغادر المكان منعاً لإراقة دماء الإخوة.

وزاره قدور بن حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة، ليلومه على إعلانه للجهاد في الوقت الذي لم يُدعم مقاومتهم عندما أعلنوا الجهاد سنة 1864، وأنه ليس أهلاً لهذه الزعامة، وأن راية سيدي الشيخ هم حُماتها وليس بوعمامة. وسأله عن أتباعه، هل هم حقاً مجاهدون؟ وخاطبه قائلاً: لماذا انتظرت حتى فشلنا نحن؟<sup>102</sup>

فكان أن استقبل نِدَّةَ هذا وأضافه في خيمته واستمع إلى لومه وتأنيبه له دون أن يرد عليه بالأسلوب نفسه. وعندما اتهمه بأنه ضم إليه الرجال الذين كانوا إلى جانبه، قام الشيخ إلى رجاله، وخيرهم بين البقاء معه أو الانسحاب عنه،

<sup>100</sup> -Dans l'extrême sud oranais, un poste dans le bled, en escorte de convoi au Sahara, manuscrit d'un officier anonyme, Paris 1900-1901, 151 pages. Archives de la wilaya d'Oran, cote N°182-

<sup>101</sup> -Hamza Boubakeur, Un Soufi Algérien Sidi Cheik, éditions Maisonneuve et larose, Paris 1990. P:20

<sup>102</sup> - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث، قسنطينة 1980، ص: 250.

فتركه الكثير منهم وبقي معه آخرون.

ب-مع بقية الأفراد الجزائريين: كانت معاملة الشيخ مع بقية إخوانه من الجزائريين بالأسلوب نفسه. فقد حدث في 25 ماي من سنة 1881 أن ألقى القبض على "قَوْمٌ" أغوية فرندة بزعامة القايد الطيب بن حمو واعتقلهم دون صعوبة، وهو في أوج الانتصار بعد معركة تازينة في 19 ماي 1881، ثم أطلق سراحهم دون شروط ليستميلهم إليه، وقد انضم إليه بعضهم، وبقي الطيب بن حمو وفيًا للشيخ يخبره بما يبببت له الفرنسيون.<sup>103</sup>

وهو سلوك عال، يدل على حسن السياسة وإتباع سبيل الحكمة والموعظة الحسنة، بنبذ العنف وإسالة الدماء، دليhle في ذلك تقليد السلف الصالح، وأولهم النبي صلى الله عليه وسلم، الذي استطاع بهذه الوسيلة تحبيب الإسلام إلى الأفراد والجماعات، رغم محاولات بعض أصحابه استعمال الشدة والعنف في كثير من الأحيان. من ذلك مارُوي، من أنه صلى الله عليه وسلم قد عفا عن جماعة عسكرية من قريش (50 رجلا) جاءت لتتال منه، وهو مقيم بالحديبية يريد العُمره، بعد أن قبض عليهم، وكانوا "قد رموا العسكر بالحجارة والنبال".<sup>(104)</sup>

وعندما جاءه رجل من أعوان الاستعمار بسمن مسموم، والشيخ مستقر في لدول، لم يعاقبه، بعد اكتشاف أمره، وكان قادرا على ذلك، ولكنه عفا عنه وسمح له بالعودة إلى بلده، قائلا له: "إنك لن تقتلني ولكن الله هو القادر على ذلك".<sup>(105)</sup>

يقول عنه قرول، الضابط الفرنسي ورئيس مكتب عربي سابق: (Ancien Chef de Bureau Arabe) لقد قلتُ دائما إن بوعمامة ليس رجلا دمويا.. P/25 <sup>106</sup> "J'ai déjà dit que Bouamama n'était pas un homme sanguinaire."

وقد استدل قرول في هذا الطرح على بعض الأحداث، التي ذكرها كما يلي:

أولا- كان رجال مقدمة جيشه قد قتلوا مجموعة من القوم يقودهم أحد الفرنسيين يوم 28 ماي 1881 في عين الدفالي، بينما كان يمكنهم أسرهم دون قتلهم، فغضب عندما علم بذلك، وقرر يوم 3 جوان الموالي ترك رجاله والعودة إلى بلدة مُعُرار، فتدخل شيوخ قبائل الطرافي وألحوا عليه للبقاء معهم ووعده بعدم تكرار العملية.<sup>107</sup>

ثانيا- قام رجال مقدمة جيش بوعمامة بقتل عمال ورشة الحلفاء في خلف الله يوم 11 جوان، ولما علم بذلك في وقت متأخر، أعطى الأمر بإطلاق الأسرى منهم، وكانوا قد وصلوا إلى المكان المسمى الأعوج. ومن أجل إسكات غضبه تعهد رجاله بإطلاق سراحهم...<sup>108</sup>

فالحق ما شهدت به الأعداء، وها هو الضابط الفرنسي المعاصر لمقاومة الشيخ يؤكد سلوك بوعمامة القويم تجاه الآخرين، سواء كانوا من الفرنسيين أو من أعوانهم؛ وهو سلوك ينم عن خلق كريم وعمل نبيل، صادر عن نفسية مترفعة عن الدنيا ورغبات النفس اللئيمة.

## 6- خلق الارتباك والاستنفار الدائم للقوات الفرنسية

<sup>103</sup> - محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الجزء الثاني، المكتب الإسلامي، بيروت دمشق 1399هـ/ 1979، ص: 303.

<sup>104</sup> - عبد العالي محمد بن أحمد، 95 سنة، المقابلة في عين الصفراء 1995، عن والده الذي زار الشيخ في لدول، أما اسم المتهم فهو بن صابر. -Graulle. E. Insurrection de Bouamama, édition militaire Henri Charles-lavauzelle. Paris : 105-

قرول: عسكري برتبة رائد، رئيس مكتب عربي سابق، معاصر لمقاومة الشيخ بوعمامة P : 52 - 1905.

-Graulle.. P : 53. -أنظر- 25-<sup>106</sup> -أنظر

<sup>107</sup> - أنظر 76 : P -Graulle.. لكن الحقيقة، كما يقول قرول، أنهم لم يُسرحوا سوى الرجال البالغين وأخفوا عنه النساء والأطفال في خيامهم، وأخذوهم أسرى .

-De lamartinière et Lacroix, Document pour servir à l'étude du nord ouest : 108- أنظر

رغم انسحاب الشيخ من المنطقة التي اندلعت فيها مقاومته، والتجاؤه إلى الجنوب الجزائري ثم إلى الأراضي المغربية في مرحلة ثانية؛ فقد ظل حجر عثرة أمام التوسع الفرنسي نحو الجنوب، وبخاصة وأن كل قبائل المنطقة الجنوبية الغربية موالية له، حتى وإن غُلبت على أمرها ميدانيا. لكنها ظلت تستعيد ذكرى الشيخ البطل في وجدانها وتنتظر وإياه الفرصة المناسبة لاستئناف الجهاد مرة أخرى. وقد زاد من قوة الشيخ هناك في الجنوب، تحالفه مع الشيخ الدرقاوي بالجنوب المغربي والشيخ باجودة مقدم السنوسية بعين صالح. أما قبائل الشعامبة سكان الصحراء المترامية، فقد ظلوا إلى جانبه وبخاصة بعد خمود مقاومة أولاد سيدي الشيخ الأولى.

والدليل على ذلك ما شهد به الأعداء؛ فقد جاء في كتاب دو لامارتينيار ولا كروا، حول الشمال الغربي من إفريقيا، الصادر في نهاية القرن التاسع عشر، ما يلي: لا ننسى أن جميع محاولاتنا للقضاء عليه (بوعمامة) قد باءت بالفشل، بل استطاع أن يحدث في صفوفنا خسائر مهمة أكثر من مرة. أسفرت إحداها عن مقتل 78 قتيلا. إن هذه المقاومة جد مكلفة على الحكومة الفرنسية باعتبارها حرب عصابات لا تخضع للطرق الحربية المألوفة... إنه وهو في الجنوب يستطيع أن يعيد الكرة ضدنا في أية لحظة بالنظر إلى القوة الكبيرة التي بين يديه وللنفوذ القوي الذي يتمتع به، وللمكانة الدينية التي استعادها مؤخرا على الوجه الأكمل.<sup>109</sup> ولهذا ولغيره مثلت مقاومة الشيخ بوعمامة العقبة الكبيرة تجاه التوسع الفرنسي نحو الجنوب الغربي حتى مطلع القرن العشرين، بإغاراتها الدائمة على أعوان الفرنسيين وعلى المركز المنعزلة للفرنسيين ونصب كمائن للعدو في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة التي لا يعلمها العدو. نستدل ذلك من كتابات الضباط الفرنسيين المعاصرين له أنفسهم. وفي هذا المجال يؤكد الجنرال ليوتي (1903-1906) في رسائله على خطورة بوعمامة وهو لاجئ في الأراضي المغربية. وذلك في رسالة له مؤرخة في 1903-12-29 جاء فيها ما يلي: "ينبغي أخذ الحيطة والحذر لأن هناك بوعمامة العدو الأبدي ومنع جميع التحرشات، وكل جهودي ستكون منصبة للقضاء عليه. فإذا ما سقط ستسقط معه تقريبا جميع المصاعب التي نعاني منها على حدودنا بالجنوب الوهراني.<sup>110</sup>

وبتاريخ 17-2-1904 يقول ما يلي: "يظل بوعمامة العقبة الكبرى أمامنا، وجميع جهودي منصبة الآن من أجل أن أتوصل إلى عزله ومحاصرته وجعله تحت رحمتنا. فهل سأنجح في ذلك؟ وإذا كنا قد أخفقنا في القبض عليه لمدة اثني عشر سنة، فإني لا أعتقد أننا سنوفق في ذلك في مدة لا تتعدى ستة أشهر.

ويقول في رسالة أخرى بتاريخ 2-3-1906 ما يلي: تصوروا حتى خاصتي من السبايس يؤدون "الزيارة" (والزيارة هي عطاءات مادية) لبوعمامة، وأما أولاد سيدي الشيخ الموجودون في البيض فلا زالوا في اتصال مع الغرب. كل هذا يعني أن بوعمامة لم يتوقف يوما عن مناوشة العدو وإقلاقه بالغارات المستمرة، عليه وعلى أتباعه، حيثما حل وارتحل، إلى أن وافاه الأجل، وانتقلت الزعامة بعده إلى ابنه الطيب الذي وجد الاستمرار في المقاومة غير مجد، وبخاصة وأن الفرنسيين احتلوا بلدة عين بني مطهر (راس الما آنذاك) الحدودية سنة 1904، ثم احتلوا مدينة وجدة في الشرق المغربي سنة 1907.

<sup>109</sup> - africain, gouvernement générale de l'Algérie, Tome/2, A. Jourdan, Alger 189

<sup>110</sup> -:Lyautey, Vers le Maroc, lettres du sud oranais 1903-1906, librairie Armand

## 7- عدم الخضوع للفرنسيين

تميزت شخصية بوعمامة بصفات حميدة منها: الصبر على المكاره بمختلف أنواعها، سواء تجاه الفرنسيين أو تجاه بني عمومته، وتجاه كل معارض له مساند للسلطات الفرنسية، وصبره على الأوضاع المعيشية المزرية التي عاشها زمنًا طويلًا رغم العروض السلمية، ومطالبة بعض رفاقه له بالتوقف لأنه لا يستطيع مواجهة القوة الفرنسية، إلا أنه كان يقول لهم دائماً: لن أخضع لأية جهة كانت، شرقية كانت أم غربية، وإذا سمعتم البارود في قبري فاعلموا أنني في حرب ضد الفرنسيين.<sup>111</sup>

لقد واجه الشيخ الفرنسيين وجهاً لوجه خلال السنتين الأوليين (1881-1882)، وعندما اعترضته صعوبات مختلفة أثر الانسحاب إلى الجنوب، حيث بقي حوالي عشر سنوات في منطقة دلدول. ومن هناك ارتحل إلى المغرب بعد أن كثرت عليه الضغوط من قبل الفرنسيين والسلطات المغربية، كما أن انسحاب أغلب أتباعه بتحريض من جهات مختلفة كان أحد أسباب هجرته الثانية نحو المغرب. ورغم عروض الاستسلام التي عرضت عليه، فقد بقي مدة 27 سنة بعيداً عن المنطقة التي يسيطر عليها الفرنسيون، وكان ينصح أتباعه من القبائل المختلفة أن يفعلوا العمل نفسه. وهو من الزعماء القلائد الذي لم يخضعوا للاستعمار ولم يلق عليهم القبض، ولهذا لا تعرف له صورة فتوغرافية عند الفرنسيين. لم يَلِنْ ولم يخضع، ولم يتأثر بمن سالم الفرنسيين، حتى عندما تركته الكثير من القبائل التي فضلت الاستفادة من الهدنة التي عُقدت بين زعماء مقاومة أولاد سيدي الشيخ في المرحلة الأولى، لأنه كان يعرف أن الأعمار بيد الله، واعتقد أن الخضوع للفرنسيين هو موالة للكفار، فرفض ذلك.

وقد ساعده على مواصلة عدائه للفرنسيين، انضمامه إلى ثورة الجيلالي بن عبد السلام الزرهوني المعروف بـ بوحمارة/الروقي في المغرب الشرقي؛ فقد استغل العرض الذي تقدم به هذا الثائر على السلطان المغربي، عندما وصلت رسالته سنة 1902 يطلب منه مساندته لمحاربة الخونة والمفسدين المتعاونين مع العدو الكافر. فانضم إليه لمحاربة السلطان المغربي مولاي عبد العزيز الذي سلب العرش عن مستحقه مولاي أمحمد -كما كان الاعتقاد- وقد اتهم هذا الثائر المغربي، السلطان مولاي عبد العزيز بموالة الفرنسيين والتأثر بالغرب عامة، وشرح للشيخ بوعمامة، كما يقول عبد الوهاب بن منصور المؤرخ المغربي، "اتهامه لأخيه السلطان-بزعمه- ورجال مخزنه بموالة الكفار وممالاتهم والرغبة في اقتباس نظمهم وعاداتهم وإدخالها إلى المغرب".<sup>112</sup> مما يتوجب مقاومة ذلك النظام المغربي الهش الخاضع للغرب الاستعماري، والمُعَرَّض للضغوط من قبل قوات الاستعمار الفرنسي، وهو ما كان يحاربه الشيخ بوعمامة في الجزائر، أي محاربة من يوالي الأوربيين الصليبيين أعداء الإسلام والوطن وإذا كان الشيخ بوعمامة قد وجد السند في المغرب، بعد انتقاله إليه؛ فإن الأمير عبد القادر، مثلاً، لم يجد مثل هته الفرصة عندما كان يلتجئ إلى الأراضي المغربية حين يشتد عليه الوضع في الجزائر؛ بل وجد نفسه بين كماشة القوات الفرنسية من الشرق والقوات المخزنية المغربية من الغرب، مما اضطره إلى التوقف عن المقاومة.

وقد شارك بوعمامة، في الانضمام إلى الروقي/ بوحمارة، عبد المالك ابن الأمير عبد القادر القادم من بلاد الشام رفقة نجله الطيب رفيقه في الكفاح. وقد واصل الشيخ عداوته للفرنسيين إلى وفاته في أكتوبر من سنة 1908 وهو طليق حر لم يخضع لأية جهة كانت.

<sup>111</sup>- colin, opcit : Paris 1937. P :95.

<sup>112</sup>- لم يحتلوا بلدة عيون سيدي ملوك التي كانت زمالة الشيخ مقيمة بجوارها، سوى سنة 1910 أي بعد وفاته بسنتين .

وبهذه الخصائص التي ذكرناها عن مقاومة الشيخ بوعمامة، نجد أنها تشابه في بعضها بقية المقاومات الشعبية الأخرى، وتنفرد ببعضها دون غيرها. وقد طبع الشيخ بوعمامة هذه المقاومة بطابعه الخاص وأصبغ عليها طبعه وطباعه العوائق المحلية في وجه مقاومة الشيخ بوعمامة:

اعترضت بوعمامة مجموعة عوائق كانت أحد أسباب تدهور حالة المقاومة، في أحيان كثيرة، ولكنها لم تقض عليها؛ بل استمرت المقاومة تتحدى الفرنسيين وغير الفرنسيين برفض الاستسلام ورفض العمل تحت راية الكفار، كما كان يرى الشيخ.

## 1- القوى الاستعمارية

إنها فرنسا، القوى الكبرى صاحبة المصلحة في القضاء على رمز المقاومة والتي كانت تؤلب عليها قبائل المنطقة المراد احتلالها في الجنوب، وتعمل للقضاء عليه هو إما بالقبض عليه أو بإبعاده إلى أقصى حد من الحدود الجزائرية المغربية، وبتحريض بني عمومته عليه، وتقديم الإغراءات لضعاف النفوس للخروج عنه ومعاداته، وتجنيد قوات ضخمة تتكون من عدة طوابير لملاحقته حيثما حل؛ كما جندت من أعوانها العارفين بخبايا السكان مما كان له أشد الوقع عليه.

وكانت تضغط على السلطان المغربي لطرده بوعمامة أو القبض عليه، وبخاصة منذ إنشاء مفوضيتها بطنجة. وقد ورد مثل ذلك في الاتفاقيتين المعقودتين بين السلطتين في سنتي 1901 و1902.

وكانت تقوم بتجريد أعوانه من وسائل عيشهم وتدمير محاصيلهم وحجز مؤنهم، إلى جانب القتل والسجن والنفي (إلى الشرق الجزائري-وإلى كاليديونيا..). وقد تم تدمير زاويته من قبل القوات الفرنسية بما فيها من متاع وحجز أملاكه يوم 22 ديسمبر 1881 ببلدة مغرار التحتاني.<sup>113</sup> وعاقبت سكان القصر بحجز بساتينهم وبيعها في المزاد لأعوانها القادمين من جهات مختلفة.

## 2-المخزن المغربي

كانت السلطة المغربية هي السلطة الشرعية المحلية الوحيدة في المنطقة بعد القضاء عليها في كل من الجزائر وتونس. وباعتبار أنها تملك سلطة معنوية بسبب الأخوة في الدين، كانت علاقة الشيخ بها دائمة لوجود أعداد هامة من أعوانه في البلاد المغربية. ورغم ضعف هذه السلطة فهي تملك سلطة ما. هذه الجبهة كانت ترفض معاداة فرنسا المجاورة لحدودها خوفا من المتابعة والسيطرة على المغرب. وقد راسلت سكان الحدود طالبة منهم عدم التعاون مع بوعمامة وطرده لأنه فتان وصاحب أغراض دنيئة، أو أنه يريد إنشاء إمارة مستقلة في الأراضي المغربية.

وقد جاء في إحدى رسائل السلطان إلى قبائل المناطق الحدودية ينهاهم عن التعامل مع بوعمامة ومن معه. "و عليه فإن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فلتبادروا بالخروج من زمرة الخائضين المذكورين. ولتطردوا كل من ورد عليكم منهم يريد إدراجكم في حزبهم والدخول في زمرتهم. ولتقصروا نظركم على عمارة أرضكم والمحافظة على دينكم ومحارمكم... وإن ورد عليكم أبوعمامة الشخي فأنمركم أن لا تقبلوا استقراره ولا نزوله ببلادكم. إذ لا خير له ولا لكم في بقائه بناحيتمكم.<sup>114</sup> ، كما فعل السلطان مع سكان فكيك الذين رفضوا استقباله سنة 1883 وفي سنة 1902 تطبيقا لأوامر السلطان المغربي.

وبما أن سلطة المخزن كانت تعتبره مغربيا، فكان يجب إيقافه عند حده والرضوخ للسلطة وما تريده. وكانت فرنسا

<sup>113</sup> - رواية العديد من أبناء المشاركين في المقاومة الذين التقينا بهم في التسعينيات عندما كنا نحضر أطروحة الدكتوراه حول الشيخ بوعمامة. منهم حفيده بوعمامة حمزة بن عبد الحاكم، 72 سنة، شيخ الطريقة بعين بني مطهر بالمغرب الأقصى، المقابلة سنة 1999 .

<sup>114</sup> - عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، 1425هـ/2004م، ص 309 .

تضغط على المخزن للتحرك ضد الشيخ، وبخاصة منذ إنشاء فرنسا لممثلية لها في طنجة. "فقد وجه برتليمي سان هيلان، المكلف بشؤون فرنسا بالمغرب، رسالة إلى محمد براقاش، ممثل السلطان في طنجة ووزير خارجيته، يتساءل فيها عن الأخبار القائلة بإقدام سكان منطقة تافيلالت على مساعدة بوعمامة، وينبئه إلى ما سيسفر عنه هذا العمل.... وقد رد براقاش وكأنه فوجئ بالأخبار التي تضمنتها الرسالة وبأن هذا العمل لن يقبله جلالة الملك.."<sup>115</sup>34 وقد أكثرت فرنسا من الشكاوي ضد بوعمامة، وما كان على السلطان إلا تنفيذ ما تريده السلطات الفرنسية ولكن بحسب إمكاناته المحدودة.

### 3- بنو عمومته:

عمل زعماء أولاد سيدي الشيخ بأنفسهم حيناً وبتحريض من الفرنسيين حيناً آخر، على التحامل على الشيخ. فقد سعوا إلى إبعاد القبائل التي كانت موالية لهم عن مناصرته سواء كانوا مغاربة أم جزائريين، منهم سليمان بن قدور و قدور بن حمزة وأخوه الدين وعلال بن الشيخ.<sup>116</sup>35 ففي نهاية سنة 1882 وجد الشيخ نفسه مجرداً من كثير من القبائل المناصرة له، وبخاصة وأن الشيخ كان لا يواجه بني عمومته في ميدان المعارك، بل كان يتحاشى ذلك وعلى حساب مستقبل حركته أحياناً كثيرة، وكما ذكرنا فقد حاصره سليمان بن قدور ليستولي على زاويته، ففضل الشيخ تركها له وانسحب، كما تحمّل، ما ذكرناه سابقاً، من لوم قدور بن حمزة والانتقاص من مقاومته، ولم يرد عليه بسوء، بل أكرمه وعامله بالحسنى.

### 4- القياد والباشوات، عملاء فرنسا

استطاعت فرنسا أن تكون طبقة من العملاء من بين الجزائريين الذين خدموا مصالحها من أجل تحقيق مصالحهم الخاصة على حساب مصالح بلدهم بالقضاء على أبناء بلدهم من الوطنيين الراغبين في مواجهة الاستعمار بكل قوة. وقد تمثل ذلك في فرق القوم وفرق السبايس التي كان يقودها زعماء أعمتهم مصالحهم على مصالح قومهم العليا. منهم باشاغا فرندة المدعو أحمد ولد القاضي، وهو ابن أخ مصطفى بن إسماعيل خصم الأمير عبد القادر وزعيم قبائل الدوانر. هو الذي أعلم السلطات الفرنسية بتحركات مقدمي الشيخ بين القبائل؛ حيث أعلم جنرال القسم بتاريخ 15 أبريل 1881 وأعطاه أسماءهم، وهم المبعوثون إلى قبائل الطرافي والرزائية والاحرار في دائرة جيريغيل وسعيدة وتيارت. ومنهم الآغا قدور ولد عدة آغا سعيدة الذي اعترض بقومه عدة قبائل لمنعها من الانضمام إلى الشيخ (الرزائية). ومنهم الآغا قدور الصحراوي آغا الاحرار الذي طارد القبائل الثائرة مثل الاغواط اكسل ودوار أولاد سيدي الناصر.<sup>117</sup> ومنهم قايد الشلالة الظهرانية الذي خابر الفرنسيين في 23 مارس 1880 وأعلمهم بمن زار بلدة مغرار للالتقاء ببوعمامة ومعه الهدايا للشيخ. وأعلمهم أن بوعمامة قام بزيارات لقبائل حميان والطرافي والرزائية. وأخيراً أخبر العقيد إينوسينتي الذي ألق من جيريغيل يوم 14 ماي 1881، أن بوعمامة يبني في القصر (19 ماي)، وأنه على رأس 1500 فارس و1200 مشاة، وهو ينوي لقاءه في الغد (19 ماي). وقد شارك هؤلاء "القوم" كلهم في معركة تازينة إلى جانب القوات الفرنسية في مواجهة قوات الشيخ بوعمامة.

### 5- سكان فكيك

فكيك بلدة مغربية تقع إلى جوار بلدة بني ونيف الجزائرية. بها طوائف هامة من ذوي الأصول الجزائرية كالعمرور

<sup>115</sup> - عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص: 85 .

<sup>116</sup> - عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، ص: 83 .

<sup>117</sup> - أحمد العماري، توات في مشروع التوسع الفرنسي في المغرب، ص: 67 .

وأولاد جرير وأولاد سيدي الشيخ، والذين يعتبرهم البعض مغاربة. بالإضافة إلى السكان الأصليين للقصور السبعة التي تتكون منها المدينة وهم الشلوح.<sup>118</sup> ، وقد كان لسكان المدينة علاقة وطيدة وحميمية بسكان جبال القصور في الأطلس الصحراوي الجزائري منذ أقدم الأزمنة عن طريق التبادل التجاري والعلمي والفلاحي والمصاهرة. عاش فيها الشيخ بوعمامة فترة طويلة من حياته قبل أن ينتقل إلى بلدة مُررار سنة 1875، وله فيها أهل وأصحاب؛ فهو من أولاد بلحُرمة الذين استوطنوا قصر الحمام التحتاني منذ القرن الثامن عشر، بعد أن انفصلوا عن عشيرتهم أولاد سيدي التاج المقيمين بضواحي بلدة مُررار.

ورغم أن سكان المدينة كانوا قد دعموا مقاومة الأمير عبد القادر بالسلح وساعده مهندسو الأسلحة والذخيرة؛ فإنهم رفضوا استقبال الشيخ بوعمامة سنة 1883 بعد خروجه من منطقة الانطلاقة. كما رفضوا استقباله سنة 1900-1902 بعد عودته من لدول. وكان الرفض تلبية لأوامر السلطان المغربي مولاي الحسن ثم بعده مولاي عبد العزيز. ومن هناك دخل الشيخ المغرب في اتجاه وجدة بعد أن تلقى عرض التحالف مع الروقي/ بوحمارة. وهي الفرصة التي ساعدته على إيجاد حليف مغربي في مواجهة السلطة التي كانت تتخوف من وجوده على أراضيها

## 7- سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في الجزائر

مع حلول سنة 1870، وتغيير نظام الإدارة الفرنسية في الجزائر من عسكري يعتمد على قوة الجيش إلى نظام مدني أصبحت فيه السلطة التشريعية في الجزائر بمقتضى دستور الجمهورية الفرنسية الثالثة تستند إلى قرارات برلمانية مدنية شددت فرنسا قبضتها أكثر على الجزائر بهدف تحويلها إلى مقاطعة فرنسية، ولتكريس هذا المسعى وهذا الهدف واصلت فرنسا الاستعمارية متابعتها وتشجيعها للحركة الاستيطانية وحركة التعمير بالجزائر وذلك من خلال إصدارها لمجموعة من الإجراءات السياسية والقوانين الاقتصادية والتنظيمات الاجتماعية والثقافية التي كان لها الأثر الوخيم على المجتمع الجزائري وانطلاقاً من ذلك:

فما هو مفهوم الحركة الاستعمارية؟ ثم ما هي أهم الإجراءات والقوانين أو التنظيمات التي اتخذتها فرنسا الاستعمارية على الصعيد الإداري والاقتصادي والثقافي الديني بهدف تشجيع الحركة الاستيطانية وتحويل الجزائر إلى مقاطعة فرنسية؟ وفي الأخير ما هي أهم انعكاساتها على المجتمع الجزائري.

### أولاً مفهوم الحركة الاستيطانية:

تعرف بالاحتلال الاستيطاني وهي من أخطر وأساء أنواع السيطرة الاستعمارية، وهي تعني تشجيع هجرة المعمرين نحو بلد معين بهدف توطينهم بصفة نهائية في المستعمرة، وفي المقابل القضاء على السكان الأصليين كما هو الحال بالنسبة للكيان الصهيوني بفلسطين المحتلة، وكذلك تشجيع الهجرة الأوروبية نحو العالم الجديد وإحلالهم محل السكان الأصليين الهنود الحمر، وتشجيع الهجرة الأوروبية نحو الجزائر والبعض منهم نحو أستراليا بهدف التعمير والاستيطان.<sup>119</sup>

من أجل تحقيق هذا المشروع الاستيطاني الفرنسي في الجزائر أمطرت فرنسا الجزائر مجموعة من الإجراءات والتنظيمات والقوانين التعسفية الجائرة منها:

<sup>118</sup> - هي قصور: زناقفة- الوداغير- المعيز- الحمام الفوقاني- الحمام التحتاني- أولاد سليمان- العبيدات <sup>118</sup>.  
<sup>119</sup> -- محمد صلاح، تاريخ العالم الحديث والمعاصر (1870-1939)، منشورات القضية، الجزائر، 1997، ص103.

- 1) تعيين والي عام على الجزائر: يعين من طرف وزارة الداخلية، و منها يتلقى الاوامر من أجل إحكام سيطرة فرنسا على الجزائر، وبالتالي إدماج شؤون الجزائر في الوزارات الفرنسية.<sup>120</sup>
  - 2) تقسيم الجزائر الشمالية إلى عمالات (ولايات) بناء على قرار 09 ديسمبر 1948 وهي ثلاثة عمالات (الجزائر وهران وقسنطينة) ووضع على رأس كل عمالة أو ولاية والي (عامل) يخضع لأوامر الحاكم العام، وكانت تشبه في طبيعتها وتقسيمها تقسيم بلديات النظام الفرنسي. وقد قسمت كل عمالة إلى مناطق إدارية تسمى بالدوائر يسيرها نائب والي. والجدير بالذكر أن هذا المنصب لم يكن مفتوحا في وظيفته أمام جميع الأهالي الجزائريين، وإنما كانت تصل إليه فئة قليلة من الأهالي المستشارون والمساعدون في المجالس البلدية، وكانوا يعينون من طرف والي العام.<sup>121</sup>
  - 3) البلديات: قسمت الولاية إلى نوعين من البلديات: البلديات الكاملة الصلاحية، والبلديات المختلطة.  
3-1 البلديات الكاملة الصلاحية: تم إنشاؤها بمقتضى قانون 15 أبريل 1884 يقطنها المعمرين ويطبق عليهم الحكم المدني.<sup>122</sup>  
3-2 البلديات المختلطة: وهي التي تضم أغلبية جزائرية يطبق عليهم الحكم العسكري وأقلية فرنسية يطبق عليهم الحكم المدني معناه إذا ارتكب أحد الجزائريين جنحة في حق أحد الفرنسيين فيحاكم إما بالسجن وحتى القتل، وليس له حق الطعن في قرار الحكم، عكس الفرنسيين إذا ارتكب أحدهم جنحة في حق أحد الجزائريين فلا تتم متابعتة أو محاكمته، وإذا حكم فإمكانه الطعن في الحكم، والتماس ظروف التخفيف وكل ذلك لأن الفرنسيين كانوا يصنفون كمواطنين من الدرجة الأولى والجزائريين مواطنين من الدرجة الثانية (الأنديجينا)<sup>123</sup>
  - 4- الحكم العسكري في جنوب الجزائر: كان يدار من قبل القادة العسكريين لمساعدة المكاتب العربية بالمقارنة مع الشمال الجزائري الذي طبق عليه الحكم المدني.<sup>124</sup>
- وعليه ومن خلال تتبعنا لهذه الإجراءات الإدارية الاستعمارية الفرنسية التي طبقت على الجزائريين، ندرك رغبة فرنسا الشديدة في إبعاد الجزائريين عن المساهمة في حكم بلادهم بالرغم من كونهم هم أصحاب الحق الشرعي والوحيد في ذلك.
- ب/ القوانين الإدارية: قامت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في سبيل تهجير الجزائريين من بلادهم، وإحلال محلهم عنصر المعمرين إلى إصدار مجموعة من القوانين التعسفية الظالمة أبرزها:
- 4- قانون كريميو<sup>125</sup> ، 24 أكتوبر 1870: وقد نص على العديد من النقاط أبرزها: منح الجنسية الفرنسية لليهود بصورة جماعية مع التمتع بجميع الامتيازات التي يخولها القانون للرعيا الفرنسيين دون التخلي عن عقيدتهم أو حقوقهم المدنية.

<sup>120</sup> - المرجع نفسه، ص104.

<sup>121</sup> - قندز حنان، بشير زهرة، بوكر عتيقة، السياسة الإدارية الفرنسية في الجزائر وتأثيرها على المجتمع الجزائري ما بين 1890-

1914، مذكرة ليسانس، قسم العلوم الإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف، 2013/2012، ص05.

<sup>122</sup> - شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1971 إلى التحرير 1954، ترجمة جمال الدين القاضي، نادي

الأزرق، فتحي سعيد، حسين بن قرين، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2008، ج2، ص308.

<sup>123</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار البصائر، ط1، الجزائر، 2007، ج3، ص05، قندز حنان، وآخرون، المرجع

السابق، ص7.

<sup>124</sup> - محمد صلاح، المرجع السابق، ص105.

كان الهدف من وراء إصداره رغبة فرنسا تقوية العنصر الأوروبي الفرنسي بمن فيه اليهود بالجزائر من جهة، وإعطاءه الحق في ممارسة النشاط السياسي والإداري في المؤسسات الفرنسية من جهة أخرى ولذلك وقف الجزائريون منه موقف رفض واستياء وخير رفض جاء على لسان الحاج محمد المقراني الذي احتج على القانون قائلا: "لا خير في دولة يفعل فيها يهودي ما يشاء"<sup>126</sup>.

2) قانون الأهالي (الأنديجينا) صدر في شهر مارس 1871 وبدا العمل به سنة 1874 هو عبارة عن مجموعة من الإجراءات الاستثنائية التعسفية نصت على:

• معاقبة الأهالي لأدنى عمل يقومون به.

• مصادرة أملاكهم دون حكم قضائي.

• منع الأهالي من التنقل بين الأقاليم المختلفة دون رخصة.

• منع التجمعات والاجتماعات مع منع الجزائريين من الذهاب للحج بحجة الطاعون وغيرها.

كان فرنسا تسعى وتهدف من وراء إصداره إلى تضيق الخناق على الجزائريين وجعلهم يعيشون في جو من الظلم والشعور بانعدامهم للأدوية ومن ثم دفعهم للهجرة من بلادهم وإحلال محلهم المعمرين.

3) قانون التهجير: في 15 جويلية 1914 كان الهدف من إصداره هو تسجيل الجزائريين ونقله إلى فرنسا للزج بهم في حرب لا تمتهم بأي صلة وقد بلغ عددهم نحو 270 ألف شخص<sup>127</sup>

4) قانون التجنيد الإجباري: 3 فبراير، 1912 نص على تجنيد كل شاب جزائري بلغ من العمر 18 سنة فما فوق في صفوف الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الأولى ولمدة 3 سنوات للدفاع عن الراية الفرنسية مقابل الحرية والاستقلال التي كانت مجرد وعود كاذبة، مع العلم أن شباب فرنسا كانوا يجندون في سن 21 سنة ولمدة سنتين وكانوا يختارون عن طريق القرعة وكانوا يقفون في مؤخرة الصف بينما الجنود الجزائريين كانوا يقفون في مقدمة الصف، حتى إذا كانت هنالك خسائر تكون في صفوف الجنود الجزائريين وهو ما أثار غضب وسخط وتذمر الجزائريين لأنهم رأوا فيه نوعا من التمييز العنصري.<sup>128</sup>

### ج/ القوانين الاقتصادية والمالية في عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة:

1/ القوانين الاقتصادية: لقد بذلت فرنسا جهودا كبيرة من أجل توطین عدد كبير من الفرنسيين في الجزائر، وفي سبيل ذلك سارعت إلى إصدار مجموعة كبيرة من القوانين لتمكينهم من الاستيلاء على الأراضي والأملاك العقارية منها: 1-1- قوانين نقل الملكية الزراعية ومصادرة الأراضي: بحكم أن الجزائريين كانوا لا يملكون سندات إدارية وقانونية تخول لهم حق الملكية العقارية وليس لديهم عقود أو صكوك ملكية وضعت الإدارة الفرنسية الاستعمارية يدها على

<sup>125</sup> - إسحاق موسى كريميو (1776-1880) (المعروف بأدولف كريميو)، محامي وسياسي فرنسي يهودي، أنتخب نائبا منذ عام 1848 مرارا آخرها نائبا عن مدينة الجزائر في الجمعية الوطنية الفرنسية عام 1871، كما تولى العدل مرتين أولها سنة 1848 والثانية في سنة 1870 إلى فبراير 1871، ينظر: بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، ص232.

<sup>126</sup> - محمد صلاح، المرجع السابق، ص106، أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، دار البصائر، الجزائر، 2007، ج1، ص239.

<sup>127</sup> - ينظر: قانون الأهالي Le code de l'indigenaux

<sup>128</sup> - ينظر: قانون الأهالي

مساحات واسعة من الأراضي البور والرعي والغابات متجاهلة بذلك حقوق الجزائريين كان من نتائج ذلك إما طرد المالك الأصلي من أرضه الخصبة وحصره في أرض ضيقة وفقيرة، وإما جعله في خدمة المعمرين.

كأجير أو كخماس، وهو ما دفع الكثير منهم إلى الهجرة الداخلية والخارجية.<sup>129</sup>

1-2- قانون وارني: 26 يوليو، 1873 جاء بهدف القضاء على الملكية الجماعية للقبائل والأعراش وفي هذا الإطار قامت السلطات الفرنسية بمصادرة عدد كبير من الأراضي الزراعية بعد فشل مقاومة المقراني وهزيمة فرنسا أمام ألمانيا في حرب السبعينات ومنحها لمهاجري الألزاس واللورين. هذا بالإضافة إلى فرض غرامات مالية خيالية على كل من شارك في الثورة، الأمر الذي أدى بالفلاحين إلى رهن أو بيع أراضيهم للمعمرين بأثمان رخيصة، حيث ظل عشرة سنوات (1871-1881م) من عمر الجمهورية الفرنسية الثالثة تم استيطان مساحة من الأراضي تساوي مدة استيطان مساحة كل الأراضي في السابق أي ما بين (1830-1870م) تقريباً.

1-3- قانون اصلاح الأراضي وتوجيه الإنتاج الزراعي: بمقتضى قانون مصادرة الأراضي سيطر الأوروبيون على أخصب الأراضي خاصة في السهول الداخلية، نمت المستثمرات الفلاحية التي استخدمت فيها الوسائل المتطورة والحديثة، وهو ما ساعد في ضخامة إنتاجها ومحاصيلها، وخاصة منها المحاصيل النقدية أو التجارية مثل الحبوب والحمضيات والكروم، أما عن أهم الشركات المستثمرة في الميدان الفلاحي فنذكر:- الشركة العامة السويسرية في نواحي سطيف بمساحة تقدر بـ (20 ألف هكتار).

- الشركة الفلاحية والصناعية لصحراء الجزائر ولديها أكثر من (24 ألف هكتار) في الواحات.<sup>130</sup>

وعليه نستنتج أنّ الزراعة في الجزائر خلال الحكم المدني عرفت بنمطين، نمط معاشي موجه لخدمة المواطنين يعتمد على وسائل تقليدية ذات إنتاج محدود، ونمط تجاري موجه للتصدير يعتمد على وسائل حديثة ومتطورة، أشرف عليه المعمرين بهدف ربط الإنتاج الزراعي الجزائري بالاقتصاد الفرنسي، ومن ثم جلب العملة الصعبة وهو ما كان له الأثر الإيجابي على المعمرين والسلبي على الأهالي.

2- النظام المالي: لزيادة مداخيل الخزينة الفرنسية فرضت فرنسا عدّة ضرائب على الجزائريين منها الضريبة العربية التي تعود أصولها إلى العهد العثماني، وكان يدفعها الجزائريون بناء على الشريعة الإسلامية كالزكاة والعشر، بالإضافة إلى الضريبة الفرنسية التي فرضت على الجزائريين بعد الاحتلال.<sup>131</sup>

وللإشارة فقد كان المعمرين الأوروبيون الأغنياء يدفعون أقل الضرائب مقارنة بما كان يدفعه الأهالي الفقراء، إضافة إلى أعمال سخرة والحراسة الليلية.

د- الواقع الثقافي والديني: عمدت الإدارة الاستعمارية إلى إيجاد جملة من الإجراءات التعسفية بهدف محاربة التعليم في الجزائر وذلك من خلال غلق المدارس والمعاهد وإحراق المكتبات، وهو ما أدى إلى هبوط في عدد التلاميذ خاصة

<sup>129</sup> - نادية طرشون وآخرون، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي، دار هومة، سطيف، الجزائر، 2007، ص150

<sup>130</sup> - عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي (1830-1960)، ترجمة جوزيف عبد الله، دار الحداد، ط1، لبنان، 1983، ص158.

<sup>131</sup> - محمد صلاح، المرجع السابق، ص114.

بعد قيام ثورة المقراني، وارتفاع نسبة الأمية بنسبة 99.5% والرجال بنسبة 95%، كما أوصدت أبواب الجامعات في وجه الجزائريين.

ومن أجل تنصير المجتمع الجزائري، اعتمدت فرنسا على طريقتين:

-الطريق الأول: وكانت تهدف من خلاله إلى تمسيح المحيط من خلال تحويل المساجد إلى كنائس والقضاء على المؤسسات الدينية الإسلامية من مساجد وزوايا وكتاتيب وخير مثال في هذا الشأن تحويل جامع كتشاوة إلى كاتدرائية القديس فيليب، إضافة إلى معاقبة الأئمة واتهامهم بالزندقة والخروج عن تعاليم الدين الإسلامي وخلق أئمة موالين لفرنسا.<sup>132</sup>

-الطريق الثاني: وكانت تهدف من خلاله إلى تمسيح الروح، وذلك من خلال زرع الأفكار المسيحية والنصرانية في عقل وقلوب الجزائريين، وما فعله الكاردينال لا فيجيري وهو يحمل الصليب في يمينه والخبز في يساره في أوساط الأطفال الصغار مستغلا قلة إدراكهم وفقدهم لخير دليل على ذلك، حيث استطاع أن يجمع ما يقرب ( 1500 طفل) متشرد ويقيم، وتربيتهم تربية مسيحية في ظل الكنيسة حتى يؤهلهم في المستقبل لخدمة المشروع النصراني المسيحي ضد أهاليهم وبلادهم.<sup>133</sup>

وهكذا ندرك أنّ فرنسا كانت تهدف من وراء هذه الإجراءات إلى نشر الجهل والامية في أوساط المجتمع الجزائري، وكذلك إلى طمس مقومات الأمة الجزائرية وشخصيتها العربية الإسلامية، ومن ثم تفكيك الوحدة الوطنية عن طريق إثارة الفتن بين فئات المجتمع.

**ه-انعكاساتها على المجتمع الجزائري:**

لقد انعكست هذه الإجراءات التي طبقتها فرنسا الاستعمارية على الشعب الجزائري سلبا، حيث تسببت في تهيمشهم وحرمانهم من حقوقهم الإدارية والاقتصادية ومنحها للمعمرين بهدف تكريس المشروع الاستيطاني والإدماج الكامل للجزائر وإحاقها بفرنسا.<sup>134</sup>

كما ساهمت في تكريس سياسة استغلال خيرات الجزائريين من طرف المعمرين من خلال السيطرة على أخصب وأجود الأراضي الجزائرية، وهو ما دفع الكثير من الجزائريين الى الوقوع في الفقر والجوع، وبالتالي دفعهم الى الهجرات بأعداد كبيرة سواء نحو المناطق الداخلية القاحلة الجبلية النائية أو نحو العالم الخارجي، هذا بالإضافة الى محاربة اللغة العربية وتزييف التاريخ، ومحاولة القضاء على الدين الإسلامي، وزرع سياسة فرق تسد بين العرب والأمازيغ.<sup>135</sup>

وعليه يمكننا القول بأن هذه التنظيمات التعسفية الاستثنائية التي اتخذتها فرنسا في حق الأهالي على جميع الأصعدة كانت تصب في إطار نجاح وتكريس المشروع الاستيطاني في الجزائر وبالتالي تغليب العنصر الفرنسي الأوروبي على العنصر الجزائري.

<sup>132</sup> - محمد صلاح، المرجع السابق ، ص115.

<sup>133</sup> - سعد أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 2005، ص45، سماني محفوظ، الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، ترجمة محمد الصغير بناني، عبد العزيز بوشعيب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص114.

<sup>134</sup> - المرجع نفسه، ص115، قنذ حنان وآخرون، المرجع نفسه، ص118، محمد صلاح، المرجع نفسه، ص119

<sup>135</sup> - قنذ حنان، المرجع نفسه، ص52.

## 8- اوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين الى غاية 1919 – سياسيا-اقتصاديا-اجتماعيا

البعد السياسي في تراث الحركة الوطنية الجزائرية

قامت الدولة الجزائرية تاريخياً قبل الاحتلال الأجنبي الفرنسي 1830م، حيث كانت تتمتع بشخصية دولية وهيبه عالمية وعلاقات دبلوماسية وقوة بحرية وعسكرية في حوض المتوسط ورخاء اقتصادي وتماسك اجتماعي، لها تنظيم سياسي وإداري ومجموعة قواعد عرفية خاصة بانتقال وممارسة السلطة إلى جانب قواعد الشريعة الإسلامية. وكرد فعل على الغزو الاستعماري ظهرت المقاومة الوطنية التي اتخذت عدة أشكال من بينها الشكل السياسي والتنظيمي الذي عبرت عنه الحركة الوطنية الجزائرية فكان كفاحها منظماً تجلى في تشكيل تكتلات وجمعيات، ونوادٍ فكرية وأحزاب سياسية تنتمي إلى مختلف التيارات (الوطني الثوري، الإصلاحية الإسلامي، الاندماجية الليبرالية، الشيوعية) طالبت بالحقوق المدنية والسياسية في ظل الإدارة الاستعمارية.

سنحاول في هذا البحث التطرق إلى أهم الحركات الإصلاحية (الجمعيات والنوادي الثقافية) والحركات السياسية والأحزاب السياسية، والوظائف الاجتماعية والسياسية (التنشئة الوطنية السياسية) والأفكار والبرامج السياسية، التصورات الدستورية المؤسساتية التي ساهمت فيما بعد في حكم الحياة السياسية بعد الاستقلال.

### التنظيمات السياسية والثقافية:

هناك مراحل من التطور مر بها المجتمع الجزائري كانت سبباً في ظهور الحركات الإصلاحية والأحزاب السياسية كظاهرة اجتماعية وسياسية مصاحبة لهذا التطور، فنعرّضُ الشعب الجزائري لاضطهاد الاستعمار الفرنسي دفعه إلى التكتل، كما وفرت التقاليد العربية الإسلامية قاعدة أساسية للمعارضة، وتعتبر الحركة الوطنية مهد الحياة التنظيمية والحزبية في الجزائر، فهي التعبير السياسي لمجموعة تعي وحدتها الاجتماعية وهي في حالة سيطرة فتطالب باستقلالها لتأكيد وجودها كمجموعة سياسية وهي تظهر على إثر ظهور الوعي الوطني وعلى إثر ظهور إرادة بناء مجتمع سياسي مستقل، إنّ الحركة الوطنية تعني المجتمع السياسي الذي يتعلق بالأمة<sup>(136)</sup>

### أولاً: الحركات الإصلاحية:

واجهت الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي أوسع وأعمق شكل من أشكال الاستعمار الأوروبي بنوعيه القديم والحديث، وكان مخططه يقوم على أربعة أسس هي: التفجير والتجهيل والتنصير والفرنسة. وكانت سياسة فرنسا تستهدف محو الكيان الجزائري بكل مقوماته الحضارية وإبعاد الشعب الجزائري عن المشاركة في حكم بلاده وإخضاعه إلى تحكم المستوطنين الأجانب الذين انفردوا بإدارة البلاد واستثمار خيراتها، كما ألحقت الجزائر بفرنسا إثر مرسوم فرنسي اعتبر (الجزائر فرنسية).

ونتيجة لذلك تمثلت المقاومة المسلحة في عدة ثورات منظمة وحركات شعبية وحرب فدائيين وطنية.

<sup>136</sup> - الأيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية: د. بو عزيز يحيى، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1986، ص، 111

وبعد فشل المقاومة الوطنية التقليدية واستشهاد النخبة الوطنية، ونفي بعضها، انتقل مركز نمو الوعي الوطني إلى الأوساط الحضرية، وبدأت بوادر الممارسة السياسية تظهر في المقاومة السياسية للاستعمار بوسائل عصرية وتنظيمية سليمة، تمثلت في الجمعيات والنوادي الاجتماعية والثقافية بالإضافة إلى الطرق الصوفية. ويمكن الإشارة إلى أهم هذه التنظيمات، كما يلي:

1. الجمعية الراشدية: تأسست سنة 1894 من شباب جزائري خريجي المدارس الفرنسية الجزائرية وبتأييد من بعض الفرنسيين المتعاطفين مع الجزائريين، استطاعت أن تنشئ فروعاً لها عبر أنحاء الجزائر وتحقق بذلك الانتشار بسرعة. كان هدف الجمعية هو مساعدة الشباب الجزائري على العمل والتفكير، والعيش عيشة حديثة ومن بين الوسائل التي ارتكزت عليها لتبليغ رسالتها، إلقاء المحاضرات لتوعية الشعب ونشر الثقافة الإسلامية للحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية، ومن أهم عناوين المحاضرات التي نظمتها الجمعية لعام 1907 «التضامن والأخوة بين المسلمين»، «التشريع الإسلامي في الجزائر منذ 1832»، الحضارة العربية قبل وبعد الإسلام، التنظيم السياسي لفرنسا<sup>137</sup>. من خلال عناوين هذه المحاضرات التي نظمتها الجمعية، نلاحظ إقحام وإدراج المواضيع ذات البعد السياسي والوطني والتركيز على بث وغرس القيم الوطنية والسياسية.

2. الجمعية التوفيقية: أنشئت عام 1908م، ثم أعادت النخبة تنظيمها سنة 1911، استطاعت هذه الجمعية أن تستقطب عدداً كبيراً من الأعضاء وصل إلى مئتي عضو خلال سنة واحدة، يرأسها الدكتور «ابن التهامي»، هدف هذه الجمعية الثقافية هو جمع الجزائريين الذين يرغبون في تثقيف أنفسهم وتطوير الفكر العلمي والاجتماعي.

3. النوادي الثقافية: بدأ ظهورها منذ منتصف القرن التاسع عشر، واتسع نشاطها العملي إلى مطلع القرن العشرين ومن أشهر هذه النوادي:

- نادي صالح باي: تأسس بقسنطينة في عام 1907، كان هدفه تربية الشعب تربية فكرية وتشجيع الهوايات الأدبية والعلمية ونشر التعليم، والمساعدة على تحرير الجماهير.

ثم توالى تأسيس النوادي في مختلف أنحاء الوطن، مثل نادي الترقى 1927، نادي الشباب الجزائري في تلمسان، نادي «الإقبال» بجيجل... الخ. وكانت هذه النوادي تهدف إلى حث المواطنين على التأمل والتفكير في أسباب التخلف، ثم البحث عن سبيل الرقي باقتباس العلوم العصرية التي كانت السبب في نهضة أوروبا نفسها.

### ثانياً: الحركات السياسية

إن التطورات السياسية والفكرية التي عرفها العالم العربي، ودرجة الوعي الوطني الذي بدأ ينمو في شكل تنظيمات سياسية متعددة ذات طابع إصلاحية، نادى بتغيير أساليب القهر التي تعاملت بها الإدارة الاستعمارية مع أهل البلاد، فطالبت بإدخال مجموعة من الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية، وقد أنشئت هذه التنظيمات بعد فشل المقاومة المسلحة، إلا أن هناك تنظيماً ظهر بعد الغزو مباشرة، ويعتبر أول حزب سياسي نظمه الجزائريون كان بزعامة «حمدان خوجة»

<sup>137</sup> - التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية، د. شريط الأمين، (1919-1962) الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية 1998.

1- لجنة المغاربة: تكوّن هذا التنظيم مباشرة بعد اتفاق 5 جويلية 1830 الذي وقعه «الداي حسين» باسم حكومته مع قائد الحملة الفرنسية الكونت «دوبرمونت Du Bermont» «وقد تزعم هذا التنظيم السياسي المفكر السياسي «حمدان جوجة» صاحب كتاب «المرأة»، وهو عبارة عن تجمع يضم أعيان وتجار وعلماء مدينة الجزائر العاصمة، كانوا على وعي بدورهم السياسي والوطني وعلى دراية بالخبايا السياسية الخارجية الفرنسية، والعلاقات الدولية، وأعلنوا المعارضة المفتوحة برفع الشكاوي والعرائض إلى السلطات الفرنسية في الجزائر وفرنسا، وإلى الرأي العام العالمي المناهض للحركة الاستعمارية، وطالبوا بأن «يحكم الشعب الجزائري نفسه بنفسه» و«إعادة القومية الجزائرية من جديد وإقامة حكومة حرة وتحريير دستور يتفق وتقاليدهم وعاداتهم»<sup>138</sup>.

2- كتلة المحافظين: تكوّنت عام 1900، وهي تشمل المثقفين التقليديين والمحاربين القدامى والزعماء الدينيين وبعض الإقطاعيين المرابطين، وكان من بينهم بعض المعلمين والصحفيين، كانوا يؤمنون بالقومية الإسلامية، ومعادين لفكرة التجنيس والخدمة العسكرية تحت العلم الفرنسي. ظهرت هذه الكتلة بعد استيلاء المستوطنين الأوربيين على السلطة في الجزائر. وتضمن برنامج الكتلة النقاط التالية:

- المساواة في التمثيل النيابي بين الجزائريين والأوربيين.

- معارضة التجنيس وإلغاء قانون الأهالي وحرية التعليم بالعربية.

- حرية التنقل والهجرة إلى المشرق العربي.<sup>139</sup>

انقسمت الكتلة إلى قسمين: قسم يضم النخبة التقليدية المحافظة، التي تكونت في المدارس القرآنية وجامعات الشرق، دافع أصحابها عن الهوية العربية الإسلامية وطالبوا بالتغيير في الإطار العربي الإسلامي وقسم يضم النخبة الجديدة ممن تخرجوا من المدارس الفرنسية الجزائرية وطالبوا بالإصلاح.

3- جماعة النخبة: تعتبر جماعة النخبة أول تعبير عن المطالب السياسية، تكوّنت سنة 1907 من المثقفين باللغتين العربية والفرنسية، كالمترجمين والمحامين والأطباء والمعلمين والصيادلة والقضاة والصحفيين وبعض التجار والطلبة. وكانت هذه الجماعة على نقيض سياسي واجتماعي في أغلب المواقف مع المحافظين، وتركزت مطالبها على المساواة في الحقوق السياسية مع إلغاء قانون الأهالي والتمثيل النيابي الكامل للجزائريين، وكانت هذه الجماعة تهدف إلى توحيد الجزائر مع فرنسا، وتبنت أفكار الغرب وثقافته حتى قال فيهم الكاتب الفرنسي «جون جوريس Jean» «Jaures:إنهم جماعة ضاعوا بين حضارتين، الحضارة العربية والحضارة الغربية»، ويعتبر المؤلفان «كلود كولو» Claude Collot و«جون روبير هنري Jean Robert Henry» «أن جماعة النخبة هي بداية لظهور الأحزاب السياسية في الجزائر منذ 1912 بالمعنى الصحيح<sup>140</sup>.

138- ثمانية ماي، المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، د. رخيطة عامر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص 145

139- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، د. الخطيب أحمد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 234.

140- الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، الجزء الثاني، د. أبو القاسم سعد الله، ط4، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992، ص 189.

4- حركة الشباب الجزائريين (حزب الفتاة): ظهرت هذه الحركة عام 1912 كجماعة ضغط سياسي على يد مجموعة من الشباب الجزائري، ذوي التكوين الثقافي الفرنسي، شغلوا مناصب في ميدان الترجمة والتعليم والسياسة، كان لديهم اطلاع سياسي كافٍ لمناقشة مسائل تنير الرأي العام، تبنت الحركة وسائل وطرقاً شرعية سياسية سلمية، كما أنشأت النوادي والجمعيات والصحافة لنشر الأفكار الإصلاحية وبت القيم الوطنية والسياسية، تمثلت مطالبهم الإصلاحية، في حق المشاركة في الانتخابات، والمساواة في تقلد المناصب المدنية. استمرت هذه الحركة حركة إصلاحية كبقية الحركات الأخرى ولم تأت بالجديد إلا أن «محمد تقياً» يرى فيها حركة تحديثية<sup>(141)</sup> لأنها جددت المطالب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للنخبة على طريقة الشباب الأتراك والشباب التونسيين الذين تأثروا بالحضارة والتقدم الحاصلين في الغرب، ونادوا بإدخال تحسينات على مجتمعاتهم.

5- الحركة الإصلاحية السياسية: تأسست هذه الحركة سنة 1919 بقيادة «الأمير خالد» وضمت في تركيبها إقطاعيين جزائريين وأعضاء الفئة الوسطى المثقفة والمحامين والأطباء، وبعض الموظفين في الإدارة الفرنسية<sup>(142)</sup> المتمسكين بالهوية الإسلامية، وحظيت هذه الحركة بتأييد جماهيري لخطابها الموجه لتلك الفئات الجزائرية والذي يعبر عن مطامحها الدينية، والوطنية والاقتصادية والسياسية.

ظهرت هذه الحركة نتيجة إصلاحات 1919 التي تقدمت بها الإدارة الاستعمارية، والتي قسمت حركة «الشباب الجزائري» إلى فئتين مختلفتين بشأن قضية (الاندماج) وظهر هذا الانقسام بحدّة في قيادة الحركة أثناء الانتخابات البلدية، وكان الزعيمان المتنافسان، هما: «الدكتور ابن التهامي» الذي كان على رأس الاندماجين و«الأمير خالد» الذي كان على رأس المنادين بالمساواة، كانت انتصارات الأمير خالد ساحقة في هذه الانتخابات، مما أثار حفيظة الإدارة الاستعمارية التي رأت في الأمير بوادر الوطنية الجزائرية، واعتبرت نجاحه «يقظة مفاجئة للتعصب الإسلامي». ولذا نجد من المؤرخين الجزائريين من يعتبر نشاط «الأمير خالد» السياسي سنة 1919 بداية وتعبيراً أوليين عن الوطنية في إطار الشرعية الفرنسية<sup>143</sup>. ولقد جاء برنامج الحركة على مرحلتين: الأولى في إطار «جمعية الأخوة الجزائرية» كما يلي:

- تحقيق التمثيل النيابي للجزائريين غير المتجنسين.

- إلغاء السلطات التأديبية لحكام البلديات المختلطة.

- المساواة أمام القانون. إدماج الجزائريين بدون شرط.

ولقد اكتمل البرنامج في المرحلة الثانية في الرسالة التي بعث بها «الأمير خالد» إلى رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية آنذاك «هيريو Herriot»، أكد فيها المطالب التالية:

- مساواة التمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي بين الجزائريين والأوروبيين.

<sup>141</sup> - الخطيب أحمد، الجزء الأول، حزب الشعب الجزائري، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 125.

<sup>142</sup> - العقون عبد الرحمن، الكفاح القومي والسياسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 134.

<sup>143</sup> - العلوي محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية (1830-1954)، دار البعث، الجزائر، 1984، ص 210.

- إلغاء القوانين والإجراءات الاستثنائية الخاصة بالجزائريين في المحاكم الرادعة والمحاكم الجنائية إلغاءً كاملاً نهائياً وإبطال الرقابة الإدارية مع الرجوع إلى القانون العام.
- التمتع بنفس الحقوق والواجبات مع الأوروبيين في الخدمة العسكرية.
- ارتقاء الجزائري إلى جميع الرتب المدنية والعسكرية دون قيد.
- تطبيق قانون التعليم الإجباري تطبيقاً شاملاً على الجزائريين.
- حرية الصحافة والاجتماع والعمو العام عن المعتقلين والمهتمين.
- تطبيق قانون فصل الدين عن الدولة على الشريعة الإسلامية.

نلاحظ أن الأمير «خالد» قد أضاف إلى نقاط برنامجه السابق بعض المطالب الجديدة كحرية الصحافة والتجمع وفصل الدين عن الدولة، وبعض المطالب الاجتماعية أملتتها الظروف السياسية الدولية واحتكاكه بالحركات الإسلامية في المشرق العربي والحركات النقابية والعمالية في العالم.

6- الحزب الليبرالي: تعتبر هذه التشكيلة السياسية امتداداً لحركة الشباب الجزائري التي انشقت إلى جماعتين بعد انتخابات 1919. ويعتبر هذا التنظيم ليبرالياً في موقفه من الحالة الراهنة التي كان ينادي بها المستوطنون<sup>144</sup>. ترأسه «الدكتور ابن التهامي» وأصدر جريدة «التقدم» الناطق الرسمي للحركة.

لم يختلف برنامج هذا التنظيم عن برنامج «الأمير خالد» إلا في نقطة واحدة وهي دمج الجزائر دمجاً كاملاً، ومنح الجنسية للجزائريين.

وفي سنة 1923 وبعد أن نفت فرنسا «الأمير خالد» خلت الساحة أمام الليبراليين الذين فازوا في الانتخابات التي نظمت في عام 1924، ومن أهم زعماء هذه الحركة نجد «بلحاج»، «الزناتي»، و«فرحات عباس» و«بن جلول» الذي سيكون له دور بارز في الثلاثينيات، وأهم النقاط كان يحتويها برنامج الليبراليين ما يلي:

- احترام الحضارة الإسلامية.

- التخلي عن نظرية الامتياز العنصري.

- المساواة في الحقوق السياسية.

- تحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع حديث عن طريق جماعة النخبة لا عن طريق الفرنسيين.

7- الفيدرالية الشيوعية الجزائرية: أنشئت عام 1924 في الوقت الذي كان الصراع فيه دائراً بين الشيوعيين، وأغلبهم فرنسيون، وبين السلطة بسبب تأييد الحزب الشيوعي لثورة «عبد الكريم الخطابي» في الريف المغربي، ولقد ادعى الشيوعيون أن الوسيلة الفضلى لمساندة الحركات الاستقلالية لن تكون بالتخلي عن المستعمرين، بل بالعمل من أجل

<sup>144</sup>- شريط عبد الله، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الأيديولوجي في الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986، ص84.

الحزب الشيوعي، وبمضاعفة الدعوة للاشتراك في العمل النقابي والتعاون<sup>145</sup>.

ثالثاً: نشأة الأحزاب السياسية

يرتبط ظهور الأحزاب السياسية في الأنظمة السياسية المختلفة بأمرين، الأول: وجود أزمة مر بها المجتمع، وتتطلب تنظيم الأفراد سياسياً لمواجهة تلك الأزمة مع طرح الحلول، والثاني يرتبط بالإحساس بأنه يمكن التصدي للأزمة وحلها عن طريق العمل الجماعي وقد توفر الشرطان في المجتمع الجزائري في مطلع القرن العشرين، فتعرض الشعب الجزائري لأبشع أنواع الاستغلال والتنكيل والاضطهاد، دفعت به إلى التكتل والوقوف في وجه الاستعمار، وأدى توسع الاستعمار وانتشار مؤسساته إلى خلق وسائل تحطيمه. فعلى المستوى الاقتصادي، أصبحت الرأسمالية الوطنية في تناقض مع الرأسمالية الاستعمارية، أما على المستوى السياسي، فإن سياسة التمييز العنصري قد تم رفضها من طرف النخبة الوطنية، فالسياسة الاستعمارية قد خلقت شروط نشأة الحركة الوطنية وتطورها وحوّلت مطالبها من إصلاحات اقتصادية واجتماعية إلى المطالبة بالاستقلال الكامل.

ويعتبر التغيير في المناخ الفكري والثقافي وحركة النهضة الإصلاحية في العالم العربي وحركة الترجمة، وهجرة بعض الجزائريين إلى المشرق العربي، والاتصال الثقافي عن طريق الصحف والكتب والمجلات هو الأثر الكبير في تطور المجتمع في تلك الفترة. كذلك كان لازدهار الصحافة السياسية أثر كبير في تغيير الكثير من المفاهيم التقليدية عن نظام الحكم. فضلاً عن دور الحرب العالمية الأولى في نضج وتطور الفكر السياسي الجزائري نظراً لاحتكاك الجزائريين الذين شاركوا في هذه الحرب بالمجتمع الأوروبي الذي كان آنذاك يتمتع بمبادئ الحرية والديمقراطية، إلى جانب ذلك هناك إعلان الرئيس الأمريكي «ويلسون Woodrow» عن مبادئه الأربعة عشر والتي من بينها حق تقرير مصير الشعوب المستعمرة.

وكان نتيجة ذلك ظهور نخبة وصفوة ثقافية أصبحت تكوّن تياراً سياسياً قوياً يطالب بالاندماج والمساواة والتخلص من التفرقة العنصرية.

إن تزوير الانتخابات البلدية والمجالس العامة وطرد «الأمير خالد» قد قضت على أي تعاون بين المسلمين والأوروبيين في الجزائر، ودفعت بالجزائريين لتكوين أحزاب للدفاع عن أنفسهم.

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن الفكر السياسي والتنظيمي الجزائري، كان موجوداً قبل الاحتلال، وما تم التأثير به هو شكل التعبير عن تلك المفاهيم من خلال الأحزاب وطرق تنظيمها وأساليب نشاطها ووضع برامج سياسية. وبعد الحرب العالمية الأولى بدأت تظهر الأحزاب السياسية بنحو بارز ومتطور ببرامجها السياسية ومطالبها الوطنية.

يمكن تصنيف أحزاب الحركة الوطنية، على أساس مواقف وتصريحات وخطب النخب السياسية الجزائرية من الوجود الاستعماري، فالتصورات والمفاهيم الثقافية السياسية تكوّنت نتيجة وجود خطابين: الأول يستمد مرجعيته الفكرية من الحركة الإصلاحية الدينية الداعية إلى العودة بالمجتمع إلى قيمه وأصالته، وإصلاحه من الداخل. والثاني يستمد أسسه من المنظومة الفكرية المرتبطة بالظاهرة الاستعمارية، الأمر الذي سمح ب بروز شرائح وقوى اجتماعية وسياسية تنتقل من مرحلة الدفاع والمقاومة إلى مرحلة المطالبة بالاستقلال والتحرر وبناء الدولة الوطنية.

- التيار الاستقلالي:

يضم هذا التيار، حزب نجم شمال إفريقيا، ثم حزب الشعب، وبعد الحرب العالمية الثانية تحول إلى حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، هذا التيار يفضل المواجهة والعنف الثوري مع الاستعمار الفرنسي

<sup>145</sup> - د. محفوظ قداش، جيلالي صاري، المقاومة السياسية في الجزائر. (1900-1954) المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1987 ص، 78

بحلول سنة 1926، أسس العمال الجزائريون في المهجر حركة سياسية أطلقت على نفسها اسم «نجم شمال إفريقيا» للدفاع عن مصالحهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وضم النجم تيارين سياسيين: الأول أكد على المسألة الوطنية وتحقيق استقلال الجزائر عن طريق كفاح الطبقة العاملة، وكان يطمح إلى إقامة نظام اشتراكي في جزائر ما بعد الاستقلال.

أما التيار الثاني فكان يمثل «مصالي الحاج» المؤمن بالأمة الجزائرية وبقِيمها التي تميزها عن الأمة الفرنسية، وانطلاقاً من هذا التصور، فإن وجهة نظره حول الاستعمار لم تكن مبنية على أساس الصراع الطبقي وإنما كانت مبنية على أساس المسألة الوطنية، ولقد تبنى نجم شمال إفريقيا من أول الأمر الخطوط العريضة من برنامج الشباب الجزائريين «جناح الأمير خالد» حيث طالب بإلغاء الاندماج وبالمساواة في جميع الميادين بين المسلمين والفرنسيين وبالحرريات الأساسية والحقوق السياسية والنقابية والمساواة أمام التوظيف العمومي والتعليم والجيش<sup>146</sup>.

ثم شهد برنامج النجم تطوراً مستمراً، وبدأ مطلب الاستقلال يبرز في نظامه الأساسي ففي مؤتمر بروكسل المنعقد بدعوة من الجمعية المناهضة للاضطهاد الاستعماري 1927 اغتنم «مصالي الحاج» فرصة وقوفه في مؤتمر عالمي ليقدم مطالب النجم الممثلة في البنود التالية:

- استقلال الجزائر.

- حرية الصحافة وحرية تكون الجمعيات والاجتماع.

- المساواة في الحقوق السياسية والثقافية مع الفرنسيين الموجودين في الجزائر.

- المطالبة ببرلمان جزائري منتخب في اقتراع عام.

هذا البرنامج اكتمل بصفة نهائية في ماي 1933 على إثر جمعية عامة تقرر فيها عدم إمكانية ازدواجية الانتماء إلى النجم وإلى الحزب الشيوعي الفرنسي، وبهذا أصبح النجم حزباً سياسياً بصفة فعلية، حيث كان من الناحية القانونية مجرد جمعية، كما أنه أصبح تنظيمياً سياسياً جزائرياً بعد التحاق المهاجرين المغاربة والتونسيين بأحزابهم الوطنية منذ 1930. وتضمن البرنامج الجديد، بالإضافة إلى ما سبق ذكره، الأفكار الرئيسية التالية:

- انتخاب مجلس تأسيسي عن طريق الاقتراع العام.

- تطبيق مبدأ الاقتراع العام على كل المستويات وقابلية كل سكان الجزائر للترشح لكل المجالس وممارسة حق الانتخاب.

- تكوين جيش وطني وحكومة وطنية ثورية.

- اللغة العربية هي اللغة الرسمية... الخ

ويلاحظ على هذا البرنامج أنه طرح تصورات للدولة الجزائرية كيف يجب أن تكون بعد الاستقلال، هذا على المستوى السياسي، أما على المستوى الدستوري فقد ركز على فكرة المجلس التأسيسي وفكرة البرلمان والمجالس المنتخبة على كل المستويات من القاعدة إلى القمة، وتكون هي أسلوب ممارسة السلطة في الدولة.

<sup>146</sup> - عبد الحميد زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1936) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 100.

- حزب الشعب: بعد حل نجم شمال إفريقيا تأسس حزب الشعب الجزائري في مارس 1937 بقيادة «مصالي الحاج»، فمن الناحية الشكلية حافظ الحزب على نفس التنظيم الهيكلي الذي كان متبعاً في عهد النجم، أما من الناحية القانونية فقد مر الحزب بمرحلتين أساسيتين.

- المرحلة الشرعية: الحزب الشرعي المصرح به قانونياً انتهج سياسة انتخابية معتدلة ذات طابع إصلاحية.

- المرحلة السرية: واصل نشاطه وتنظيمه بعد حله، وتعاضم في أوساط الشعب، وأنشأ إدارة جديدة سرية وقام بدعاية واسعة وسط المواطنين والمجندين من الجزائريين في الجيش الفرنسي.

ومن الناحية الأيديولوجية أصبح حزب الشعب يركز في مطالبه على الإصلاحات الفورية، ويراعى عاملين اثنين هما: الجو السياسي في الجزائر المغاير لجو فرنسا، ونشاط التشكيلات الوطنية الأخرى<sup>147</sup>.

كما حاول حزب الشعب الظهور بمظهر المعبر والمترجم الحقيقي لإرادة كل الشعب الجزائري بمختلف فئاته وشرائحه. وبهذا بدأ يظهر الميل إلى الوجودية السياسية واستصغار القوى السياسية الأخرى، وهو اتجاه استمر في التطور تدريجياً إلى أن أصبح أحد الخصائص بل الخاصة الرئيسية المتمثلة في الشعبوية التي ميزت الفكر السياسي والدستوري الجزائري خلال كامل مراحل تطوره<sup>148</sup>.

ومنذ تأسيس الحزب لخص مكتبه السياسي برنامجه كما يلي: «لا اندماج، ولا تقسيم ولكن تحرير». ويمكن تلخيص التصورات الدستورية والسياسية لحزب الشعب فيما يلي:

يمارس الشعب السيادة من خلال سلطة ديمقراطية تتمثل في حكومة مسؤولة أمام برلمان منتخب عن طريق الاقتراع العام، ولذا طالب بإنشاء مجلس جزائري منتخب من طرف الجميع.

وفي سنة 1938 نشر الحزب في جريدة «الأمة» برنامجاً كاملاً في جميع الميادين، ومما جاء فيه على الصعيد السياسي:

- الفصل بين السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية.

- الإقرار بكل الحريات الديمقراطية، مثل حرية الصحافة وإنشاء الجمعيات المختلفة والتفكير والنقابة والاجتماع...

2- التيار الديني الإصلاحية (جمعية العلماء المسلمين).

ظهر هذا التيار في البداية في شكل «نادي الترقى» في أواخر العشرينيات، ثم تطور إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي تأسست سنة 1931. والتي أعلنت عن طابعها غير السياسي حيث نصت المادة الثالثة (3) من قانونها الأساسي عن امتناعها عن أي ممارسة سياسية.

تبنت الجمعية إستراتيجية لمواجهة الاستعمار الفرنسي، قائمة على تغيير عقليات الناس، وهذا يؤدي بالضرورة إلى تغيير محيطهم الاجتماعي، فقد أدرك الشيخ «عبد الحميد بن باديس» (1889-1940) بعد استقراره لتاريخ الجزائر الحديث أن الشعب الجزائري يواجه قوة كبيرة لا يستطيع أن يقاومها بالمعارك الحربية والقتال فحسب، بل يجب أن تتهيأ الأمة من جديد عبر إعادة تكوينها الثقافي والقومي والنهوض نهضة علمية تصحح انحرافات المجتمع وتزيل

<sup>147</sup> - ناصر الدين سعيدوني ، أحداث 8 ماي 1945 ، مجلة الذاكرة، السنة الثانية العدد الثاني الجزائر، (02) ربيع 1995 ص.35.

<sup>148</sup> - الحركات السياسية خلال سنة 1936 في الجزائر، أنيسة بركات، مجلة التاريخ، الجزائر، العدد (9)، سنة 1980

تناقضاته<sup>149</sup>) وانطلاقاً من ذلك كان اهتمامها منصباً على الإصلاح الديني والثقافي معتبرة إياه الطريقة المثلى لتجديد الرأي العام الجزائري ضد الأيديولوجيا الاستعمارية، وفي هذا المجال رسمت الجمعية لنفسها برنامجاً قائماً على ما يلي:

- الاعتماد على جانب التربية والتعليم وتشبيد المدارس الحرة.

- تأسيس الحركة الصحفية النشيطة كجريدة «السنة، الصراط، الشريعة والبصائر» وتوجيهها لخدمة الإصلاح والتثقيف.

- تأسيس الجمعيات الخيرية وتقديم الخدمات الاجتماعية.

- تأسيس النوادي الثقافية والتكفل بالحركة الشبابية مثل «الحركة الطلابية» و«الحركة الكشفية الإسلامية» و«شباب المؤتمر الإسلامي»، ووصف جمعيتهم بأنها ثقافية تهذيبية لا علاقة لها بالسياسة مع أنهم يدركون تماماً أن الفصل بين ما هو ديني وما هو دنيوي يتناقض مع وجهة النظر الإسلامية للعلاقة بين الدين والدولة. وكان الهدف من ذلك تجنب الاصطدام بالإدارة الاستعمارية التي قد تضيق عليهم هامش الحركة لمواصلة نشاطها.

إن أهم عمل سياسي قامت به جمعية العلماء هو ترويجها لفكرة الأمة الجزائرية والدفاع عن أصالتها، والوقوف ضد التجنيس والاندماج في الوسط الفرنسي، كما تصرفت الجمعية كحزب سياسي عندما دعت إلى عقد المؤتمر الإسلامي، ثم شاركت فيه كما شارك «ابن باديس» إلى جانب قادة التشكيلات الأخرى في الوفد الذي أرسل إلى باريس لعرض الميثاق. ويمكن تلخيص مبادئه السياسية فيما يلي:

- الأمة هي مصدر كل سلطة وهي التي تعين وتعزل الحكام وتحاسبهم.

- تحكم الأمة نفسها بنفسها مما يستتبع الطابع الجمهوري للحكم، لأن الحاكم هو مجرد منفذ لإرادة الأمة.

- تراقب الأمة الحاكم وتسانله عند الحاجة وتستطيع عزله.

- الأمة هي التي تضع القانون عن طريق أهل الحل والعقد، والحاكم يعمل على تنفيذه فقط. فهناك فصل بين الهيئات الممارسة للسلطة أو الوظائف الأساسية في الدولة، مما يستتبع وجود فصل بين السلطات بالمعنى التقليدي أو توزيع للوظائف، وهذا أقرب إلى الفكرة الأساسية المتمثلة في رقابة الأمة الدائمة والمستمرة وحققها في المحاسبة والعزل. وبناء على ذلك فإن تصور «ابن باديس» لمسألة تنظيم السلطة قريب جداً مما هو معمول به في النظم المعاصرة<sup>150</sup>.

3- التيار الليبرالي (الاندماجي)

بدأت بوادر هذا التيار تظهر في بداية القرن العشرين على يد مجموعة من الجزائريين المفرنسين، هم نتاج الجهاز التعليمي الفرنسي والفكر اللاتيني والجمهوري (بمعناه السياسي والدستوري)، كانوا معلمين وأطباء وصيادلة ومحامين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة التي ارتبطت بالمهنة الحرة أو بالعمل في الوظائف البيروقراطية المدنية أو العسكرية الفرنسية، بدأ تأثير هذه الطبقة التي تحمل أفكاراً عربية وتؤمن بقيم فرنسية على الخريطة السياسية أثناء إثارة قضية

<sup>149</sup>- الشيخ عبد الحميد بن باديس والوعي القومي العربي، ساجد أحمد عبل، مجلة المستقبل العربي، السنة الثالثة والعشرون، العدد 254 (أبريل 2000).

<sup>150</sup>- الفكر السياسي عند ابن باديس ومحمد عبده، د. عبد الله شريط، مجلة حوليات الجزائر، جامعة الجزائر، العدد الأول، 1987.

التجنيد الإجباري ( 1912 ) حيث طالبوا بإحداث إصلاحات اجتماعية في إطار النظام الاستعماري وتحت سيادة الحكومة الفرنسية، بحيث تسمح تلك الإصلاحات بالحصول على كامل حقوق العضوية في المجتمع الفرنسي، كما هو الحال بالنسبة للمواطنين الفرنسيين المقيمين في الجزائر، ومما جاء في مطالبهم، إلغاء المحاكم والضرائب الخاصة بالجزائريين والمشاركة في تسيير المؤسسات والمجالس المحلية، وكذا حق التمثيل في البرلمان الفرنسي. وبامتداد الحركة الاندماجية تم تأسيس فيدرالية نواب مسلمي الجزائر في 18 جوان 1927. من أشهر قادة هذه الحركة «بن جلول»، «فرحات عباس»، «ابن التهامي»، لهم توجه اندماجيهم، لا يطالبون إلا بالمساواة مع الأوروبيين ولا يطالبون باستقلال الجزائر، ولا يدافعون عن الهوية الإسلامية العربية<sup>151</sup>.

لم يقدم التيار الليبرالي شيئاً ملحوظاً ومميزاً للجزائر في المجال الدستوري عموماً ومجال تنظيم السلطة خصوصاً. لكن معتقداتهما لفكرية الليبرالية وتعلقهم بالدستور والمبادئ الجمهورية الفرنسية، سيكون لها تأثير مهم في التطور الدستوري بالجزائر سواء قبل الثورة أو أثنائها أو بعدها.

#### 4- الحزب الشيوعي:

نتيجة للانتقادات التي تعرض لها الحزب الشيوعي الفرنسي بخصوص موقفه من الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، ورفضه تأييد حزب نجم شمال إفريقيا في دعوته إلى الاستقلال اضطر هذا الأخير إلى قطع كل الروابط مع الحزب الشيوعي الفرنسي، ولجأ إلى تأسيس فرع له في الجزائر، وقد شرع في «دعوة الجزائريين للانضمام إلى صفوفه»<sup>152</sup>.

ويعتبر الحزب الشيوعي الجزائري سليل الحزب الشيوعي الفرنسي، ولذا كان استقلاله ظاهرياً وشكلياً، وبقي بنحو دائم خاضعاً إلى استراتيجيات الشيوعية العالمية عامة والحزب الشيوعي الفرنسي خاصة، ففي أول مؤتمر له أكد الحزب على نقطتين:

- الحث على تغيير الوضع الراهن قبل كل شيء من أجل حياة أفضل للمجتمع الجزائري تسود فيه العدالة الاجتماعية.
- المطالبة بربط مصير الشعب الجزائري بمصير الشعب الفرنسي<sup>153</sup>.

تركزت نشاطات الحزب الشيوعي الجزائري في المطالبة بالإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية التي من شأنها أن تخفف من أتعاب الجزائريين، أما المسألة الوطنية فقد اعتبرت من خصوصيات أوروبا الصناعية والتي ليس لها علاقة ببلد غير صناعي كالجزائر.

<sup>151</sup> - ANDER NOUSCHL. La Naissance du Nationalisme Algérie (1914-1954). Paris, Les editions - de minuit, 1962.

<sup>152</sup> - BADRA LAHOUAL: «Politique Coloniale, identité nationale et super nationale en Algérie - 1830, 1937» Revus d'histoire Magrébine, vol 15 Numéro (juin) 1988.

<sup>153</sup> -CLAUDE COLLOT ET JEAN ROBERT HENRY. LE MOUVEMENT NATIONALE ALGERIEN. TEXTES 1912-1954. 2ème ED. ALGER: O.P.U ET L`HARMATTAN, PARIS 1981.

كما كان يعتبر الأمة الجزائرية أمة في طريق التكوين تاريخياً وأن المسألة الجزائرية يستحيل حلها قبل وصول البروليتاريا إلى السلطة في فرنسا.

يمكن تحليل أيديولوجية الحزب وتصوراته السياسية من خلال مشروع القانون الأساسي للجزائر الذي قدمه عام 1947، حيث اقترح اتحاد الجزائر مع فرنسا وتطبيق المساواة بين المسلمين الجزائريين والأوروبيين وحرية العبادة، وفصل الدين الإسلامي عن الدولة وانتخاب مجلس جزائري من 120 عضواً نصفهم أوروبيون، إضافة إلى إنشاء حكومة جزائرية ذات استقلال داخلي ذاتي وفتح المجالس البلدية أمام الجزائريين. وعليه فإن أيديولوجية الحزب الشيوعي الجزائري تدافع عن مصالح فرنسا وتحميها بالجزائر، وأن الإصلاحات التي تطالب بها ما هي إلا إصلاحات شكلية لا تمس جوهر المطلب الأساسي وهو الاستقلال وتحرير الجزائريين من الاستغلال الرأسمالي، أما فيما يخص مسألة تنظيم السلطة فلم يقدم حتى بداية الحرب العالمية الثانية أي تصور خاص ومتميز يجلب الانتباه في المجال الدستوري.

ثالثاً: تطور الأحزاب السياسية (من الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة 1939-1954)

تعتبر الفترة الممتدة من اندلاع الحرب العالمية الثانية حتى اندلاع الثورة التحريرية من أغنى المراحل من حيث الإنتاج الفكري السياسي، حيث تقدمت الأحزاب بمجموعة من المطالب السياسية والمبادئ الدستورية والصيغ المؤسساتية والنصوص تدرج في إطار تحقيق الوحدة الوطنية.

#### أ. التصورات السياسية والدستورية عند التيار الاندماجي:

يعتبر «فرحات عباس» زعيم هذا التيار السياسي، أنشط جزائري خلال الحرب العالمية الثانية، حيث وجه إلى «الماريشال بيتان Pétain» رسالة في أبريل 1941 تدور حول الأوضاع التي عاشتها وتعيشها الجزائر المسلمة طالباً القيام ببعض الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية بتاريخ 22 ديسمبر 1942، وفي خضم ما أحدثه نزول قوات الحلفاء بالجزائر من تحرك سياسي، تقدم «فرحات عباس» بعد مشاورات مسبقة مع قادة التشكيلات ببيان في 10 فيفري 1943 إلى الحكومة الفرنسية، تضمن القيام بإصلاحات سياسية، من بينها منح الجزائر دستوراً خاصاً يضمن الحرية والمساواة التامة بين جميع سكانها بدون تمييز في العرق أو الدين، وحرية الصحافة وحق إنشاء الجمعيات وحرية العبادة وتطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة ومشاركة الجزائريين المسلمين الحالية والفعلية في حكومة بلادهم.

نلاحظ من خلال هذه المطالب أن النواب ركزوا على المطالبة بالمشاركة في الحياة السياسية التي تسمح لهم بالمرور إلى المراكز العليا في أجهزة الدولة، كما تعبر هذه المطالب كذلك عن تطور في التفكير السياسي للنخبة الجزائرية.

- حركة أصدقاء البيان والحرية: تأسس هذا التجمع السياسي في 14 مارس 1944، بائتلاف بعض النواب والمتقنين والعلماء وحزب الشعب، لمواجهة مناورات الإدارة الاستعمارية التي رفضت المطالب السياسية والإصلاحات المقترحة التي جاءت في بيان 1943. ثم تحول التجمع إلى قوة سياسية لها نفوذ سياسي بانضمام الطلبة والكشافة. وقد

هيمن التيار الثوري (أعضاء حزب الشعب) على قيادة الائتلاف، لهذا تمثلت مطالبه في سن وإقرار دستور جزائري ديمقراطي جمهوري، وإنشاء برلمان جزائري وتشكيل حكومة جزائرية ذات سيادة تختار طواعية لا قسر<sup>154</sup>.

- الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري: أسسه «فرحات عباس» في أبريل 1946، ولقد سعى إلى تحقيق مصير الجزائر عن طريق إصلاحات تدريجية دون قطع الصلة بفرنسا، شارك الحزب في انتخابات الجمعية التأسيسية الفرنسية التي جرت في جوان 1946<sup>155</sup>.

وقدم نوابه في أوت 1946 مشروع دستور جزائري تمحور حول تأسيس جمهورية ذات حكم لها مؤسسات سياسية (السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطات القضائية). من خلال المواقف السياسية والطروحات. ونلاحظ أن حزب الاتحاد الديمقراطي قد تبنى قيم الثورة الفرنسية والحريات الفردية في الفكر الجمهوري الفرنسي.

### ب. جمعية العلماء المسلمين:

عادت بعد الحرب العالمية الثانية وبعد حوادث 08 ماي 1945 إلى نشاطها الديني والثقافي والتعليمي بعد مشاركتها في صياغة (بيان 3 فيفري 1943) ومساهمتها في تأسيس جبهة «أصدقاء البيان والحريّة» سنة 1944، ظهرت الجمعية برئاسة جديدة ترأسها «الشيخ البشير الإبراهيمي» الذي بعث بمذكرة إلى لجنة الإصلاحات الإسلامية التي أنشأتها السلطات الفرنسية، للنظر في مطالب البيان، تدعو فيها الجمعية في مجال الإصلاحات السياسية إلى إنشاء حكومة جزائرية تكون مسؤولة أمام برلمان جزائري.<sup>156</sup>

### ج. الحزب الشيوعي:

تعرض إلى الحل في بداية الحرب العالمية الثانية، أسس «مصالي الحاج» في نوفمبر 1946 «الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية» كغطاء سياسي لنشاط حزب الشعب المحظور، وكانت الغاية من ذلك المشاركة في الانتخابات التشريعية لسنة 1947. وقد حقق الحزب فيها نجاحاً نسبياً مما شجع «مصالي الحاج» على العودة إلى الحياة الشرعية الفرنسية.<sup>157</sup>

ومن المطالب السياسية والدستورية التي ركز عليها الحزب إنشاء مجلس تأسيسي جزائري كامل السيادة ينتخب عن طريق الاقتراع العام، ويكون هذا المجلس معبراً عن إرادة الشعب الجزائري ويمارس السيادة باسمه ويترجمها إلى دستور يحدد أسس الدولة الجزائرية في مختلف المجالات.<sup>158</sup>

يلاحظ أن مطالب التيار الاستقلالي ابتداءً من حزب نجم شمال أفريقيا ومروراً بحزب الشعب، ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، كانت من أجل مؤسسات سياسية جزائرية منتخبة.

<sup>154</sup> - MOHAMED TEGUIA. L'ALGERIE EN GUERRE. ALGER: OFFICE DES PUBLICATIONS UNIVERSITAIRES. 1988.p. 165

<sup>155</sup> - HOUARI ADDI. L'impasse du populisme L'Algérie collectivité politique et état en construction Algérie: entreprise nationale. 1990. P. 21.

<sup>156</sup> - أبو القاسم سعد الله. الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1900، الجزء الثاني، ط (4). دار الغرب الإسلامي بيروت، 1992، ص 137.

<sup>157</sup> - أحمد الخطيب. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985. ص 56-60.

<sup>158</sup> - محفوظ قداش، جيلالي صاري، المقاومة السياسية 1900-1954، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987، ص 10-11.

هـ. الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها:

كان الدافع الأساسي للتفكير في إنشاء هذه الجبهة هو ما تعرضت له الأحزاب السياسية من تضيق وحصار إعلامي وتزوير الانتخابات. وبعد الاتصالات ومشاورات عديدة بين التشكيلات السياسية، أعلن في شهر جوان 1951 عن تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها والتي ضمت كل التنظيمات الموجودة (حركة انتصار الحريات الديمقراطية، الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، جمعية العلماء المسلمين، الحزب الشيوعي)، وعلى الرغم من التباين السياسي والإيديولوجي، وتعدد الرؤى السياسية للصراع الجزائري الاستعماري الفرنسي فقد تبنت الجبهة جملة من المطالب:

- احترام حرية الانتخابات في (القسم الثاني).

- احترام حرية الرأي والصحافة والاجتماعات.

- رفع الظلم بجميع أشكاله وتحرير المعتقلين السياسيين، وإبطال الإجراءات الاستثنائية.

- وضع حد لتدخل الإدارة الاستعمارية في شؤون الدين الإسلامي.<sup>159</sup>

ارتبطت نشأة الأحزاب السياسية في الجزائر، بفترة الخضوع للاستعمار، حيث ظهرت كتنظيمات نضالية، قاومت الاستعمار الأجنبي ووقفت في وجه الحكم الدخيل من أجل استرجاع السيادة الوطنية وتحقيق الاستقلال، وتبنت كذلك أسلوب النضال السياسي من أجل الحقوق الفردية والحريات الأساسية للشعب الجزائري.

ظهرت أحزاب الحركة الوطنية في العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات واتسمت أيديولوجيتها بأنها ليبرالية، واشتراكية يسارية وإسلامية، أي اعتمدت في تراثها الفكري والسياسي على عدة مصادر تمثلت في مصادر غربية ليبرالية عبر التراث الفلسفي والسياسي الذي كانت تنشره المدرسة الفرنسية في أوساط البورجوازية الوطنية. ومصادر اشتراكية تمثلت في الفلسفات والتطبيقات الاشتراكية التي انتشرت في الأوساط العمالية والنقابية بعد نجاح الثورة الاشتراكية في روسيا. وكذا مصادر إسلامية تمثلت في التراث العربي الإسلامي والتي كانت تنشره جمعية العلماء المسلمين.

تمخض التعدد والتنوع في التنظيمات عن تعدد وتنوع في القيم السياسية، فمنذ نشأتها حتى اندلاع الثورة التحريرية في نوفمبر 1954، قدمت مشروعاً سياسياً، يتمثل في المطالبة بالاستقلال وإعادة إقامة الدولة الجزائرية، هذا على الرغم من الاختلاف في الوسيلة والمنهج لتحقيق الأهداف، كما قدمت وطرحت أفكاراً سياسية وتصورات دستورية لشكل السلطة والدولة، وطالبت بالحقوق والحريات الأساسية للجزائريين في ظل الإدارة الاستعمارية، كما مارست الأحزاب السياسية وظيفة التربية السياسية والوطنية وقامت بتنشئة وتكوين رجال ونخبة قاموا بتأطير الثورة الجزائرية.

فمن خلال استقرائنا لمجمل النصوص الإيديولوجية والسياسية لأحزاب الحركة الوطنية نلمس مستوى الوعي السياسي للنخبة السياسية من خلال تحليلها للواقع السياسي وأساليبها في العمل السياسي، والمفاهيم والمبادئ التي تبنتها والمتمثلة في:

<sup>159</sup>- سعد الله. الحركة الوطنية 1900-1930، مرجع سابق، ص.146

- مبدأ سيادة الأمة باعتبارها مصدر كل سلطة في الدولة.  
- الديمقراطية بمضمونها التقليدي أي حكم الشعب بالشعب وللشعب واعتماد المجالس الشعبية المنتخبة على كافة المستويات لتسيير الشؤون العامة والمحلية.  
- مبدأ الفصل بين السلطات مع ميل إلى إعطاء أولوية أو أهمية للبرلمان باعتباره معبراً عن إرادة الأمة وممارساً للسيادة الوطنية.  
- الأخذ بمفهوم الطابع الاجتماعي للجمهورية.  
كثيراً ما تضمنت البرامج السياسية الإقرار بالحقوق الفردية التقليدية وخاصة المعترف بها في النظام القانوني الفرنسي ومنها الواردة في إعلان حقوق الإنسان لسنة 1789 وكذلك الحريات العامة كحرية الصحافة والرأي والإضراب وإنشاء الجمعيات الإضرابات... الخ، وبالإضافة لتركيزها على هدف الاستقلال، كانت تقبل بالمنافسة الحزبية والتعايش والتحالف والتكتل.  
هذا التقارب تجلى في عدة انتلافات رغم الاختلاف الأيديولوجي (المؤتمر الإسلامي 1936، بيان فيفري 1943، حركة أصدقاء البيان والحرية 1944، الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها 1951). لكن مظاهر التقارب والتعايش لا تنفي وجود علاقات تنازعية بين التشكيلات السياسية، ومشكلة الصراع على مستوى القيادات (الزعامة) بين الأحزاب وداخل الحزب الواحد.  
ويمكن تقييم تجربة التعددية الحزبية في الحركة الوطنية على أنها تجربة إيجابية ومهمة وفردية في التاريخ السياسي العربي والإسلامي، تجلى تأثيرها التاريخي في التعددية السياسية التي تعيشها الجزائر بعد دستور 1989.

## 9- حركة الأمير خالد السياسية: 1919-1925

عرفت الجزائر تحولا جذريا في مقاومتها ضد الاحتلال الفرنسي مع مطلع القرن العشرين، و انتهجت فعل المقاومة السلمية بدلا من حركة المقاومة الشعبية التي لم تحقق الأهداف المرجوة منها، لاختلال التوازن بين المعتدي والمعتدى عليه. و تعد المرحلة ظاهرة صحية في بداية اليقظة الجزائرية، إذا ارتسمت في الأفق تيارات سياسية إصلاحية تدعو إلى المساواة في الحقوق بين الجزائريين و الفرنسيين، و لو أنها لم تكن مهيكلة أو منظمة تحت أي شكل من الأشكال الحزبية أو المنظمات القانونية، إلا أنها تعد إر هاصات أوجدت الأرضية الخصبة لميلاد الحياة السياسية و الأحزاب الوطنية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى عند رجوع الشباب الجزائري الذي جند في الحرب، و الذي سوف يحمل عبء أول حركة سياسية منظمة، و يعتبر الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر من رواد هذا العمل السياسي، و الذي يعد بحق حلقة هامة في بداية تاريخ الجزائر السياسي المعاصر.

### مولده و نشأته

ولد الأمير خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر بمدينة دمشق بسوريا يوم 20 فيفري 1875 مستقر إقامة أسرته بعد مغادرتها الجزائر سنة 1848، و استقرارها بدمشق سنة 1854. و نشأ خالد في دمشق قلعة العروبة و الإسلام، و بها تلقى معلوماته الأولية و تربي تربية صحيحة وسط كنف العائلة. و قد رباه والده تربية دينية قوية بعد أن حفظ القرآن و تعلم العلوم العربية و الدينية و برع فيها<sup>160</sup>.

و انتقل الأمير خالد رفقة والده إلى الجزائر، و بها تابع دراسته الإعدادية، و منها التحق بباريس لمزاولة دروسه بثانوية لويس الكبير LOUIS LEGRAND سنة 1885. و كان الأمير الهاشمي يأمل أن يدخل أبنه

<sup>160</sup> - الجليلي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام ، الجزء الرابع ، ط 4 ، ( دار الثقافة بيروت ، 1980 )، ص134.

إلى الكلية العسكرية سان سير Saint Cyr بباريس بعد نجاح ابنه في الحصول على شهادة البكالوريا فرع علوم، و كان يرى أن الحياة العسكرية

تعد من المراتب العليا وهي مصير مستقبل ابنه خالد حسب ما تضمنته مراسلة والده إلى السلطة الفرنسية التي أشار إليها م.ج.فاسي إلى السيد جول كامبون الحاكم العام في الجزائر وقتئذ حول مهمته كوكيل للتسيير و الإشراف على أملاك الأمير الهاشمي ابن الأمير عبد القادر<sup>161</sup>.

والظاهر أن رغبة الأمير خالد لم تكن بادية لمزاولة دراسته في الكلية العسكرية الفرنسية، وكان رافضاً لفرنسا منذ شبابه، و تذكر المصادر التاريخية أنه رد على والده الذي أرغمه على الالتحاق بسان سير بقوله: "إنني عربي وأريد أن أبقى عربياً وأن لا أتخلى أبداً عما أومن به وأعتقد من الآراء، ولذلك فأنا أرفض، وسوف أرفض دائماً ما يطلبه مني أبي" <sup>162</sup>.

و قد تنازل خالد على موقفه أمام رغبة والده في الدخول إلى الكلية العسكرية الفرنسية، وخصوصاً بعد المضايقات التي تلقاها والده من قبل السلطة الفرنسية حول تصرفات خالد التي توحى بالعصيان المدني. وقد وجد خالد نفسه أمام رغبة والده وقبول نصائحه. و هكذا تابع خالد دراسته على مضض من غير ان تكون له رغبة في ذلك، والتحق بسان سير سنة 1892<sup>163</sup>.

وتذكر الكثير من الدراسات التاريخية حول مرحلة تواجد الأمير في سان سير أن هذا الأخير ظل محافظاً على أصالته و إسلامه و وطنيته، وأعطيت له غرفة لأداء فريضة الصلاة كما خصص له طعام خاص مراعاة لقواعد الإسلام، و كان الأمير يشعر دائماً بالخجل من الظهور أمام الجزائريين بالبذلة التي كان يرتديها السانسيرون، و يذكر فاسي في تقريره أن الأمير خالد كان دوماً خلال إجازته يرتدي البذلة العربية التي كان فخوراً بها، ولا ينزعه إلا عندما تدعو الضرورة للقيام ببعض الزيارات الرسمية<sup>164</sup>.

مما يلاحظ أن الأمير خالد وجد صعوبة في التأقلم وسط محيط و عوائد كلية سان سير الفرنسية، و قد أشارت التقارير الفرنسية يومئذ إلى أن الأمير خالد كان سيء الطوية و النوايا إزاء فرنسا، الأمر الذي دفع به إلى التخلي عن الدراسة بالكلية سنة 1895<sup>165</sup>

<sup>161</sup> - خرفي صالح ، عمر بن قذور الجزائري ( المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 ) ط 1، ص 238 .

<sup>162</sup> - دبوز محمد علي ، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة ، الجزء الثاني ، ط1 (المطبعة العربية الجزائر 1969). ص 198

<sup>163</sup> - نفسه ، ص 287.

<sup>164</sup> - زوزو عبد الحميد الهجرة و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939 ( المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985 ) ط 1 ص 213

<sup>165</sup> - سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930 ، الجزء الثاني ، ط4 (دار العرب الإسلامي بيروت 1992) . ص 235

وقد أشار خالد إلى مقاطعته للدراسة، خلال إجازته الثانية في الجزائر، و كتب يقول: "نعم ها أنا مرة أخرى في الجزائر، و كنت قد بدأت أشعر بالضجر من مدرستهم التي لن أعود إليها، لأنني قررت أن أقدم إليهم استقالتي" <sup>166</sup>.

وحسب ما ذكره فاسي فإن الشروط التي تقدم بها الأمير الهاشمي له حول إمكانية عودة ابنه للدراسة كانت من إملاء خالد، و تتمثل في اختياره للفيلق العسكري الذي ينتمي إليه، حتى لا يجبره أحد على محاربة العرب في الجزائر، و قد اغتاض فاسي من ذلك .

و أعتبر شروط خالد مبالغ فيها، خصوصا إذا علمنا و أن مهمة فاسي هي الترويض و التجسس على عائلة الأمير الهاشمي في الجزائر و حتى خارجها.

و مع تزايد تعنت الأمير خالد و مواقفه الصعبة تجاه فرنسا من جهة، و نشاطاته المكثفة مع الشباب الجزائري من جهة أخرى، عززت الإدارة الفرنسية المراقبة عليه. خصوصا و أنه كان يسافر إلى داخل الوطن، و قد أشار فاسي عدة مرات إلى تنقلات الأمير خالد و بالخصوص سفره إلى مدينة قسنطينة. و كل ذلك دفع بالإدارة الفرنسية إلى اتخاذ إجراءات وقائية ضده خوفا من فراره إلى الخارج، و عمدت إلى ترحيل العائلة إلى منطقة بوسعادة و وضعها تحت الإقامة الجبرية حتى يكون بعيدا عن منطقة الشمال التي تتوفر على مؤهلات العمل السياسي <sup>167</sup>.

و برغم أن عائلة الهاشمي لقيت من يرحب بها في منطقة بوسعادة، فإن ذلك قد أنقص من عزيمة خالد، و لذلك فقد التحق مجددا بالكلية العسكرية. و بعدما أنهى دراسته بها انخرط في سلك الحياة العسكرية في الجيش الفرنسي سنة 1896. و ارتقى إلى رتبة ضابط بتاريخ 11 سبتمبر 1897، و أدى واجباته العسكرية في إقليم الشاوية بالمغرب الأقصى سنة 1907. و فيها ارتقى إلى رتبة قبطان سنة 1908.

و هناك جملة من العوامل التي أثرت إيجابا في تكوين الأمير، و تحصيله سياسيا و وطنيا يمكن جمعها في النقاط التالية :

1- انتسابه إلى عائلة الأمير عبد القادر ذات المرجعية الدينية التي أهلتها لخوض حركة الجهاد و المقاومة ضد الغزاة الفرنسيين المحتلين مدة طويلة من الزمن.

<sup>166</sup>- سعد الله أبو القاسم ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني ، ط I ، ( المؤسسة الوطنية للكتاب 1986 ) . ص 112

<sup>167</sup>- سعد الله أبو القاسم ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، ج 4 ، ط I ، ( دار الغرب الإسلامي بيروت 1996 ) . ص 345

<sup>167</sup>- نفسه ، ص 154

2- اعتماده على المرجعية التاريخية لعائلته التي تركت الأرزاق و العقارات وهاجرت إلى بلاد الشام، وظل الأمير خالد من المطالبين بإعادتها لأملاك العائلة .

3- تربيته في بلاد الشام وسط محيط المهاجرين الجزائريين الذين ظلوا على ولائهم للوطن الأم الجزائر، و وسط هذا الجو العربي اكتسب خالد طفولته الأولى المفعمة بحب الوطن.

4- معاينة الأمير لمرحلة من شبابه للوضع في الجزائر، و هي خاضعة للإجراءات الفرنسية التعسفية التي طبقت على الأهالي و خصوصا قانون الإنديجينا البغيض قد اثر ذلك نفسيته.

5- تكوين الأمير في المدرسة الفرنسية أكسبته حقائق كانت غائبة لديه، كما زودته بعامل اللغة الفرنسية، و قد مكنت الأمير من الخوض في قضايا سياسية و فكرية و مخاطبة فرنسا بلغتها أكسبته المزيد من التعرف بقضايا عصره .

6- خدمته في الجيش الفرنسي، و مشاركته في الحرب العالمية الأولى أكسبته الخبرة العسكرية، و حتى السياسية، بعد أن عايش وقائع الحرب في جبهات القتال، و وقف بنفسه على عنصرية فرنسا تجاه المجندين الجزائريين و كيف كانت تتعامل معهم .

7- تأثر الأمير بحركة عمه الأمير عبد الملك ضد الفرنسيين في المغرب الأقصى ما بين 1915 و 1925، و قد استوحى الأمير خالد نشاطه السياسي من حركة عمه، و كان يرغب في تمثيل ذلك في أرض الجزائر، بغية الحصول على الحقوق السياسية و المدنية للجزائريين<sup>168</sup> .

## 2-أوضاع الجزائر و العالم عشية نشاط الأمير خالد:

لقد عرفت الجزائر قبيل الحرب العالمية الأولى نشاط حركة النخبة الجزائرية التي بدأت سعيها في إطار الأبوة الفرنسية، برغم جدية أمالها بعد صدور قانون التجديد الإجباري في 3 فبراير 1912 و الذي أصبح حديث الساعة بين كافة الجزائريين مع اختلاف مشاربها الثقافية و السياسية بما فيهم الطبقة الشعبية البسيطة.

ومن تم وجد أعضاء لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين التي تأسست في العاصمة سنة 1908 نفسها و كأنها موكلة للدفاع عن الجزائريين أمام عنصرية قانون التجديد، و تعسف بنوده الخاصة بالجزائريين مقارنة بما يطبق على الفرنسيين<sup>169</sup> .

<sup>168</sup> - سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء 8 ، ط ( دار الغرب الإسلامي 1998 ) ، ص 145.

<sup>169</sup> - سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 6 ، ط ( دار الغرب الإسلامي 1998 ) ، ص 96.

وتعد هذه الجماعة هي السبابة لأخذ زمام المبادرة و الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين، وذلك في غياب التمثيل الشرعي و الوطني وقتئذ. باستثناء بعض المبادرات اليتيمة التي تجلت في الأفق عن طريق العرائض من طرف أعيان قسنطينة بزعامة عائلة ابن باديس ، وأهالي ندرومة بزعامة محمد بن رحال و نحوهما مع نهاية القرن التاسع عشر.<sup>170</sup>

وإذا كانت مبادرة هذه الجماعة قد أعدها بعض المؤرخين بمثابة المبادرة الفعالة في نمو اليقظة الجزائرية مثل ما أشار إلى ذلك المؤرخ الفرنسي اندري نوشي في كتابة ميلاد الوطنية الجزائرية<sup>171</sup>.

في حين أن هناك من يرى العكس من ذلك، و أن الفكر السياسي الذي تولد عن هذه المبادرة لم يرق إلى تبني المشروع الوطني الحقيقي للجزائريين. و قد أشار إلى ذلك الزعيم التونسي علي باش حمبة الذي تقابل مع الوفد الجزائري الذي سافر إلى باريس في صائفة 1912، و بعد أن طلب منه ضرورة العمل المشترك بينهما، أصيب بخيبة أمل لأن النخبة الجزائرية متشعبة بالأفكار اللائكية الراضة للطرح الإسلامي بحسب قوله<sup>172</sup>.

و رغم ذلك فإنه لا يمكننا تقزيم مطالب الوفاة الجزائرية لأنها مهمة زمنياً في وقت، لم تتكون فيه بعد الأحزاب السياسية، و التنظيمات الوطنية الفاعلة، و من جملة المطالب التي تقدم بها الوفد الجزائري وقتئذ نذكر ما يلي :

- 1- إن قانون التجنيد الإجباري جاء معادياً للديمقراطية، و هو ينطبق على الفقراء دون سواهم.
- 2- المدة الزمنية للخدمة العسكرية غير عادلة بين أبناء الأهالي و المعمرين.
- 3- تعويض الأهالي عن التجنيد بمبلغ 250 ألف يعد إهانة لهم و هم بمثابة مرتزقة.
- 4- ضرورة بناء قانون التجنيد وفق مبادئ الثورة الفرنسية(الإخاء-المساواة – الحرية).
- 5- إلغاء قانون الأهالي التعسفي .
- 6- التخلي عن العمل بالأحكام الزجرية القاهرة .
- 7- التوزيع العادل للضرائب بين الجزائريين و المعمرين.
- 8- توسيع دائرة التمثيل النيابي للجزائريين في المجالس المختلفة<sup>173</sup>.

<sup>170</sup>-مرتاض عبد الملك، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير و التأثر ط1 ، (دار الحدائة ديوان المطبوعات الجامعية 1982).ص،170

<sup>171</sup>- العقون عبد الرحمان ، الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر الجزء 1 ، ط1 ، (المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 ) . ص،90

<sup>172</sup> - الفاسي علال ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي (القاهرة 1949) . ص ،200

<sup>173</sup> - قداش محفوظ ، الأمير خالد وثائق و شهادات لدراسة الحركة الوطنية الجزائرية، طI( ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1987) . ص ،123

والظاهر أن الوضع العام في الجزائر خلال العشرية الأولى من القرن العشرين كان ينذر بالعديد من المخاطر. إذ تذكر المصادر التاريخية أن معارضة الشباب الجزائري (الجزائر الفتاة) لسياسة فرنسا وبخصوص قانون التجنيد كانت قوية في معظم أنحاء الوطن، إذ قابل المواطنون حاكم منطقة سيدي يعقوب بضواحي المدينة بالرجم بالحجارة، و نفس المصير تعرض له أيضا حاكم منطقة المعاضيد بضواحي برج بوعريريج، أما منطقة الأوراس فقد انتفض شبابها و تمرد ضد الإدارة الاستعمارية، ولم يستجيبوا لقرار التجنيد. وحضر منهم قرابة 25 شاب من مجموع 141 من المدعويين، و بنفس الغضب عبر شباب الغرب الجزائري، و انتفض أهالي ندرومة (مدينة الشيخ بن رحال) و امتثل للتجنيد شاب واحد من مجموع 160 من المدعويين، كما هاجر شباب تلمسان إلى المغرب الأقصى حتى لا يجندون لخدمة العلم الفرنسي. أما مدينة قسنطينة فلم يتأخر شبابها هي الأخرى عن سياسة الرفض و الاستماتة في وجه سياسة الإدارة الاستعمارية، و قد صرح أحد أعيانها سنة 1914 لرئيس المكتب العربي للشؤون الأهلية يقول: "بإمكانكم الزيادة في الضرائب و نحن قابلون، لكننا لا نسلم لكم أبناءنا".<sup>174</sup>

أما عن أوضاع العالم الخارجي، فقد كانت هي بدورها تعج بالحركات التحررية المنادية بالاستقلال، خصوصاً بعد ظهور حركة الجامعة الإسلامية وبروز أفكارها بين شعوب المستعمرات. ودعوتها إلى تجديد الدين الإسلامي ومحاربة البدع، وتنمية الشعور الوطني ورفض الاستعمار. وقد تأثر الجزائريون بالعديد من رجال الجامعة الإسلامية

أمثال جمال الدين الأفغاني (1838-1897) ومحمد عبده (1849-1905) ورشيد رضا (1865-193) ونحوهم من زعماء الإصلاح الإسلامي .

كما كانت لإسهامات السلطان العثماني عبد الحميد الثاني في شؤون الدولة العثمانية وقعه الفعال على الذهنية الإسلامية، وكذا المطالبة بالوحدة وجمع شمل المسلمين، وفي ذلك الصدد يذكر أبو القاسم سعد الله أن الجامعة الإسلامية شجعت الهجرة الجزائرية باتجاه بلدان المشرق العربي، وانضم الجزائريون إلى لجان هذه الجامعة التي أنشئت لتمثل المسلمين الذين كانوا تحت الحكم الأوروبي.<sup>175</sup>

ومن بين الأحداث الهامة أيضا التي هزت مشاعر الجزائريين الاعتداء الإيطالي على ليبيا سنة 1911، وقد ساند الشعب الجزائري إخوانهم في ليبيا مادياً و معنوياً، وذلك بجمع التبرعات و الكتابات الصحفية، و كانت دعوة عمر بن قنور الجزائري الصريحة إلى الوقوف إلى جانب الأخوة الليبيين، وقد نشرها في جريدة الحضارة التي جاء فيها: "وتنصب الدسائس على بلاد العرب وتروج فيها الأكاذيب الأجنبية وتقوم الفتن في كل ناحية وتنتهك حرمة بيضة الإسلام ويزري بها أهلها ويتبرأ منها ذووها، هناك يود كل موحد لو أن رأسه حز

<sup>174</sup> - مناصرة يوسف، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية، ط1، (المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988). ص 144،

<sup>175</sup> - ناصر محمد، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1939، ط1، ( الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1980 ). ص 78،

عنه نخيل راحة طرابلس الغرب برقة دون أن يعاين هذا المصاب الجهل ولعذاب الآخرة أكبر. فليتنق الله أرباب الأمر في طرابلس الغرب ويرقة إن كانوا يعقلون...<sup>176</sup>.

كما شهدت الفترة ميلاد حركة ثقافية و فكرية تمثلت في ضرورة الإحياء التاريخي، والبحث عن ماضي الأجداد ونفض الغبار عن الماضي، ونبذ ذاكرة النسيان.

وظهرت الكثير من الكتابات التاريخية ككتابات ابن عمار سنة 1902، وابن مريم سنة 1907، ورحلة الورتلاني 1908، و موسوعة تعريف الخلف برجال السلف للشيخ الحفناوي 1907، و كل ذلك يعد بمثابة تأسيس المدرسة التاريخية الجزائرية<sup>177</sup>.

ومن المعالم المساهمة في اليقظة الجزائرية وقتئذ بروز حركة صحفية وطنية نشيطة عالجت القضايا الجزائرية، و لعل الدارس لمرحلة ما بين 1900 و 1925 يجد ميلاد العشرات من العناوين الصادقة و المعبرة عن الانتماء الوطني و الديني المتأصل في تاريخ الجزائر و من هذه العناوين نذكر: جريدة المغرب 1903 و المصباح 1904، و الهلال 1906، و كوكب إفريقيا 1907، و الجزائر 1908، و الحق الوهراني 1911، و الإسلام 1912، و الفاروق 1913، و ذو الفقار 1913، و الصديق 1920، و النجاح 1919، و الإقدام 1920 و الفصيح 1921، و لسان الدين 1923، و التقدم 1923، و المنتقد 1925، و الشهاب 1925، و صدى الصحراء 1925.<sup>178</sup>

### 3 - نشاط الأمير خالد في الجزائر :

يبدو أن الإدارة الفرنسية كانت تراهن دوماً على توظيف أبناء العائلات الأهلية التي رسمت لنفسها مرجعية في التاريخ، و من تلك العائلات عائلة الأمير عبد القادر، ولذلك فلا غرابة أن نجد نشاطات الأمير خالد في مرحلتها الأولى تنصب في هذه الرؤية في بعض الأحيان، إذا أدى واجباته العسكرية في المغرب الأقصى سنة 1907، وارتقى إلى رتبة قبطان سنة 1908، بعدها اتضح للسلطات الفرنسية أنه من أنصار السلطان مولاي عبد العزيز ضد مولاي حفيظ المطالب بالعرش.

<sup>176</sup> - بن عدة عبد الحميد ، جوانب من كفاح الأمير خالد الديني و الاجتماعي والثقافي في الجزائر ما بين 1919-1924 ، مجلة المبرز، عدد7 جوان 1996 .ص،98.

<sup>177</sup> - سعد الله أبو القاسم ، وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد الملك الجزائري في المغرب المجلة التاريخية المغربية ، عدد1، جانفي 1971 . ص،75.

<sup>178</sup> - قداش محفوظ ، صور من حياة الأمير خالد في شبابه ، مجلة الثقافة ، عدد13، مارس1973 . ص،56.

ومع أن خدمات الأمير كانت لصالح الإدارة الفرنسية، إلا أن هذه الأخيرة لم تضع كل ثقلها في الرجل، وكانت حذرة من نشاطاته، و لعل ذلك ما كشف عنه المارشال ليوتي سنة 1912 أنه توجد في شخص الأمير ملامح الشعب والاضطراب<sup>179</sup>.

وخلال سنوات 1913 إلى 1919 برزت شخصية الأمير خالد كحلقة هامة في العمل الوطني في الجزائر، و إذا كانت مشاركته في الحرب العالمية الأولى تطوعاً منه، فإن مرد ذلك لم يكن بعيداً عن سياسة التجنيد الإلجباري الذي سلط على الشباب الجزائري من جهة، و إلى سياسة فرنسا في تكوينها العسكري للأمير من جهة أخرى، و مع ذلك فإن نشاطات الأمير لم تكن بعيدة عن معاناة الجزائريين، و لا عن اهتمامات النخبة الجزائرية وحركة الجزائر الفتاة. ولذلك كانت سيرته محل شك من قبل الإدارة الفرنسية.

وأعفى من الخدمة العسكرية في نهاية 1915 وتحصل على التقاعد سنة 1919 ليتفرغ للحياة السياسية .

### 1- مشاركة الأمير في الانتخابات :

لقد عرف عن الأمير خالد جرأته في طرح القضايا السياسية و المطالبة بالمحقوق، و كان يعلم أن الأغلبية الساحقة من الشعب الجزائري يرفض التجنس و الاندماج عكس ما تطالب به النخبة

الجزائرية المغربية، لذلك دعا الأمير إلى الاستفادة من الجنسية الفرنسية شريطة الإبقاء على الأحوال الشخصية الإسلامية، وبذلك كان يعرف كل الاتجاهات السياسية قبل الحرب و بعدها.

و من المؤكد أن حصول الأمير على التقاعد قد ساعده على الخوض في قضايا السياسة و التفرغ لها، و كشف عن توجهاته الوطنية النابعة من الذات الإسلامية و عارض توجهات النخبة المغربية بزعامة الدكتور ابن التهامي، و من ثم لاح في الأفق تياران تيار الأمير الإصلاحية المنتسب إلى جماعة النخبة المحافظة، و تيار ابن التهامي المنتسب إلى التوجه الليبرالي المفرنس الذي رضع من لبن فرنسا و تغذى من فتات موائدها.

و لذلك فلا غرابة أن نجد هذه الاتجاهات تنعكس على الحملة الانتخابية التي قادها كل طرف، و دخل الأمير معترك الانتخابات المحلية في ديسمبر 1919 و تمكن من الفوز على خصومه السياسيين من دعاة التجنس و الاندماج و التغريب، و كان الأمير خلال حملته الانتخابية يطلب من الجزائريين التصويت على قائمة المترشحين المسلمين غير المتجنسين، و كان يفصح عن أعداءه من أصحاب القبعات قائلاً لهم: "إذا كنتم تريدون جنة الإسلام فعليكم بانتخابات نحن المسلمين لأننا مؤمنون" .

<sup>179</sup> - قداش محفوظ، الأمير خالد و نشاطه السياسي بين 1919-1925، مجلة تاريخ و حضارة المغرب، عدد4، جانفي 1968 ، ص،40

و الحق أن هذه الانتخابات المحلية تعد بداية تحول في تاريخ النخبة الجزائرية التي انشطرت إلى نخبة وطنية بزعامة الأمير خالد والحاج موسى، و نخبة اندماجية بزعامة ابن التهامي و ولد عيسى، و قد حصلت النخبة الوطنية على 940 صوتاً في حين لم تحصل النخبة الاندماجية إلا على 340 صوتاً .  
ويعد انتصار خالد في الانتخابات ضربة قاتلة لمشروع ابن التهامي الاندماجي من جهة ومن جهة أخرى دعماً لأنصار الشخصية الإسلامية الجزائرية ، و لذلك أعتبر العديد من المؤرخين أن فوز خالد في الجزائر العاصمة هو فوزه على الجزائر كلها بحسب تعبير أجبيرون خلال دراسة له حول أول انتخاب للأهالي المسلمين بالجزائر .

والجدول التالي يوضح ذلك بعدد الأصوات الفائزة لكل قائمة :

الاتجاه الإصلاحي	عدد الأصوات	نوعية المجالس المنتخبة	عدد الأصوات	الاتجاه الاندماجي
جماعة الأمير خالد	925	المجلس البلدي	332	جماعة بن التهامي
	2505	المجلس العمالي	256	
	7000	المجلس المالي	2500	

كما اعتبر الدكتور سعد الله أن هذه الانتخابات كانت فرصة ثمينة بالنسبة للجزائريين الذين جعلوا من الصندوق وسيلة هامة للتعبير عما يجيش في صدورهم رغم أن إصلاحات فبراير 1919 قد قيدت القسم الانتخابي للجزائريين ، ونفس الطرح تقريبا ذهب إليه المدعو و ورثام الذي سلط أضوائه حول هذه الانتخابات، وكشف عن قدرة الجزائريين في الاحتكام للصندوق بقوله: "إن الجزائريين قد برهنوا على أنهم مناورون شجعان في صناديق الانتخابات و أنهم متخصصون في فن الديماغوجية".<sup>180</sup>

ومما لاشك فيه أن قدرة الجزائريين على المناورة و اختيار أهم القوائم في هذه الانتخابات جاءت نتيجة لإسهامات الأمير خالد خلال حملته الانتخابية، التي استوحاها من المرجعية التاريخية وخصوصيات الشعب الجزائري، إذ كثيراً ما كان يذكرهم وقتها بكفاح جده الأمير عبد القادر ضد الغزاة، و كان يقول لهم لا تنسوا أن آباءكم قد هبوا للنضال لأول إشارة من جدكم الكريم للتصدي للاستعمار ومحاربه.

وإذا كانت صراحة الأمير خالد قد جلبت له الكثير من المتاعب من قبل دعاة الاندماج و الإدارة الفرنسية ، فإن النفس الطويل الذي كان يتمتع به خالد أهله من جديد لربح انتخابات 9جانفي 1921، و كان برنامجها السياسي و الاجتماعي مماثلاً لانتخابات 1919 الذي فاز بها في بداية عمله السياسي.

Age<sup>180</sup>-ron, Charles Robert, Politiques Colonial au Magreb (P.V .F Paris 1972)  
)PP.92 .104

## 2- برنامج الإصلاح :

يبدو أن العمل السياسي الذي خاضه الأمير خالد بعد نهاية الحرب العالمية الأولى لم يكن وليد الصدفة بل يعد تسلسل منطقي لرسالة الجهاد التي بادر بها الأمير عبد القادر منذ بداية الاحتلال، وقد أشار الأمير خالد إلى ذلك في العديد من المناسبات. وقد أبرز ذلك في جريدة الأقدام بقوله : " إن أجدادنا قد أضرموها حربا حامية الوطيس مدى 15 سنة و أزيد، و لم يكن النصر حليفهم، و لكن تقدير بطولتهم و شجاعتهم و شهامتهم حق ثابت لا ينبغي أن ينكره المنتصرون علينا كما لا ينبغي لي أنا حفيد الأمير عبد القادر أن أسكت عنه مثلما فعل كثير من المنتخبين" <sup>181</sup>.

كما أن بروز شخصية الأمير السياسية لم تكن بالظاهرة الغريبة على الساحة السياسية الوطنية وقتها، بل سبقته إلى الحقل السياسي كتل النخبة سواء الاندماجية منها بقيادة الدكتور تامزالي أو المحافظة بزعامة كل من الشيخين المولود بن الموهوب و عبد الحليم بن سماية و لو أن هذه النخب قد اختفت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى. و الظاهر أن ذلك الفراغ يعد من بين العوامل المحفزة التي ساعدت الأمير على الدخول إلى معترك السياسة. و يصبح المتحدث الرسمي باسم الحركة الوطنية الجزائرية، و زعيما لها ليس في الجزائر فقط بل في العالم الإسلامي أيضا <sup>182</sup>.

وبذلك أصبح الأمير في نظر فرنسا من المدافعين على التعصب الديني و من الذين يشكلون خطرا كبيرا على مصلحة فرنسا في الجزائر، بل و في العالم الخارجي أيضا.

كان الأمير خالد دوما يقف إلى جانب الجزائريين، و قد تألم لحالتهم التعسة تحت نير سياسة الاستعمار، و قد أشار إلى ذلك في الكثير من المناسبات، و كشف عن سياسة الاستغلال التي يعانيتها الشعب الجزائري، الذي كان بمثابة العبيد لخدمة الكولون ، كما أوضح الأمير أن الإدارة الاستعمارية لا يهتمها سوى سن القوانين الزجرية، و أن هناك تفاوتات طبقيا ملحوظا و قد أشار الأمير خالد إلى ذكر في جريدة الأقدام تحت عنوان "القانون الأهلي والتموين" بقوله : "لقد جددت الحكومة قانون القوات الزاجرة و النفي في برهة إحدى و عشرين ساعة بدون مباحثة ولا معارضة و لا استفهام.

---

<sup>181</sup>-Ageron, Charles Robert, Les Algériens Musulmans et la France 1871-1919 .(p/u/F paris 1972) p .65.

<sup>182</sup>-Carlier Omar et autres, Le Lettres Intellectuels et Militants en Algérie 1880-1950 .(Office Des Publications Universitaires Alger 1980 ) . p .89.

إن سعر كيلو من الخبز يساوي فرنك ونصف، وكيло من السميد فرنك وثمانين سنتيما. فالأجير الأهلي يربح من الثلاثة إلى الأربعة فرنك في جناء العنب، بعد أن يخدم اثني عشر ساعة في اليوم، وجملة من الخدامين لا يطلبون إلا الخبز الضروري لأولادهم).

ويواصل الأمير خالد في تبيان الحسرة والألم الذي أهاله نتيجة الضيم الاستعماري، والتسلط والقهر في غياب العدل والمساواة إلى أن يقول (فمن تجول نوعا ما في الدواخل يرى ما يفتح الكبد من زمرة التعساء، وصفر الوجوه نحلاء الأجسام، ومع هذا لا يعطوهم إلا القوانين الزاجرة)<sup>183</sup>.

وحتى يتسنى للأمير إنجاز مهامه، و الرد على خصومه السياسيين أسس جريدة الإقدام سنة 1919، واستطاع من خلالها التعبير عن وجهات نظره، وبالخصوص بعدما انسحب من زمرة ابن التهامي وجماعته. وقد كتب محمد ناصر حول أهمية الجريدة في ذلك الوقت العصيب من عمر الحركة الوطنية بقوله: (وراحت الإقدام تعرب عن اتجاهها الوطني الواضحة رفضة التجنس رفضاً قاطعاً مطالبة بتمثيل الأهالي الجزائريين بالبرلمان الفرنسي ومقاومة نزعة الكولون العنصرية...

إلى أن يقول: (من هنا فإن الإقدام تعد أول جريدة عربية تصدر في الجزائر تمثل هذه الروح الوطنية الخالصة ..)<sup>184</sup>.

والحق أن الأمير قد اتضحت مطالبه السياسية ما بين 1919-1922، ونادى ببرنامج إصلاحية قائم على فكرة المساواة وتمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي وأخذ الجنسية الفرنسية دون التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية، وكان برنامجه مستوحى من مرجعية الشعب الجزائري ومقوماته وأصالته الدينية، ولذلك فلا غرابة أن نجد الأمير يربط في عمله بين جانبي الدين والوطن، بل اعتبر أن صمود الجزائريين في وجه الاحتلال واستماتتهم في المقاومة مردها إلى المقوم الديني الذي ضمن بقاء الشخصية الإسلامية عبر العصور التاريخية، وبالخصوص منذ الاحتلال الصليبي للجزائر في صائفة 1830. ومن تم برز الأمير خالد لا كزعيم سياسي فقط، ولكن كمدافع غيور على الإسلام<sup>185</sup>.

و الظاهر أن حماسة الأمير خالد السياسية وجرأته في طرح القضايا الوطنية مكنته من استمالة النخبة المعتدلة، وكذا رئاسته للوفادة التي قدمت في حدود 1919 جملة من المطالب الوطنية إلى الرئيس الأمريكي ويلسون خلال انعقاد مؤتمر الصلح بباريس عقب إنهاء الحرب العالمية الأولى

<sup>183</sup> -El Hadj Messeli , Les Mémoires De Messali El Hadj 1899-1939 Préface De Ben Bella ( France ) p .67.

<sup>184</sup> -Julien Charles André, Etudes Maghrébines, Publications de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines .De paris1964 p .43.

<sup>185</sup> -Khaled L'émir, La Situation Des Musulmans D'Algérie1924 (op u Alger 1987). p .71.

و حسب الرسالة التي تلقاها الأمير خالد و الممضاة من كاتب سر الرئيس عن طريق الملازم جورج ب نوبل، فإن مطالب الأمير قد أوصلت إلى صاحبها، إذ أشار إلى ذلك بقوله: "إنني أكتب إليكم لأعترف باستلامي العريضة المقدمة من قبل ممثلي عرب الجزائر الخمسة، و هذه العريضة التي أرسلت إلي من قبلكم بواسطة الملازم نوبل، إنني سأكون سعيداً أن ألقت إليها نظر الرئيس" <sup>186</sup>.

وكان الأمير جريئاً في طرحه لقضية تقرير مصير الشعب الجزائري بنفسه، وتمكن من إيصال صوت الجزائر إلى مؤتمر الصلح، و طالب بأحقية الجزائريين في تمثيل أنفسهم. ولذلك اعتبر الكثير من الباحثين أن مساهمة الأمير تعد عملاً ثورياً دفع بالقضية الجزائرية باتجاه المطلب الاستقلالي <sup>187</sup>.

كما أن مضمون المذكرة التي قدمها الأمير كانت جامعة و شاملة لقضايا جزائرية. إذ شرح الأمير من خلالها عدم شرعية الاحتلال وكشف عن الإجرام الفرنسي في حق الجزائريين العزل، برغم المقاومة الشعبية الشرفية، كما أوضح الأمير الوعود الفرنسية المزعومة وخرقها لمعاهدة 5 جويلية 1830، ومن تم وقف الأمير عند الأسباب الحقيقية للاحتلال و بين نتائج الوخيمة على وضعية الجزائريين. وأنه حان الأوان للاعتراف بالمطالب المشروعة للجزائريين والاحتكام للشرعية الدولية. وحق تقرير المصير تحت وصاية عصبة الأمم، وأنهى الأمير عريضته بالإشادة بالمشاعر الولسونية <sup>188</sup>.

وقد تعددت جوانب البرنامج الإصلاحي الذي دعا إليه الأمير، ولم يقف عند المطالب السياسية وفتح الأفاق أمام تمثيل الجزائريين بل دعا أيضاً إلى ضرورة الإصلاح الديني و الدفاع عن المؤسسات الإسلامية، ومن تم فقد عارض الأمير البدعة و الضلالة و حارب الشعوذة التي ألصقت بالعديد من الزوايا، و غيرها من مجراها الإصلاح والديني والتربوي، وجد الأمير في العديد من شيوخ القرآن وزوايا الضلالة بعد أن أصبح هؤلاء يستغلون طيبة الجزائريين باسم الدين، وذلك يتناف و تعاليم الإسلام الحقيقي، وكشف الأمير خديعة هؤلاء على صفحات جريدة الأقدام بعنوان: "في الزوايا خبايا"، وأوضح من خلالها الدسائس التي ترصد لاصطياد على الزوايا من طرف القائمين عليها بعد أن تجرد هؤلاء الشيوخ من الصفة السمحة للإسلام وابتعدوا عن الدور التربوي و الأخلاقي، وأصبحوا هم الجهلة. وكانت دعوة الأمير صريحة إلى كل الجزائريين إلى ضرورة اليقظة و إسناد أمور الدين لأصحابها، حتى تتحقق الخدمة العامة لكل الجزائريين <sup>189</sup>.

<sup>186</sup>-Nouschi Charles André, La Naissance Du Nationalisme Algérien Paris 1962). p. 35.

<sup>187</sup>-Bachetar Zi Mahiedine, Mémoires 1919-1939 Préface Bencheneb (S.NED. Alger 1968). pp. 67.96

<sup>188</sup>-Ageron Charles Robert, Le Premier Vote de L'Algérie Musulmane, les élections du Collège Musulman Algérien en 1919-1920 In Revue D'histoire et de Civilisation du Maghreb. N 8 Janvier 1970. p. 185.

<sup>188</sup>-J. Desparmet, Contribution à L'histoire in Afrique Française Juill et 1936. p. 89.

<sup>189</sup>- Merad Ali, La Formation de la Presse musulmane en Algérie 1919-1939 In Revue de L'Institut des Belles Lettres N 105 Tunis 1964 p. 174.

و كانت حركة الأمير دعوة جديدة للإصلاح الاجتماعي و التكفل بقضايا الشباب الجزائري، والدفع بهم إلى الأخذ بالعلوم وكسب المعارف، والتخلي عن الرذيلة والآفات الاجتماعية ، ومن تم دعا إلى محاربة مظاهر الانحلال الخلقي وترك التردد على الحانات و أوكار الفساد، والتشبه بالغربيين. لأن ذلك لا يعني التمدن الحقيقي، و قد أشار إلى ذلك بقوله: "أيها الأولاد و أيتها الشبيبة شمروا على ساعد الكد و الجد، و تراحموا على أبواب المكاتب و المدارس و الكليات لتجنوا من ثمرات العلوم ما يرفع به قدمكم بكم مسلماً حسناً، ويحي ذكركم و أعلموا أنكم خلقتم للعلم و العمل لا للجهل و الكسل، و لا تسارعوا لأبواب الحانات و محلات اللهو لأن ذلك يؤدي لما لا يرضي الله، و مغل للشرف و مذهب للعقل والحياء.

190

و مما سبق ذكره نجد أن الأمير قد دعا إلى العودة إلى العلم و العمل و الأخذ بالحركة الثقافية كمعبر ضروري لتحقيق التقدم، و إخراج المجتمع الجزائري من كابوس الاستعمار، و بذلك تتحقق الشخصية الوطنية التي جعل منها الأمير الأرضية الصلبة لتحقيق كل مطمح جزائري، بل اعتبرها تكملة و امتداداً للشخصية العربية و الإسلامية و أن تحقق الجزء يبقى خدمة الكل شريطة صلة هذا الجزء بالكل، و يقصد به وحدة العالم العربي و الإسلامي و قد بين ذلك بقوله: " سادت العرب بالإسلام الذي كان الوسيلة العظمى لجمع كلمتهم و تعاضدهم و تعاونهم على البر و التقوى ، فمع قلة عددهم جالوا في الآفاق و نشروا العلوم و المعارف و التمدن الديني و الدنيوي، و ما نجحوا إلا لقوة إيمانهم و صدقهم و إخلاص نيتهم، و حماستهم و عدلهم و عفتهم، و حبهم الخير لجميع المخلوقات، و إنقاذ الأمم من ظلمات الجهل بنور الإسلام. " <sup>191</sup>.

هكذا إذا راهن الأمير على عنصر الشباب و الثقافة لخدمة الحركة الوطنية الجزائرية، و طعم جهوده لإنجاح ذلك بتشجيع الفنون المختلفة كالمسرح و نحوه ليهز النفوس و يبعث فيها روح الأمل، و يعود إليه الفضل في ظهور الحركة المسرحية الجزائرية.

و قد أسس أول جمعية ثقافية مسرحية بمدينة المدية ، كما قام أيضا بإنشاء فرقة مسرحية بالعاصمة و أخرى بالبلدية<sup>192</sup>.

و كان الأمير خالد من المتحمسين لزيارة الوفد المسرحي المصري للجزائر سنة 1921 بقيادة جورج أبيض و قدمت الفرقة للجمهور الجزائري مسرحيتين باللغة العربية عنوانهما شهامة العرب، و صلاح الدين الأيوبي و قد ساهم الأمير في تهيئة المناخ الملائم لإنجاح هذه التظاهرة الثقافية، و كان يقوم شخصياً بالدعاية لها

<sup>190</sup>-La Défense 24 Janvier 1936 .p .67.

<sup>191</sup> - EL Moudjahid 20 Novembre 1967 . p .47.

<sup>192</sup> -Fouquet Emmanuel , Dictionnaire Encyclopédique ( Paris 1999 ) p .100.

طوال ثلاثة أيام قبل أن تقوم الفرقة السالفة الذكر بعرض ثالث عرض لها بالعاصمة تحت عنوان مجنون ليلي، وقد استطاع خالد أن يبيع سبعمائة تذكرة حضر أصحابها هذه الدراما الأخيرة<sup>193</sup>.

و الحق أن جهود الأمير خالد قد أثمرت في سنواتها الأولى ، وأصبحت بادية للعيان، بعد أن ناصره الكثير من رجال الفكر و الثقافة، و باركوا جهوده الإصلاحية التي أدخلت تعبيراً جذرياً في مطالب النخبة الجزائرية<sup>194</sup>.

وكانت دعوة الأمير للتضامن الوطني جعلته يفكر في تعميق حركته إلى كل الشرائح الاجتماعية، وأسس في 23 جانفي 1922 جمعية الأخوة الجزائرية مع نخبة من المثقفين الجزائريين من بينهم القائد حمود، و زهير بن سماية، و يوسف حميدة، و غيرهم ممن خدموا النخبة الوطنية مع بداية القرن. وقد أطلق سعد الله على هذه الجمعية بجمعية المؤاخاة الإسلامية<sup>195</sup>.

ومن أهداف الجمعية أنها وجدت لخدمة القضايا السياسية والاجتماعية و الثقافية وحسب ما ذكره بن العقون فإن المراد منها هو تعبئة الجزائريين، و تكثيف الجهود و توضيح التضحيات الجسام التي بذلها الشباب الجزائري إلى جانب فرنسا في الحرب العالمية الأولى، و كذا تحسيس الجزائريين بالقضايا السياسية، و المطالبة بإلغاء القوانين الفرنسية الجائرة مع إشراك الأهالي في التمثيل النيابي، و تطبيق المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين بحسب ما نصت عليه القوانين الفرنسية<sup>196</sup>.

ومن تم فقط عزز الأمير جهود جمعية الأخوة بطموحات الجزائريين فبعد مضي شهرين فقط على ميلادها، بادر الأمير و صحبه بعقد تجمع هام في باب الواد بحضور الكثير من الأنصار و الفضول، ومن بين الشخصيات التي دعمت جمعية الأمير نذكر على سبيل المثال لا الحسر المحامي أحمد العيمش و الطبيب بن العربي و كانت لهما مواقف مشجعة لنشاط الأمير، و قد غطت جريدة الأقدام تجمع الأمير واعتبرته بمثابة

193 - مومن العمري: الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني، 1926-1954، دار الطليعة للنشر، الجزائر، 2003، ص 34 .

194 - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 80 .

195 - محمد قناش، محفوظ قداش: نجم شمال إفريقيا (1926-1937)، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.س)، ص 40 .

- \*جحي مصالي المدعو الحاج، ولد في 16 ماي 1898 بدار قادري بالدرب الفوقي نهج باب الحياض الآن بتلمسان، كان أبوه فلاحاً يعمل في قطعة أرض صغيرة لا تفي بحاجتهم وبعد الحرب العالمية الأولى أصبح مقدماً على ضريح سيدي عبد القادر الجيلاني ومات في سنة 1938 وولده في السجن، دخل الكتاب العربي بجامع سيدي الوزان وحفظ عدة أحزاب من القرآن، كان في صغره يتردد على طبيب أسنان أروبي لم يكن له أبناء فكان يعيده كابنه ويقدم له الكتب الثورية، وفي سنة 1918 دعي إلى الجندية وقضى ثلاث سنوات في قرنويش، شارك في جريدة "لوباريا" كان يصدرها هوشي منه وفي أوائل 1925 أسست مع جماعة دينية تحت اسم "الإخوة الإسلامية" وفي شهر جوان 1926 تأسست جمعية نجم الشمال الإفريقي وكان أمينها العام ثم رئيسها .

-\*\*ولد في دوار سعادة عبد القادر حاج علي قرب غليزان كان عصامياً تعلم بنفسه ثم أنشأ متجر اللآلات الحديدية بعسكر هاجر إلى باريس بين 1905، دخل الحزب الشيوعي الفرنسي وأصبح عضواً في الإدارة ورنيساً لإحدى خلاياه، كان خطيناً باللغتين وقد بقي دافع الصلة مع مصالي بعد خروجه من الحزب الشيوعي ومن النجم 1929، شارك بعد سنة 1933 مع منصور في لجنة الدفاع عن الجزائريين التي كانت تضم التجار المهاجرين وكانت تدعو إلى الاندماج، توفي في باريس في ماي 1949 .

عودة الأمل للجزائريين، وهو دعوة للاتحاد و التضامن وصف الصفوف وكتبت تحت عنوان "بارقة الأمل" بقولها: "ثم جاء دور الأمير فوعظ الناس و أظنّب في شرح كلمة الاتحاد و ألقى على مسامعهم قصيدة حماسية إرشادية أثرت على أفكار الحاضرين و أبكت الكثير منهم".<sup>197</sup>

وتابعت الجريدة تعليقها على الحدث، و اعتبرته دعوة جديدة ليقظة الجزائريين لاكتساب المعارف و الصنائع، ونبذ الأعمال المخلة بالحياء، وانتشال الشباب من أزقة السوء و الرذيلة، و الاعتماد على الذات و جمع الكلمة، .

وتذكر المصادر التاريخية أن سنة 1922 تعد سنة مجد للأمير، فبعد نجاحه في انتخابات 1919 و بروز خصومه السياسيين تألق نجمه في ربيع 1922 بعدما تمكنه من مقابلة رئيس الجمهورية الفرنسية الكسندر ميلران الذي زار الجزائر في ربيع 1922م، وكان اللقاء بمسجد سيدي عبد الرحمان بالعاصمة، وقد ألقى الأمير خطاباً هاماً باسم جميع الجزائريين. وقد ذكر الأمير من جديد الرئيس الفرنسي بأن الجزائريين وقفوا إلى جانب فرنسا في محنها، وهم يطالبون في الحال، بالحريات المدنية من فرنسا و السماح لها بالارتقاء في المناصب، و أن يكون لهم تمثيل نيابي في المجلس الوطني الفرنسي، و قد ركز الأمير في مطالبه على فكرة التعويض، و أنها حق جزائري مشروع، و من تم اعتبر البعض أن مطالبه ربطت بين لغة الترهيب و الترغيب. و أن قلوب الجزائريين لا تزال بعد متجهة نحو فرنسا<sup>198</sup> .

و الظاهر أن مطالب الأمير كانت قريبة من لغة الصرامة و الوضوح، أكثر ما كانت مبنية على لغة الترجي و المهانة، ولعل ذلك ما كشف عليه الشيخ المولود الزريبي أحد رجال الإصلاح المعاصرين لحركة الأمير خالد، و بطلب من هذا الأخير لخص الزريبي مطالب الأمير المتمثلة في: "إعادة مجد أجدادنا ولو يقطع رقاب الجزائريين"<sup>199</sup> .

وفي نفس السنة عزز الأمير من نشاطاته السياسية، وقام بالعديد من الجولات إلى خارج الجزائر العاصمة بغية كسب المزيد من الأنصار، وحل به الترحال إلى مدينة تلمسان و عقد تجمعاً شعبياً في قاعة الحفلات التابعة للبلدية، وكانت تدخلات الأمير بالعربية الفصحى، وركز خلالها على ضرورة إبطال الإجراءات التعسفية التي لا تزال مفروضة على الجزائريين، كما استنكر سياسة التجهيل و التهميش والإقصاء المفروضة على الأهالي

---

<sup>197</sup>-عمار عيماش: اسمه الحقيقي إيهاش من دوار بني عيسى (أرّبي بني إيراثت) انضم إلى النجم 1931 شغل منصب كاتب عام 1933 وتولى رئاسة تحرير جريدة الأمة وكان خطيباً وكاتباً قديراً له بعض كتب صغيرة منها "الجزائر في مفترق الطرق" وقد سجن بفرنسا ستة أشهر ولم يشارك في تأسيس حزب الشعب وقد رجع إلى الجزائر بعد العالمية الثانية توفي بمسقط رأسه قبل الثورة

<sup>198</sup>- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص 82

<sup>199</sup>- مومن العمري: الحركة الثورية في الجزائر، ص 36 .

ودعا الحضور للمطالبة بالحقوق السياسية و الاشتراك في السلطة . وقد لقيت أفكاره هذه رواجها في المنطقة، وقد دعا إليها مجدداً أحد رسل الأمير و المدعو أحمد بهلول الذي زار المنطقة في خريف 1922<sup>200</sup>

وبمرور الزمن اكتسب نشاط الأمير المصادقية لدى الكثير من رجال الفكر، وانسبوا إلى حركته. و أبدوا عن استعدادهم اللامشروط لخدمة القضية الوطنية، ومن هؤلاء نذكر الشريف علي الطاهر الذي حضر اجتماع جمعية الأخوة في صانفة 1922 وألقى كلمة مؤثرة كشف فيها عن عيوب التعصب و التحجر، ودعا الجميع إلى الاعتصام بالإسلام، و نبذ الأفكار المتزمتة الرافضة للتحرر. و من بين المتدخلين أيضاً الحاج محمد بن رحال، والسيد رشيد ساطور و عمر الميزابي و يوسف حميدة.

و كتبت الأقدام معلقة على المتدخلين في اللقاء بأنه بمثابة "المدرسة التي تبعث الأفكار الصافية النافعة و أنه دعوة للوحدة و ضربة لدعاة الفتن و تقسيم الوطن"<sup>201</sup>.

### 3- نفي الأمير و متابعة نشاطه خارج الجزائر :

مما لاشك فيه أن نشاطات الأمير المتعددة الجوانب قد جلبت حولها الكثير الأنظار الشبهوات ، فبقدر ما كسبت من الأنصار، و ممن يصغون إليها سواء من الجزائريين أو حتى من بعض الفرنسيين المعتدلين، أمثال فيكتور سبيلمان ، فإنها فتحت ضدها الكثير من الخصوم السياسيين و الإداريين. المتطرفين الذين رفضوا المطالب الجزائرية مهما كان نوعها.

و إذا كان الأمير خالد قد اعترضته صعوبات جمة في نشاطاته من طرف الإدارة الاستعمارية ، فإن ذلك ليس بالغريب عليه ولم يتعبه، بقدر ما أفلتته أطراف جزائرية لم تكن غريبة على حياته، وبالخصوص جماعة النخبة الليبرالية المتطرفة التي يقودها كل من بن التهامي، و وليد عيسى و بوضربة و محمد صوالح. وقد عارض هؤلاء برنامج الأمير الذي كشف خطتهم الداعية لسياسة الاندماج و التجنس و رفض الحضارة العربية الإسلامية التي امتدت جذورها في عمق التاريخ الجزائري<sup>202</sup>.

---

<sup>200</sup>- عبد الكريم بوصفصاف "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية"، 1931-1945، ط2، دار البعث، قسنطينة، ص 200  
- \*يعتبر أكبر حدث على الصعيد الدولي إذ اجتمع فيه الضعفاء للتبديد بالأقوياء .

<sup>202</sup>- الشاذلي خير الله، ولد بتونس 10 مارس 1898، تعلم بالمصادقية، وبتانوية "كارنر" حصل على البكالوريا قسم الفلسفة 1918، استهوته السياسة مبكراً فاشتغل بالصحافة النضالية، شارك في جريدة "الدستور والمحرر"، واشتهر بمقاله الذي نفي من أجله "دمشق مدينة ضحية" ورسائله المفتوحة إلى المقيم العام سنة 1926، شارك في نجم الشمال الإفريقي كدستوري، حضر مؤتمر بروكسل ضد الاستعمار باسم النجم بجاني مصالي الحاج، شارك في جريدة الإقدام انضم بأحداث 10 جوان، نفي من فرنسا 27 ديسمبر 1927، عام 1935 ترأس المكتب الثالث لدستور الجديد بعد اعتقال بورقيبة له كتاب فلسفي "مفتاح السراب" له الحركة التطورية التونسية وحركة الشيلية التونسية مات 1972

و يعد مؤتمر رؤساء البلديات الذي احتضنته العاصمة في 27 ماي 1920 بداية الضعف العلني في برنامج الأمير، بعد تواطىء جماعة بن التهامي مع حاكم ولاية الجزائر لوفيبور، وغلاة المعمرين. برغم أن التقارير الفرنسية تذكر عن الأمير أنه وقتها لا يزال يأمل في التعاون مع الفرنسيين، وحسب برقية الحاكم العام أوجان أبيل إلى وزارة الداخلية الفرنسية بتاريخ 18 ماي 1920، فإن اجتماع الأمير بوفادة عربية مشكلة من أنصاره خلصت إلى معارضة الخصوم السياسيين المتحالفين مع رؤساء البلديات، ولم تستهدف ضرب سياسة الولاية العامة المنتهجة<sup>203</sup>.

وكان لتضييق الخناق على حركة الأمير من قبل الإدارة الفرنسية أثره الواضح على تقديم استقالته من عضوية المجالس المنتخبة في ربيع 1921 وكتب في ذلك رسالة إلى شيخ بلدية الجزائر العاصمة ذكره فيها بالدوافع الحقيقية لتخليه عن المسؤولية التي أوكلها له الشعب الجزائري بقوله: " ليس هناك سبب خاص يدفعني إلى التخلي عن النيابة التي منحتني إياها ثقة شعب الجزائري المسلم، وإنني أردت بانسحابي من المجلسين أن أستعيد حريتي ".<sup>204</sup>

وحسب ما ذكره توفيق المدني الذي كان معاصراً للأحداث وقتئذٍ، فإن المضايقة على الأمير كانت بتخطيط من الإدارة الفرنسية، وبتواطىء بين الحاكم العام "تيودور ستينق" ووالي الجزائر العاصمة "لوفيبور" الذي كانت له دراية كبيرة بحوثيات نشاطات الأمير و تعلقه بالشعب الجزائري<sup>205</sup>.

ولعل الشيء الذي يدعم ذلك، التقرير الفرنسي الذي بعث به رئيس الملحق العسكري بالأغواط إلى القائد العسكري لمقاطعة غرداية وهو بدوره يبلغها إلى الحاكم العام يشعره فيها عن توزيع نشرة تحريضية صادرة عن جمعية الأخوة على سكان صحراء الجزائر، و نزولها عند رغبة أعيان المنطقة، و ذلك ما شكل خطراً على المصلحة الفرنسية<sup>206</sup>.

واضطر الأمير إلى الانسحاب من الساحة السياسية في أبريل 1923 و أعلن أنه سيتوجه إلى سوريا، بعد ما عاش مضايقات السلطة الفرنسية و أعوانها من الجزائريين المتجنسين، و يذكر شارل روبيير أجيريون أن الأمير كشف عن ذلك الجو المشحون بتوتر و قلق في رسالة بعث بها لأحد أصحابه في صائفة 1923 إذ يقول فيها: " أننا لا نستطيع أن نعيش في الجزائر حيث أن الحياة لا تطاق بالنسبة إلى، إنني انسحب إلى بلد أكثر هدوءاً ".<sup>207</sup>

<sup>203</sup> - محمد قنانش، محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 45 .

<sup>204</sup> - سليمان قريري: تطور الاتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائري 1940-1945، دكتوراه في التاريخ المعاصر،

جامعة باتنة، 2010-2011، ص 39

<sup>205</sup> - مومن العمري: المصدر السابق، ص 38

<sup>206</sup> - ahmed hanachi :la langue march de lalgerie combatante (1830-1962) edution dahleg, alger, 1990, p42

<sup>207</sup> -جريدة الأمة: جريدة وطنية سياسية للدفاع عن حقوق مسلمي إفريقيا الشمالية، صدر أول عدد منها شهر أكتوبر 1930، مؤسسها ومديرها السياسي مصالي الحاج، وصاحب امتيازها السي جيلاني، توقفت عن الصدور نهائيا في أوائل الحرب العالمية، وقد كانت

و مهما يكن من أمر ، فإن انسحاب الأمير من الحياة السياسية لم يكن برغبة منه، بل أرغمته الظروف على ذلك الفعل، و أن ذلك الإجراء حضرته الدوائر السياسية في باريس مع وزارة ريمون بوانكري و اشرف على تنفيذه سيق الحاكم العام في الجزائر 208 .

و يذكر سعد الله أن السلطات الفرنسية أصبحت قلقة من نشاطات خالد الوطنية، و من إصراره على التعويض. و قررت سنة 1923 نفيه من الجزائر بعد أن أوصلت بصفة خاصة فيدرالية رؤساء البلديات و النواب التي اتهمت الأمير خالد بالقيام بنشاطات معادية لفرنسا بتنفيذ ذلك 209 .

و بعد صعود هيريو إلى رئاسة الوزراء في 1924 و باعتباره من المحسوبين على اليسار، تفاؤل الكثير من الزعماء السياسيين و الإصلاحيين بتغيير الأوضاع أمام مطالبهم، و منهم الأمير خالد الذي بعث برقية من منفاه في صائفة 1924 إلى رئيس وزراء فرنسا، و اعتبر توليته على رئاسة الوزراء عهدا جديدا لأهالي الجزائر يقودهم إلى طريق التحرر، و قد احتوت الرسالة على مطالب جامعة و شاملة عبرت عن برنامج الإصلاح للامير خالد و المتمثلة في النقاط التالية:

- 1- مساواة التمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي بين الجزائريين و الأوروبيين القاطنين بالجزائر
- 2- إلغاء القوانين و الإجراءات الاستثنائية الخاصة بالجزائريين في محاكم الجنايات و إبطال الرقابة الإدارية مع العودة إلى القوانين العامة دون قيد و لا شرط.
- 3- المساواة في الحقوق و الواجبات مع الفرنسيين بخصوص الخدمة العسكرية.
- 4- ارتقاء الجزائريين في المرتبة المدنية و العسكرية و الاعتماد في ذلك على عنصر الكفاءة و المقدرة الشخصية.
- 5- إجبارية التعليم على الجزائريين مع الاحتفاظ بحرية الاختيار في نوع التعليم.
- 6- حرية الصحافة و الاجتماع.
- 7- تطبيق فصل الدين على الدولة الفرنسية.
- 8- رفع القيود و الإجراءات على كل المساجين و العفو على المنفيين .
- 9- تطبيق القوانين الاجتماعية و العمالية على الجزائريين.
- 10- الحرية المطلقة للعمال الجزائريين في الذهاب إلى فرنسا 210 .

وتذكر الكثير من المصادر التاريخية أن نفي الأمير خالد إلى خارج الجزائر جعلته أكثر راديكالية في طرحه للقضايا الوطنية ، بل أنه نقل المعركة إلى فرنسا نفسها، و أشرف برفقة مناصريه على التمكين من جميع عمال الشمال الأفريقي، في الكثير من اللقاءات التحسيسية و التوجيهية نحو التحرر و المطالبة بالحقوق المهنية و الاجتماعية وحتى السياسية.

---

تصدر بباريس في عدد نوفمبر ديسمبر 1931 مقال موجه للشبيبة الجزائرية يشكره فيها على حسن استقبالها لصحيفته الوطنية، و يطلب من القراء تأسيس لجان "أحباب الأمة" يبين اهتمام الوطنيين الجزائريين بالعمال و يطلب منهم تأسيس لجان للبطالين في الجزائر كما هي مؤسسته في فرنسا. انظر الملحق رقم (02)، ص 64 .

207- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص 374

208- عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 229 .

209- مومن العمري: المرجع السابق، ص 38 .

210- بن يوسف بن خدة : جذور أول نوفمبر 1954، ط2، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، 2012 م ، الجزائر، ص 76

وقد ارتسمت معالم العمل الوطني في فرنسا بهجرة الأمير خالد إليها منذ 1923 (211)، وفي جويلية 1924 عقد الأمير مؤتمرين في باريس تحت رعاية الاتحاد العالمي و هو منظمة يسارية كانت تؤيد القضية الجزائرية. و خلالها استطاع خالد من تكوين لجنة من الجزائريين المناصرين له منهم الحاج عبد القادر، و الحاج مصالي، و عبد العزيز منور و علي الحمامي و أحمد بهلول و بانون أكلي، وكلفت هذه اللجنة بمهام الإشراف على عمال المغرب العربي و تنظيمهم في شكل هيئة اتحادية المغاربة (212).

و في 7 ديسمبر من نفس السنة ترأس الأمير مؤتمر عمال شمال إفريقيا الذي ضم ممثلين عن خمسة و سبعين ألف عامل، و خلال التجمع عبر المؤتمر عن تضامنهم عن طريق برقيات التأييد لحركات المتحرر في كل من الجزائر، و المغرب الأقصى، و مصر و تونس (213).

ولعل أهم نتيجة خلص إليها الأمير من خلال التجمعات العمالية التي عقدها في باريس هو الوصول بهم إلى تأسيس جمعية سياسية بعنوان "نجم الشمال الإفريقي" الذي أصبح رئيساً شرفياً لها. كما أصدر النجميون سنة 1927 جريدتين باسم الإقدام الباريسي. و الإقدام الشمال الإفريقي و هي امتداد لجريدة الإقدام التي عطلتها فرنسا في الجزائر سنة 1923 (214).

ومما سبق ذكره نخلص إلى القول، أن الأمير خالد قد أفلح في مسعاه بباريس و حقق ما لم يتحقق له في الجزائر، و أوجد المناخ الملائم لميلاد حركة سياسية جزائرية ثورية سوف يكتب لها النجاح في الدفع بالقضية الوطنية نحو الأمام، لكن المنون خطف خالد في سنة 1936 بدمشق، و قد ترك ذلك الأثر البالغ على الجزائريين، و جعلوا يوم حداد بمناسبة الذكرى الأربعينية على وفاته، و أقاموا له الصلاة في المساجد و المقابر و كتبت جريدة الدفاع وقتها تذكر بخصال الرجل الوطنية و الدينية بقولها: "و هب خالد للجزائر كل حياته ونشاطه وذكائه، و للإسلام كل عواطفه وقلبه." (215)

شكيب أرسلان: زعيم عربي إسلامي ولد في 25 ديسمبر 1869 بسوريا وتوفي في 9 ديسمبر 1948، وقف حياته على خدمة التراث -\*.

211 العربي الإسلامي والدفاع عن القضية العربية الكبرى في عصبة الأمم بجنيف

212 م، الجزائر، ص 178، 172، 2007 anep - مصالي الحاج: مذكرات مصالي الحاج 1898-1938، منشورات

213 - عبد النور خيثر: منطلقات وأسس الحركة الوطنية 1830-1954م، المركز الوطني للدراسات والبحث، ص 253

214 - أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 143، 140

- \*ولد الحاج أحمد مصالي في عائلة من شہراء الفلاحين، كانت مهمته موالده بسيطة لأنه كان امكانيا، فعاش مصالي حياة متواضعة، لم يحتل قساوة الحياة الصعبة في الجزائر من جراء المساومات الكاوليتالية، وبعد عودته من الخدمة العسكرية بفرنسا إلى الجزائر، هاجرا إلى فرنسا 1923 ومارس عدة حرف متواضعة أيضا، خطا خطواته السياسية الأولى في إطار جمعية نجم شمال إفريقيا التي ساهم في تأسيس والحزب الشيوعي الفرنسي، بدأ صدامه مع هذا الحزب 1928 لكنه لن يغادر بدون رجعة إلا عام 1933 خلال مؤتمر بروكسل المعادي للمبريالية 1927 وفي اجتماع المؤتمر الإسلامي بالجزائر العاصمة 1936 يطرح مصالي نظريته حول الوطنية الجزائرية، القمع يلحقه فلمحت حركته ابتداء من 1929، العيش 16 سنة سجنا أرمثنيا، أبو الوطنية الجزائرية يصبح منذ 1955، يبني معدود الجماهير 1954، ابتداء من هذا التاريخ يبتدر تلاميذه عنه الحجاب لعد أشياء حزب الشعب 1927، وحركة انتصار الحريات 1946 في نشأ مطالب الحركة الوطنية الجزائرية (m.n.a) رفض اللغة الفرنسية رفض اتفاقيات العيان يدعو إلى التعددية الحزبية وينصرف كمعارض حتى موته 1974 بفرنسا وتم نفيه بالجزائر. انظر الملحق رقم (03)، ص ص 65-67.

أما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي اعتبرت نشاطاتها بمثابة امتداد طبيعي لحركة الأمير خالد ، فقد رزيت هي الأخرى عند سماعها بوفاة الأمير ، و ذكرت بخصاله الحميدة وكتبت مجلة الشهاب مذكرة بوطنية الأمير ، و صدقه في العمل بقولها : "إن الأمير خالد رجل قومي يعتز بقوميته، و مسلم يحمل غيرة صادقة على دينه ... كان صلب الرأي قوي الإيمان، صريح القول. دافع عن وطنه حتى فارقه، و ذهب ضحية عقيدته، و جهاده ودفاعه." (216)

وظاهر أن حركة الأمير ظلت سارية المفعول لدى أنصاره في الجزائر. لا في فترة الاستعمار فحسب، و لكن حتى بعد الاستقلال، و قد تجسد ذكره في شهادة أحد الذين عرفوه و عاشروه، و قد أدلى بها بعد الاستقلال احدهم قائلاً، أن الأمير قال له ذات يوم لن اعرف الراحة و الطمأنينة إلا يوم تصبح الجزائر فيه حرة مستقلة، إذا توفيت قبل ذلك فاستمروا أنتم في كفاحكم و سأكون في قبوري مطمئناً لذلك، إن تحرير الجزائر العزيزة هو تحرير شعبنا نهائياً من الاضطهاد و التعسف، و إني لموقن بأننا سننتصر بإذن الله. (217)

مما سبق ذكره نخلص إلى القول أن حركة الأمير خالد تعد، لبنة هامة في بناء المسرح السياسي للجزائر المعاصرة ، و كانت مطالبة جامعة و شاملة ربطت بين البعد التربوي و الإصلاحي و الاجتماعي و السياسي في قالب ثوري، خاطبت العقول و أذكت الأحاسيس ونمت الشعور، وكونت الوئام لدى الجزائريين. الذين أصبحوا يفكرون بكل جدية في مطالبهم المختلفة انطلاقاً من مبدأ المساواة مع المعمرين، لما قدموه من دعم مادي و معنوي لفرنسا في أحلك محنها

لكن تواطىء دعاة التجنس و الإدماج مع الإدارة الاستعمارية و غلاة المعمرين أجبروا الأمير على مغادرة الجزائر، بعد أن اتهموه بالتعصب و التطرف السياسي . لكن قضايا الجزائر ظلت عالقة في اهتمامات الأمير و هو في المنفى. و نقل المعركة إلى فرنسا و شرح تفاصيلها بين الطبقة العمالية المهاجرة لأقطار المغرب العربي، و بذلك حقق الأمير أمنيته و مهد لتأسيس نجم شمال إفريقيا الذي ولد في باريس 1926 و أصبح الأمير رئيساً شرفياً له. و بذلك يعد من الرواد الأوائل الذين ارسوا معالم جديدة في منظومة القيم السياسية في تاريخ الجزائر المعاصر.

## 10- دراسات الاحزاب السياسية والجمعيات الوطنية 1926-1939

### 11- نجم شمال إفريقيا :

وهو تيار وطني يسمى أيضا بالتيار الاستقلالي. كما يسميه البعض بالتيار اليساري الوطني الثوري وقد ظهر هذا الحزب في سنة 1926، رغم اختلاف المؤرخين في تحديد تاريخ نشأته بالضبط. فمنهم من يعيده إلى سنة 1924 رابطا

215 - mahfoud kaddache histoire du nationalisme algérien .question nationale et politique algérienne (1919-1951). tome 1.swed.1981. p 488.

216 - قريري سليمان: مرجع سابق، ص 82 .

217 - مومن العمري: الحركة الثورية في الجزائر، المرجع السابق، ص 40

ذلك بالزيارة التي قام بها الأمير خالد إلى فرنسا والتي جمعت بالعمال الجزائريين وانتهى ذلك بتأسيس الحزب (218) لقد كانت الهجرة الجزائرية هي أول من أسس حركة وطنية تحت اسم نجم الشمال الإفريقي (219)، ولقد أعلن عن الأمير خالد رئيسا شرفيا له، ولكنه شيئا فشيئا نقد النجم أعضاءه التونسيين والمغاربة وأصبح منظمة جزائرية خالصة وكان هدفه الصريح هو الدفاع عن المصالح المعنوية والمادية لأهل إفريقيا الشمالية وتنقيف أعضائه. وكان جل أعضائه من العمال، والجنود السابقين، وطلبة إفريقيا الشمالية الذين كانوا يعيشون في فرنسا (220).

وحتى 1930 كان اتصال النجم بالجماهير في الوطن محدودا جدا، وكان يتمتع بعطف اليساريين الفرنسيين والأوروبيين والمنظمات المعادية للاستعمار ونظرا للقيود التي اتخذتها السلطات الفرنسية ضد أعضائه في الجزائر اعتمد النجم بصفة خاصة على الصحافة في الاتصال بالجزائريين.

ولقد كان الهدف الحقيقي للنجم هو تحقيق استقلال إفريقيا الشمالية كلها، وإن أعضاء النجم محمد جفال، حاج علي عبد القادر، مصالي الحاج، أحمد بغلول، محمد بن الأكل، عمار عيماش (221).

ولقد كانت هناك صفتان خدمتا النجم وهو الإقدام (222) التي كان أنشأها الأمير خالد في الجزائر سنة 1919 وعندما نفته الحكومة الفرنسية وحلت حزبه توقفت عن الصدور، ثم أعيد إصدارها تحت اسم الأقدام الباريسي وكانت هذه الصحيفة شهرية تصدر باللغتين وقتئذ (223).

ضم الحزب في قيادته مجموعة من الأعضاء الذين أصبحوا فيما بعد من أبرز مناضليه.

#### ● مبادئ الحزب وبرنامجه :

بالرغم من الظروف الخاصة والمميزة "الحزب المميز" كحزب وطني ذو اتجاه استقلالي، إلا أن أحد المؤرخين يرب بأن هذا الحزب تأرجح في سنته الأولى بين تيارين اثنين :

-أولهما وهو تيار الأمير خالد ومطالبه الإصلاحية.

-ثانيهما وهو التيار الشيوعي ممثلا في الحزب الشيوعي الفرنسي.

- 218 البروستان: هي أحد مذاهب وأشكال الإيمان في الدين المسيحي .

- 219 السلطة التشريعية: هي تداولية لها سلطة تبني القوانين وتعرف الهيئات الشريعة بتسميات منها البرلمان الكونغرس .

220- محمد قنانش، محفوظ قداش: حزب الشعب الجزائري (1937-1939) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1985، ص 35

221 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 144.

222 محمد قنانش، محفوظ قداش، مرجع سابق، ص 35 .

-\* 223 حسين جلول: سيكدي الأصل، تابع دراسته الثانوية بمدرسة "اليسياني" من أبرز الرجال الذين صنعوا تاريخ حزب الشعب الجزائري، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية بدأ نضاله في الثلاثينات، يعتبر الرجل الثاني بعد مصالي الحاج، تقلد مناصب حساسة داخل الحزب، اعتبر في نظر المصاليين خصما عنيدا، عارض مصالي الحاج في كثير من المواقف ففوجئ باندلاع الثورة 1954 حيث كان في القاهرة، اعتزل عن جميع النشاطات السياسية، رفض جميع المناصب التي اقترحت عليه .

لكن حزب النجم سرعان ما تخلص من هذه التبعية وهذا التأرجح خاصة بعد تولي مصالي الحاج رئاسته في سنة 1927، حيث دخل الحزب عهدا جديدا رسمت معالمه مطالب جديدة ومثيرة كان أبرزها مطلب الاستقلال .

كما يذهب الدكتور عبد الكريم بوصفصاف بأن الحزب كان يهدف في الظاهر إلى الدفاع عن المصالح الاجتماعية والأدبية لعمال شمال إفريقيا وتعليم أعضائه ولكن المغزى الحقيقي هو تحقيق الاستقلال

وأیضا یبرز لنا من التقارير التاريخية بأن هذا التغير في الحزب يعود إلى مشاركة مصالي الحاج باسم النجم في مؤتمر "بروكسل" ضد الاستعمار .

هذا المؤتمر الذي انعقد بين 10 إلى 15 فبراير 1927 أكبر حدث سياسي على الصعيد العالمي ولقد اغتنت جمعية نجم الشمال الإفريقي هذه الفرصة فأخذت الكاتب العام مصالي الحاج والسيد الشاذلي خير الله (\*\* ) عضو الحزب الدستوري .

ولقد شكل هذا المؤتمر منعرجا حاسما ومرحلة جديدة في تاريخ النجم من حيث طريقة الكفاح (224)

النضال وطبيعة المطالب الوطنية وعلى رأسها الاستقلال الوطني وتركزت هذه المطالب التي شكلت البرنامج الأساسي للحزب في النقاط الآتية :

-استقلال الجزائر .

-جلاء قوات الاحتلال الفرنسية .

-حجز الأملاك الفلاحية الكبيرة التي استولى عليها الإقطاعيون عملاء الامبريالية والمعمرون، والجمعيات الرأسمالية الخاصة، وإرجاع الأراضي المحجوزة إلى الفلاحين الذين سلبت منهم .

-احترام الأملاك الصغيرة والمتوسطة .

-إرجاع الأراضي والغابات التي استولت عليها الحكومة الفرنسية إلى الحكومة الجزائرية .

-إطلاق سراح المساجين أو تحت الإقامة الإجمالية أو المبعدون .

-حرية الصحافة، الجمعيات، الاجتماعات .

-التمتع بالحقوق السياسية والثقافية المبادلة لما يتمتع بها الفرنسي في الجزائر(225) .

---

\*- \*\* حسين جلول: سكيدي الأصل، تابع دراسته الثانوية بمدرسة "اليساني" من أبرز الرجال الذين صنعوا تاريخ حزب الشعب الجزائري، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية بدأ نضاله في الثلاثينات، يعتبر الرجل الثاني بعد مصالي الحاج، تقلد مناصب حساسة داخل الحزب، اعتبر في نظر المصاليين خصما عنيدا، عارض مصالي الحاج في كثير من المواقف ففوجئ باندلاع الثورة 1954 حيث كان في القاهرة، اعتزل عن جميع النشاطات السياسية، رفض جميع المناصب التي اقترحت عليه .

224-فداء الجزائر روعي ومالي أفا في سبيل الحرية

225-فداء الجزائر روعي ومالي أفا في سبيل الحرية

لقد استطاع النجم في غضون سنوات قليلة جدا أن يقوم بنشاطات صارمة أزاحت الغبار والركود عن النشاط السياسي والنضال الوطني، الذي أصيب بخمول تام، كما عرف تطورا هاما في تبنيه لأفكار وطنية ثورية ومطالب جهورية وتحول تدريجيا بعد تأسيس حسب تعبير نخبة من المؤرخين إلى أنها منظمة جزائرية خالصة، بعد أن فقد أعضاءه من التونسيين والمغاربة الذين انضموا إليه بداية نشأته (226).

وبذلك عرفت القضية الوطنية تحركات هامة خاصة على الصعيد الخارجي كان أهمها :

- إقامة تجمع ضم حوالي ثلاثة آلاف مهاجر ( 3000 ) في شوارع العاصمة باريس، وذلك سنة 1927 للتنديد بالاستعمار وأعمال القمع والقوانين الاستثنائية التي تمارسها الإدارة الاستعمارية على شعبنا .

- في نفس السنة 1927 حضر وفد يمثل النجم في المؤتمر العالمي ضد الاستعمار في بروكسل حيث طرح ممثلي النجم القضية الجزائرية خصوصا وقضية أقطار شمال إفريقيا والعالم العربي عموما .

- كذلك قام النجم بإرسال مذكرة حول المسألة الجزائرية إلى عصبة الأمم بجينيف (227) .

وبعد أن أحل النجم من طرف السلطات الفرنسية عام 1929، قام زعماء النجم بإصدار جريدة بعنوان "الأمة" (\*) عام 1930 وهي التي يقرأ عنوانها الفرعي العربي هكذا "جريدة وطنية وسياسية للدفاع عن حقوق مسلمي إفريقيا الشمالية" وكان مديرها السياسي مصالي الحاج، الذي كان عندئذ هو المتحدث باسم النجم أي مديرها ومحررها فقد كان عمار عيماش عضو الهيئة الإدارية للنجم، وعلى يمين عنوان "الأمة" يجد الإنسان صورة هلال ونجمة مع الآية الكريمة "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا" (228)

لقد تم إنشاء جريدة "الأمة" سنة 1930 لنشر جميع مستجدات وأخبار النجم بفرنسا، قصد توسيع نطاق العمل والاتصال بالعمال في مختلف المناطق بفرنسا، وهكذا أصبح صوت الجزائر مسموعا لدى شعوب العالم (229) .

ونظرا لهذا النشاط المكثف قامت الحكومة الفرنسية بحل النجم سنة 1929 رغم عملية الحل واصل نشاطه تحت اسم جديد وهو نجم شمال إفريقيا المجيد وذلك سنة 1933، كما ظهر النجم تحت تسمية جديدة أخرى سنة 1934 وهي لجنة التجمع الشعبي (230).

<sup>226</sup>فليحي حزب الاستقلال ونجم شمال إفريقيا

<sup>227</sup>كان مفدي زكريا واحدا من مؤسسي حزب الشعب شكل لجان موجه للشعب بحثت فيه على الثورة والتحرير .

-\*\*مفدي زكريا، ولد ونشأ في وادي ميزاب درس بتونس وهناك تعرف على رجال السياسة التونسيين من الحزب الحر الدستوري التونسي عرف بذكائه وموهبته الخارقة للعادة ،وقد نشر أول قصيدة له في جريدة الشهاب في 20 سبتمبر 1926 وذلك عددها 57 وهكذا دأب مفدي زكريا على كتابة شعره الوطني الثوري 1932 انضم إلى منظمة طلاب شمال إفريقيا كان يؤمن إيمانا راسخا بوحدة شمال إفريقيا، ونظرا لتكوينه وثقافته أصبح واحدا من أهم مسئولو الحزب ومنظريه، هو الذي كتب القصيد الرسمي لحزب شمال إفريقيا 1936 .

<sup>228</sup>-العربي اسماعيل : الدراسات العربية في الجزائر عهد الاحتلال الفرنسي ، الجزائر 1988 ، ص 134

<sup>229</sup>- العقاد، صالح : محاضرات في الجزائر المعاصرة ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالمية ، ص 277

<sup>230</sup>- سعد الله ابو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية ، (1900-1930) ج 2، ط 3، ش.و.ن.ت الجزائر 1983 ، ص 180

لجنة التجمع الشعبي كانت ممهدة لظهور الجبهة الشعبية في فرنسا 1936، ولم ينال حزب نجم شمال إفريقيا جهدا لتعزيز الحريات الديمقراطية من خلال وقوفه إلى جانب كل من الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الاشتراكي (الفرع الفرنسي للألممية العمالية) وعدد من التشكيلات السياسية والنقابية اليسارية، ومع ذلك صدر في ماي 1935 حكم بالسجن لمدة سنة ضد مصالي، كما حكم على كل من عيماش عمار وبلقاسم راجني بالسجن لمدة سنة أشهر .

وكما يقول مصالي الحاج في مذكراته، بعد ستة أشهر من خروجه من السجن، إن الإفراج عني قد احتفل به نجم شمال إفريقيا والعديد من الحركات السياسية، ولتحضير مهمتي أي مشاركتي في المؤتمر الإسلامي الأوروبي، حددت موعدا مع شكيب أرسلان

وعندما أدخلت قاعة الاستقبال في 7 سبتمبر 1935، قام شكيب وتوجه نحوي وشد بيدي قائلا بلطف وبالعربية مرحبا بك "ثم جلسنا انطلقت المحادثة حول كل المواضيع

وتقدم مصالي الحاج إلى شكيب أرسلان وكانت تلك هي الفرصة التي جاءت إليه حيث خلال المؤتمر الإسلامي الأوروبي عرض مصالي الحاج مطالب تضمنت تشكيل برلمان جزائري منتخب، وأعلن النجم حينها عن دعمه للمطالب التي تخدم مصلحة العامة للجماهير وقام فيما بعد بنقل نشاطه للجزائر (231).

وبما أن الاتفاق بين الجبهة الشعبية والنجم لم يدم طويلا بسبب مطالب النجم الاستقلالية وكذا لأن الجبهة لم تكن مستعدة لتسليم باستقلال الجزائر عن فرنسا أدى ذلك إلى فتور العلاقة بينهما مما جعل الجبهة تقوم بحل النجم بمساعدة الشيوعيين في 26 جانفي 1937، هذا الحل لقي موجة احتجاج عارمة من الحزب الدستوري التونسي الجديد، وكذا المؤتمر الإسلامي كما اتهم مصالي الجبهة بأنها خيبت آمال الشعوب المستعمرة وذلك عن طريق توزيع مباشر معادية لها ولم يمض شهر على هذه النشاطات حتى ظهر إلى الوجود حزب جديد "حزب الشعب الجزائري". (232).

### • حل نجم شمال إفريقيا

تمثل رد فعل النجم في توجيه اتهامات إلى المنتخبين الجزائريين أمثال بن جلول و إلى الصحافة اليمينية على حد سواء، و ذلك لمواقف هؤلاء المعادية للنجم و تحريضهم السلطة عليه، أما الاتهام الرئيسي فقد وجهه إلى الحزب الشيوعي الفرنسي الذي اتهم بأنه يرغب في القضاء على النجم، و اعتقد النجميون أن الشيوعيون أو عزوا إلى حكومة الجبهة الشعبية التي تحظى بتأييدهم باتخاذ قرار الحل، و كان اعتقاد الشيوعيين مبنيا على الحملة الصحافية الشيوعية

<sup>231</sup> - عبد النور خيثر: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، ص 384 .

<sup>232</sup> عبد النور خيثر: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، ص 384 .

ضدهم، و الاتهامات التي وجهت إليهم بأنهم يتخذون نفس الموقف الذي اتخذه الفاشيون و كبار الكولون في الجزائر ضد مشروع فيوليت<sup>(233)</sup>.

فبعدها حل النجم بمقتضى مرسوم 26 جانفي 1937 اعتقد مصالي الحاج أن من وراء هذه العملية يد شيوعية خبيثة فقال: " اتهمونا بأننا نتعاون مع فرونكو و موسوليني و بأكاذيب أخرى كان الحزب الشيوعي الفرنسي دائما يستعملها كسلاح للتخلص من الرجال الذين يقفون في وجهه.... و اخذ علينا الحزب الشيوعي أيضا تعاوننا مع شكيب ارسلان و علاقتنا بالعالم العربي، و أخيرا مع شكيب ارسلان و علاقتنا بالعالم العربي، و أخيرا موقفنا من مشروع فيوليت هذا الموقف الذي ضايقه كثيرا"<sup>(234)</sup>.

بعد أن حل النجم لم يؤثر في الواقع على نشاطه السياسي و استمر يعمل بقوة تحت أسماء أخرى فإلى غاية تأسيس حزب الشعب الجزائري الذي صبغ الحركة الوطنية بصبغة ثورية أسست جمعية أحباب الأمة التي كانت تنشط في السرية<sup>(235)</sup>.

كما صرح " راوول اوبو" في شرحه لأسباب حل النجم أمام مجلس الشيوخ الفرنسي " بان الحل اتخذ في الوقت الذي وجهت فيه الانتقادات للنجم من الأهالي الجزائريين ومن الحزب الشيوعي" كما عدد بدوافع الحل بقوله " نشاط انفصامي، نفوذ أجنبي، محاولات من الخارج للتقسيم"<sup>(236)</sup>.

بتحول نجم شمال إفريقيا إلى حزب الشعب الجزائري أي أصبح حركة جزائرية محضة بعد أن كان في الأول حركة شمال افريقية عامة.

## 12- حزب الشعب الجزائري "1937-1939"

يعتبر حزب الشعب الجزائري امتدادا لحزب النجم، وقد تأسس مباشرة بعد حل هذا الأخير في "نانتير" بضواحي باريس بزعامة مصالي الحاج، وحضور ثلاثة مائة ( 300 ) مناضل من حزب النجم وقد انتخب غداة هذا المؤتمر التأسيسي مصالي رئيسا للحزب الجديد وذلك يوم 11 مارس 1937 أي بعد حوالي شهر ونصف فقط من حل النجم، ولكن الحزب نقل نشاطه إلى الجزائر-ميدان المقاومة- بعد عودة مصالي إليها من فرنسا يوم 18 جوان 1937<sup>(237)</sup>.

ونتيجة لمطالب الحزب ونشاطاته التي كانت تشكل خطرا على فرنسا قامت هذه الأخيرة باعتقال مناضليه وعلى رأسهم مصالي الحاج زعيم الحزب في 27 أغسطس 1937 مما أدى إلى مصادمات عنيفة جرت بين الشرطة الفرنسية وأعضاء الحزب ووصلت إلى حد المطاردات في الشوارع وسقوط الكثير من الجرحى ونفس الشيء وقع سنة 1939

<sup>233</sup>. مؤمن العمري، المرجع السابق، ص: 39

<sup>234</sup>. عمار بوحوش، المرجع السابق، ص: 300

<sup>235</sup>. Slimane Cheich, L'Algerie en arme ou le temp des certitudes, alger, OPU, 1981, PP :58 59

<sup>236</sup>. عمار بوحوش، المرجع السابق، ص: 301

<sup>237</sup>. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962م، ط5، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2005م، ص305

عندما نظمت مسيرات تدعو إلى حرية الجزائر واستقلالها، ونتيجة لظهور نذر الحرب العالمية الثانية بدأت الحكومة الفرنسية تتحين الفرصة للقضاء على نشاط الحزب، والذي صدر قرار بحله في 26 سبتمبر 1939 (238).

ولقد تمحورت مطالب حزب الشعب من خلال البرنامج الذي أعلن عنه بصراحة عند تأسيسه حول القضايا الآتية:

1- إنشاء حكومة مستقلة عن فرنسا .

2- إنشاء برلمان جزائري .

3- احترام اللغة العربية والدين الإسلامي (239).

ويمكن معرفة مضمون برنامج الحزب من خلال ما جاء في جريدة "الأمة" الصادرة بشهر يناير سنة 1938 والذي تضمن البنود الآتية:

-إلغاء قانون الأهالي، قانون الغابات وكل القوانين الاستثنائية.

-إعطاء الحريات الديمقراطية، حرية الصحافة وتكوين الجمعيات والعمل النقابي .

-الاعتراف بالدين الإسلامي وإعادة مؤسساته وأوقافه إلى المسلمين .

-إلغاء المنح التي تعطى للمسبحين الكاثوليك، والبروتستانت

-تحويل المجالس المالية إلى مجلس جزائري انتخب بالاقتراع العام دون الأخذ بعين الاعتبار عنصر الدين واللغة .

-فصل السلطات، بين السلطة التشريعية (\*\*\*) والتنفيذية والقضائية (240).

وباسم الحزب الجديد اشترك أعضاؤه لأول مرة في الانتخابات المحلية بالجزائر التي جرت في شهر جوان يونيو 1937، حتى أن الحزب قد فشل في الحصول على الأصوات اللازمة في الانتخابات البلدية لمدينة الجزائر ولكنه من جهة أخرى حصل على نجاح كبير لأنه أصبح معروف في الأوساط الجزائرية، وأصبح فوزه قضية وقت فقط،

238- محمد قنانش، محفوظ قداش: مرجع سابق، ص 17 .

239-قنانش محمد: الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1982 ، ص 90  
-\*\*\*أحمد مزغنة: كان مناضلا في صفوف الحزب الوطني الثوري الذي كان يقوده أحمد المتول، ثم انضم مع بقية أعضاء الحزب إلى نجم شمال إفريقيا عام 1932، وأصبح في أوت سكرتيرا لفرالية العاصمة لحزب الشعب، اعتقل وحكم عليه عدة مرات، وكان من قادة حزب الشعب الجزائري، حركة انتصار الحريات الديمقراطية بعد 1955 وأصبح من أعوان مصالي، مسئول العلاقات الخارجية داخل اللجنة المؤقتة التي تقود حركة الحريات من مارس إلى جويلية 1954 بعد مؤتمر هورنوا جويلية 1954، أصبح المسئول الرسمي عن الشؤون الخارجية وبهذه الصفة يسافر إلى القاهرة في أكتوبر 1954، عمل على تشكيل جبهة تضم جميع التيارات الحركة الوطنية، لكن قادة جبهة التحرير الوطني استعملوه كضمان لإيهام الرأي العام بالتحاق المصاليين بصوفهم، يختلف مع مصالي وتعتقله السلطات المهربة يوم 11 جويلية 1955 بطلب من جبهة التحرير الوطني، مات بفرنسا 1982 .

240- محمد العربي الزبيري ، الثورة الجزائرية عامها الأول، دار البحث، قسنطينة 1984م، ص 76 .

وعلى كل حال فإن مصالي وأنصاره قاموا بحملة واسعة ضد الإدارة الفرنسية، وقد أنشأ الحزب أول جريدة له بالعربية في الجزائر بعنوان "الشعب" بالإضافة إلى جريدة "الأمة" التي كانت تصدر بالفرنسية في باريس (241). بالإضافة إلى تلك المطالب المتنوعة فلن ينسى الحزب المطالب الاقتصادية التي رآها من الضروريات لمتطلبات الشعب الجزائري واحتياجاته وحقوقه المرجوة

-تخفيض الضرائب .

-العمل على تخفيض نسبة البطالة .

-إعادة الأراضي المغتصبة إلى أصحابها الشرعيين، وتسهيل وسائل استغلال الأراضي .

-منع الربا وذلك بمنح قروض منخفضة للفلاحين والتجار .

-تأسيس نظام جمركي يحمي المصانع والإنتاج المحلي من منافسة الإنتاج الخارجي .

-إلغاء الإدارة العسكرية في المناطق العسكرية، وكذلك إلغاء البلديات المختلطة.

ولقد تمحورت شعارات الحزب التي كانت تعبر عن انتماءاته "لا اندماج ولا انفصال ولكن تحرير" وأيضا أن الحقوق تؤخذ ولا تعطى أو "إن إرادة الشعب من إرادة الله ولا تقهر"، أما الزعماء البارزون وهو مصالي الحاج، حسين لحول، مفدي زكريا، أحمد مزغنة .

كما قام مصالي الحاج بالمشاركة في مظاهرات 14 جويلية 1937، فور علمه بها حيث مر منشورا حول الموضوع يدعو فيه الجزائريين المسلمين للمشاركة والذي حرض أن تكون متميزة عن غيرها تحت حراية الجزائرية إلى جانب التشييد الرسمي للحزب .

وتحت شعار "الديمقراطية والحرية والبرلمان الجزائري" (242) .

فاقتل يوم 27 أوت 1937 مصالي الحاج وقادة الحزب من بينهم: محمد مسطول، مفدي زكريا، حسين جلول بن عمار، أما رايح موساري فقد اعتقل سنة 1938، بتهمة المساس بأمن الدولة وإعادة جمعية منحلة وبتاريخ 30 أوت صدرت "جريدة الشعب" وتم فيها الإعلان الاعتقالات وحكم على إثرها مصالي ورفاقه بالسجن لمدة سنتين (243) ، عن جريدة "البرلمان الجزائري" يوم 18 ماي 1938، والذي كانت تكتب بسجن الحراش وقد صدر منها سبعة أعداد (244) .

241- عمار بوحوش، مرجع سابق، ص76

242- الكفاح: هي حركة عنف جماهيري موجهة ضد التواجد الاستعماري على أرض معينة يدعوا لمواجهة الاحتلال .

243- مومن العمري: المرجع السابق، ص 43 .

244-قناش محمد: المسيرة الوطنية واحداث 8 ماي 1945، منشورات حلب ، الجزائر 1991 ، ص 129

وأمام هذا الانتشار الواسع للحزب والتفاف المواطنين حوله لم تجد السلطات الفرنسية بدا من حله وتعطيل الجرائد الصادرة عنه مثلا: جريدة الأمة، جريدة الشعب، جريدة البرلمان الجزائري، وكان لها ذلك يوم 26 سبتمبر 1939، وهكذا يكون حزب الشعب قد عاش رسميا أربعة وعشرون شهرا ( 24 شهرا) ليبدأ بعد ذلك في النضال وهو النضال السري بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية.

وبعد خروج مصالي من السجن قامت السلطات الفرنسية باعتقاله مجددا في 24 أكتوبر 1939 خوفا من أي نشاط سري يمكن القيام به وحكم عليه سنة 1941 بالسجن 16 عاما، لكنه خرج إثر قرار العفو العام .

وهكذا عندما وقعت الحرب العالمية الثانية كان الحزب منحلا وقادته في السجن وصحفه ممنوعة في الجزائر التي كان القانون الفرنسي يعتبرها جزءا لا يتجزأ من فرنسا الديمقراطية<sup>(245)</sup> .

ويمكن القول في الأخير أن نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري هما وجهان لعملة واحدة بحيث شكل تيارا وطنيا ثوريا اختلف كليا في توجهاته عن بقية الحركات الوطنية الأخرى، وكانت له مبادئ منها الاعتماد عن النفس والاعتماد على الجماهير والاعتماد على المناشير وهذا ما عبرت عنه إحدى مناشيره في شهر ماي 1939 بقولها: "إن حزب الشعب الجزائري لا يرى مخرجا للشعب إلا في تشييد الكفاح داخل منظماته والعمل التنظيمي للشعب في داخل الحزب هو أمر أساسي، فالتنظيم الشعبي هو أساس الكفاح الحقيقي الذي توصل له حزب الشعب إلى القضاء على الفوضى العجيبة التي كانت سائدة في كل مكان، إن كل المسلمين الجزائريين مدعوون للدخول في صفوف حزب الشعب الجزائري لأنه هو الذي يعمل دون كلل على تنظيم الشعب"<sup>(246)</sup> .

وبعد حل النجم عوض بتأسيس حزب الشعب الجزائري في مارس 1937 بتأطير في اجتماع عام تحت رئاسة مصالي الحاج، إن مبادئ النجم و فلسفته بقيت هي السائدة عند المناضلين فلم يحدث أي تغيير في الخطة، بل تغير الاسم فقط فكانت العبارات السائدة عند الشعب هي الوطنية و الوطنيون، و في هذه المرحلة أصبحت الأوضاع الجديدة تقتضي تقييم جديدا و خطة تتناسب مع تلك الأوضاع و المعطيات السياسية العالمية التي تتغير حسب الظروف و الأحوال و الأحداث<sup>(247)</sup> .

و بعدما كانت حركة النجم تشمل الأقطار الثلاثة رغم أن أعضاءها في أغليبتهم جزائريين، أما الآن فقد تأسس حزب وطني جزائري ليقوم بالمهمة التي تنتظره المتمثلة في التنظيم و التوعية و بث روح التضحية و الكفاح في أفراد الشعب الجزائري<sup>(248)</sup> .

245- مناصرية يوسف: الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1988 ، ص ص 143-189

246- نفس المرجع السابق : مناصرية يوسف: الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين ، ص 203

247- مصطفى الهشماوي، جذور نوفمبر 1954 في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2010، ص: 49

248- ادريس خضير، البحث في تاريخ الجزائر الحديث، ج 1، دار الغرب للنشر و التوزيع، ص: 356

و الجديد في الحزب هو دخوله معترك الانتخابات للمجالس المحلية في شهر جوان 1937، و لكن الحزب قد فشل في الحصول على الأصوات اللازمة في الانتخابات البلدية لمدينة الجزائر، و لكنه من جهة أخرى حصل على نجاح كبير لأنه أصبح معروفا في الأوساط الجزائرية، و رغم اعتقال زعماء الحزب في 27 أوت 1937 قرروا الترشح لانتخابات المجالس العمالية التي تجري في أكتوبر 1937، و رغم الدعم الكبير بقيادة الحزب و خصوصا مصالي الحاج ممثل الحزب في الجزائر العاصمة إلا أن الإدارة الفرنسية سارعت إلى تزوير الانتخابات و جعلتها لصالح محي الدين زروق<sup>(249)</sup>.

في 04 نوفمبر 1937 تم توقيف القياديين لحزب الشعب الجزائري و وضعهم في السجن، و يتعلق الأمر بكل من مصالي الحاج و خليفة بن عمر حول عزافة و مفدي زكريا، حكم عليهم بالسجن لمدة سنتين إلى أن تم إطلاق سراحهم في أوت 1939 بدعوى إحياء منظمة حلها القانون هي منظمة " نجم شمال إفريقيا "<sup>(250)</sup>.

و ذاق مصالي الحاج عذاب السجن و التعذيب مرارا، و كان كل مرة يخرج فيها من سجنه يعود إلى دعوته و قيادة حزبه بصفة اشد، و بعد إطلاق سراحه في 27 أوت 1939 حل حزب الشعب، فلجأ قاداته إلى العمل السري الذي كان له أثره الايجابي بحيث أصبح نشاطه أكثر شعبية وفعالية، ولجأت الإدارة الفرنسية عشية الحرب العالمية الثانية إلى وقف سحب جريدة " الأمة " و " البرلمان الجزائري "<sup>(251)</sup>.

كانت سنة 1939 سنة سوداء مليئة بالانتكاسات و الإخفاقات لقيادة حزب الشعب الجزائري، فهي السنة التي توفى فيها احد مقربي مصالي الحاج ارزقي كحيل، و هي السنة التي تم فيها إلقاء القبض على مجموعة من المناضلين المعروفين في الحزب و على رأسهم محمد خيضر، جاء بعد ذلك مرسوم 26 سبتمبر 1939 الذي نص على حل حزب الشعب الجزائري بتهمة التواطؤ مع السلطات النازية، ثم تبعتها حملة اعتقالات واسعة بداية من 04 أكتوبر 1939 شملت شخصيات كبيرة في هذا الحزب.

القي القبض مرة ثانية على مصالي الحاج و حكم عليه يوم 28 مارس 1941 بالسجن مع الأعمال الشاقة لمدة 16 سنة، هذا الأمر جعل حزب الشعب يختفي عن الساحة السياسية طيلة الحرب العالمية الثانية، و لكنه ظل ينشط في سرية و خفاء فقاداته في السجن و تحت الإقامة الجبرية، ولم يكن بإمكان مصالي الحاج إدارة الحزب مباشرة، و رغم ذلك تولى جماعة من الشباب أعباء النشاط الحزبي السري و من بينهم محمد لمين دباغين، الذي تولى إدارة الحزب منذ أكتوبر 1942<sup>(252)</sup>.

<sup>249</sup>. Gilbert Meynier, Histoire interieure du FLN 1954-1962,Caslah Edition, Alger, 2003, p : 59

<sup>250</sup>. Charles Robert Ageron, op cit, P : 585

<sup>251</sup>. Gilbert Meynier, op cit, P : 54

<sup>252</sup>. احمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1995، ص: 137

بدا التوجه السياسي لحزب الشعب الجزائري بداية الأربعينيات لا سيما عام 1943، ليتحول إلى حزب ينادي بضرورة إحداث التغيير الجذري بواسطة القوة، وجد في الجمعية أحباب البيان و الحرية التي ظهرت في 1944 إطارا لنشر أفكاره السياسية<sup>(253)</sup>.

تمكن حزب الشعب من فرض تنظيمه الجديد الذي صادق على لائحة تدعو إلى ضرورة تزويد الجزائر بمجلس و حكومة جزائريين، و ذلك في أول مؤتمر له في شهر مارس 1945 و الاعتراف بمصالي كزعيم للشعب الجزائري بدون منازع<sup>(254)</sup>.

يوم 08 ماي 1945 هو يوم النصر على النازية في أوروبا، و هو يوم كذلك لاحتفال في الجزائر من اجل المطالبة بالحقوق المهضومة، و دعم مطالب جمعية أحباب البيان و الحرية، التي قرر قاداتها تنظيم مظاهرات سلمية دون اللجوء إلى استعمال العنف و القوة، رفعت خلالها شعارات مختلفة مثل: " تحيا الجزائر دولة مستقلة " و " أطلقوا سراح مصالي الحاج "، و غيرها من الشعارات<sup>3</sup> استمر أعضاء حزب الشعب الجزائري في النضال السياسي في سرية أثناء الحرب العالمية الثانية، مستغلين في ذلك فرصة دخول الألمان إلى فرنسا<sup>(255)</sup>.

بادر حزب الشعب الجزائري في 08 ماي 1945، و من وراءه كل الشعب الجزائري إلى الخروج إلى الشوارع و المطالبة بالاستقلال و الحرية لكنه قوبل بالقمع و القتل، وكانت الحصيلة ثقيلة 45 ألف شهيدا، هذه الحوادث بينت للشعب الجزائري جرائم الاحتلال الفرنسي وسياسيته القمعية<sup>(256)</sup>.

و في أكتوبر 1946 ببوزريعة بالعاصمة، انشأ مع مجموعة من المناضلين حركة انتصار الحريات الديمقراطية M.T.L.D، و التي هي امتداد لحزب الشعب، و يبدو ذلك في تمسكها بالمطالب السابقة و التقدم للانتخابات، لكنها أقرت ضرورة تغيير أسلوب العمل و بالتالي استعمال كل أشكال الكفاح باستثناء السلاح، على أن لا يقتصر على الجزائر فقط بل يجب أن يمتد حتى داخل فرنسا مع التركيز على الدعاية ضد الاستعمار وسياسية الاستيطان، و تكثيف نشاطها في الأوساط الشعبية قصد توعية اكبر عدد ممكن من المواطنين لفرصتها كقوة قادرة لوحدها على قيادة الشعب<sup>(257)</sup>.

و في سبيل ذلك اعتمدت تنظيما محكما جامدا، مركزيا كان له اثر على حسن سير و توسيع قاعدتها، و اعتبارها المعبر عن مطامع و آمال الشعوب، إلا أن ذلك تسبب في تركيز السلطة في يد مصالي الحاج، هذا التركيز في السلطة لقي معارضة من قبل بعض مناضلي الحركة من أنصار القيادة الجماعية، الذي أطلق عليهم فيما بعد تسمية المركزيين، تمييزا لهم عن المصاليين، مؤيدي تركيز السلطة في يد زعيم المعركة، و بجانب الاتجاهين

253. يحي بو عزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية 1912-1948، ديوان المطبوعات، ص: 97

254. محمد العربي الزبير، الثورة في عامها الاول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 73

255. مؤمن العمري، المرجع السابق، ص: 64

256. المرجع نفسه، ص: 65

257. مصطفى الهشماوي، المصدر السابق، ص: 51

ظهر اتجاه ثالث يجد قاعدته التنظيمية في المنظمة السرية مجسدة في بعض إدارتها أمثال: بن بلة، محمد بوضياف، الحسين ايت حمد، محمد بوعرصوف، و هو الاتجاه الذي اختار العمل العسكري الثوري، و انشأ اللجنة الثورية للوحدة و العمل C.R.U.T، و التقى إدارات المنظمة السرية(258).

### 13- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين



المجلس الإداري لجمعية العلماء - 1949. (الجلوس، من اليمين إلى الشمال) أحمد بوشمال، عبد اللطيف سلطاني، محمد خير الدين، محمد البشير الإبراهيمي (نائب الرئيس)، العربي التبسي، أحمد توفيق المدني، عباس بن الشيخ الحسين، نعيم النعيمي، (الوقوف من خلف) مجهول، حمزة بوكوشة، أحمد سحنون، عبد القادر المغربي، الجيلالي الفارسي، أبو بكر الأغواطي، أحمد حماني، باعزيز بن عمر، مجهول، مجهول.

الظروف والعوامل التي ساعدت على نشأت وظهور جمعية علماء :

وبناء على رواية الإبراهيمي ، فإن ابن باديس قد زاره في سطيف ، سنة 1924 ، وأخبره بخطته في خلق جمعية للعلماء في قسنطينة ، تحت اسم "جمعية الإخاء العلمي". وأضاف ابن باديس إلى مضيفه، أن الجمعية ستوحد جهود العلماء الجزائريين و طلابهم، وإنها ستساعد على ربطهم جميعا ببرنامج مشترك . وقد شجع الإبراهيمي الفكرة. ثم عمل الرجلان على وضع خطة تتضمن الدستور ، ومكان الاجتماع ، والمديرين، بالإضافة إلى خطوات أخرى، لإعداد الاجتماع التأسيسي، وعاد ابن باديس إلى قسنطينة واستشار زملاءه ومساعديه، وعلى رأي الإبراهيمي لرحبوا بالفكرة وتبنوا الدستور المؤقت. ولكن ظروفًا جديدة طرأت فأخرت المشروع ست سنوات.

258- سعيد بو شعير، النظام السياسي الجزائري، ط 2، دار الهدى، الجزائر، 1993، ص ص: 18 19

## 1- الظروف التي نشأت فيها الجمعية:

ومن هذه الظروف نذكر ما يلي :

أولاً- مرور قرن كامل على احتلال الفرنسي للجزائر، فقد نظم الفرنسيون احتفالات ضخمة في الذكرى المئوية للاحتلال، استفزازاً للأمة، وإظهاراً للروح الصليبية الحاكمة التي يضمرونها للإسلام والمسلمين، حيث أن الفرنسيون قالوا: "إن احتفالنا اليوم ليس احتفالاً بمرور مائة سنة على احتلالنا الجزائر. ولكنه احتفال بنشيع جنازة الإسلام فيها". ثانياً- التحضير للمؤتمر الإسلامي الذي عقد في القدس برئاسة الحاج أمين الحسيني، في ديسمبر 1931م، الذي كان هدفه توحيد الصف الإسلامي بعد سقوط الخلافة الإسلامية. في تلك الظروف المفعمة بالتحديات، ظهرت جمعية علماء للوجود.<sup>259</sup>

## 2- العوامل التي ساعدت على نشأة الجمعية:

ومن هذه العوامل نذكر ما يلي :

أولاً- كان هناك تأثير الشيخ عبده (حركة الجامعة الإسلامية) ، ولاسيما فكرته عن الاجتهاد .

ثانياً- تأثير مجلة "المنار" وكتب المصلحين الدينيين ، مثل ابن تيمية ، وابن القيم ، والشوكاني (هؤلاء كلهم محل إعجاب الوهابيين أيضا) .

ثالثاً - " الثورة التعليمية " التي أحدثها ابن باديس بعد عودته من تونس و المشرق

رابعاً- الوقع النفسي للحرب على الجماهير الجزائرية ، الذي أدى إلى تدهور الاعتقادات الخرافية ، بالإضافة إلى تدهور المبادئ "المقدسة" في أعين هذه الجماهير .

خامساً- عودة بعض "أبناء الجزائر المخلصين المؤمنين " من الحجاز " منبت الإسلام ومركز النهضة الإصلاحية، وبعد أن تعلموا فكرة الإصلاح الناضجة

## تأسيس جمعية علماء المسلمين ( أعضائها / مبادئها ):

يوم الثلاثاء 17 ذي الحجة عام 1349هـ الموافق للخامس من ماي 1931م، اجتمع بنادي الترقّي بعاصمة الجزائر 72 من علماء القطر الجزائري. وغرض هذا التجمع هو تحقيق فكرة طالما فكّر فيها علماء القطر فرادي وهي تأسيس "جمعية العلماء المسلمين". فقد سلكت الجمعية طريقة الاقتراح فألقي عليها اقتراح باختيار جماعة معينة ووقع الإجماع على اختيارها، وهذه أسماؤهم: الأساتذة: عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، محمد الأمين العمودي، مبارك الملي، إبراهيم بيوض، المولود الحافظي، مولاي بن الشريف، الطيب المهاجي، السعيد الجري، حسن الطرابلسي، عبد القادر القاسمي، محمد الفوضيل اليراتني، اجتمعت الهيئة الإدارية خاصة ما عدا الأستاذين ابن باديس و الطرابلسي الغائبين، فانتخب الأستاذ عبد الحميد بن باديس(رئيساً)، والأستاذ محمد البشير الإبراهيمي(نائباً للرئيس)، والأستاذ الأمين العمودي(أمين العام)، والطيب العقبي(الأمين العام المساعد)، والأستاذ

<sup>259</sup> - أحمد الطالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1(1929-1940) و ج2(1940-1952) ، دار الغرب الإسلامي

مبارك الميلي (أمين المال)، والأستاذ إبراهيم بيوض (نائب أمين المال). وبقية الأساتذة المذكورين للعضوية و  
الاستشارة.<sup>260</sup>

من مبادئهم نذكر منها: 1/ الإسلام هو دين الله ودين الإنسانية قاطبة 2/ القرآن هو كتاب الله 3/ السنة الحقيقية هي تفسير القرآن 4/ البدعة هي كل شكل من العبادة التي ليس لها أصل في السنة 5/ محمد هو أفضل الخلق 6/ التوحيد هو أساس الدين 7/ الخلاص هو بالعمل الصالح وحده 8/ المرابطة بدعة وهي تعني استغلال الإنسان وقتل العقل... الخ القانون الداخلي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين: كان يتكون من:

- 1- نظام الجمعية وإدارتها: يعتبر هذا المبحث الفصل الأول في القانون الداخلي لجمعية العلماء، وكان يدرس الأعمال الإدارية وواجبات الأعضاء الإداريين وحقوقهم وواجبات الأعضاء العاملين وحقوقهم وكان هذا الفصل في القانون الداخلي يمتد من المادة 1 إلى المادة 54.<sup>261</sup>
- 2- لجنة العمل الدائمة: يعتبر هذا المبحث الفصل الثاني في القانون الداخلي لجمعية العلماء، وكان يتحدث عن اللجنة الدائمة ووظيفتها وأعضائها، وكان هذا الفصل في القانون الداخلي يمتد من المادة 55 إلى المادة 63
- 3- مقاصد الجمعية وغايتها وأعمالها: يعتبر هذا المبحث الفصل الثالث في القانون الداخلي لجمعية العلماء، وكان يتحدث عن قواعد العامة للجمعية، ومقاصدها الأساسية والثانوية، وبعض أعمالها التطبيقية، وكيفية تنفيذها والوسائل المساعدة في ذلك، وكان هذا الفصل في القانون الداخلي يمتد من المادة 64 إلى المادة 85.
- 4- في مالية الجمعية: يعتبر هذا المبحث الفصل الأول في القانون الداخلي لجمعية العلماء، وكان يتحدث مالية الجمعية في ما يخص مقادير الاشتراك و التبرعات وكيفية جمع المال وكيفية حفظه واستثماره؟ وفي ماذا يصرف؟، و كان هذا الفصل في القانون الداخلي يمتد من المادة 86 إلى المادة 87.

#### أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

أن الجمعية قد أسست لهدفين شريفيين، لهما في قلب كل عربي مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساويها مكانة، وهما إحياء مجد الدين الإسلامي وإحياء مجد اللغة العربية. وكما قال الإمام عبد الحميد ابن باديس مخاطبا هذا الشعب: "أيها الشعب المسلم الجزائري الكريم، تالله لن تكون مسلما إلا إذا حافظت على الإسلام ولن تحافظ على الإسلام إلا إذا فقهته، ولن تتفقه إلا إذا كان فيك من يفقهك فيه...". كما ذكر أيضا الدكتور عبد الكريم بوصفصاف في تلخيص أهدافها في هدفين رئيسيين هما: فالأول: وهو أني ويتمثل في تنقية الإسلام مما علق به من شوائب والمحافظة على الثوابت وإحيائها. كاللغة العربية والتاريخ القومي والإسلامي، بالإضافة إلى بناء المدارس والمساجد ومحاربة الآفات الاجتماعية. عن طريق نشر الوعي وذلك بواسطة الدروس و الصحافة، وبصفة عامة الوقوف ضد محاولة مسخ الشخصية الوطنية الجزائرية والثانية: وهو البعيد المدى ويتمثل في استرجاع استقلال الجزائر، وتكوين دولة عربية إسلامية. واستنادا لما أورده السيد فرحات عباس، فإن جمعية العلماء كانت ذات مهمة شاملة حيث يقول: "حملت هذه الجمعية المباركة على عاتقها عبء نهضة الإسلام ومحاربة أصحاب الزوايا والطرق المتواطئين مع

<sup>260</sup> الخطيب احمد : جمعية المسلمين الجزائريين واثرا الاصلاح في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985 ، ص

<sup>261</sup> - تركي راجح: التعليم القومي والشخصية الوطنية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981 ، ص ص 143-168

الاستعمار وتكوين إطارات اجتماعية مثقفين ثقافة عربية " <sup>262</sup>. وأن الجمعية كانت في معظم مطالبها تهدف إلى تلك الأهداف السامية وهي التأكيد على رفض الفرنسية والتمسك بالاستقلال وارتباطه بالحضارة الإسلامية والعروبة ، فبالمضايقات والقرارات التي اتخذتها السلطة الفرنسية ضد الجمعية لم تزد الجمعية إلا إصرارا على موقفها، واتخذت الجمعية شعارا لها يبين في نفس الوقت أهدافها وهو: " الجزائر وطننا والإسلام ديننا و العربية لغتنا ".

**الوسائل المستعملة في تحقيق أهدافها :**

1- الصحافة: حيث أنشأت العديد منها وهي: "المنتقد، الشهاب، الشريعة المحمدية، السنة النبوية، الصراط المستقيم وآخرها البصائر(...).

2-المدارس: وقد بلغ عددها أكثر من مئة وخمسين ( 150 ) مدرسة، ونذكر منها على سبيل المثال:مدرسة الحديث بتلمسان، مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، مدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر، ومدرسة تهذيب البنين بمدينة تبسة، وهذا إيماننا منها بدور المدرسة على حد تعبير الشيخ الإبراهيمي "المدرسة جنة الدنيا وكل شعب لا تبني له المدارس تبني له السجون" <sup>263</sup>.

3- المساجد: ونذكر من هذه المساجد على وجه الخصوص: مسجد الجامع الأخضر، مسجد سيدي لموش، مسجد سيدي عبد المؤمن، والمسجد الكبير.

4- النوادي: قامت الجمعية بتكوين نوادي ذات طابع إسلامي، كان الهدف منها ضم وجمع تلك الفئات التي لم تعرف طريقها إلى مدارس الجمعية ومساجدها حيث كانت هذه النوادي تؤدي دورها في نشر الوعي والثقافة، لتسهيل عملية الاتصال بين الشباب وكان أشهرها "نادي الترقى" بالعاصمة الذي كان مثالا للتوجيه ورسالة للإصلاح <sup>264</sup>. وكما يقول أحد المؤرخين: " وتحت ستار التعليم الديني وتأسيس النوادي الثقافية.

### **دور جمعية العلماء المسلمين :**

أ- **داخليا/دور الجمعية في الحركة الوطنية وثورة التحرير** : يمكن القول أن الجمعية مهدت الأرض للانطلاق الثورة، وذلك بجهودها في التعليم ونشر اللغة العربية، وإيقاظ الجزائريين في كل مكان، والتصدي بحزم لكل ما من شأنه تدمير الوجود المستقل للجزائر، ويكفي أن نقول في هذا الصدد أن 70 ألف طالب كانوا قد يتخرجون من مدارس الجمعية، وقد كانوا هم بالتحديد قيادات الثورة وعناصرها النشيطة. وفي ذلك يقول الدكتور أبو الصفصاف عبد الكريم – في رسالة للدكتوراه - : "إن جمعية العلماء هي التي أخرجت الجزائر من عزلتها الثقافية وأعدت ربطها بالأمة الإسلامية وحطمت المقولات التي خلقها الاستعمار وعمدت على إحياء اللغة العربية و التاريخ الوطني، وطهرت الإسلام من الشوائب التي علقت به ووحدت الشعب الجزائري تحت راية الإسلام ، وأحبطت حركة الاندماجين الرامية إلى ربط الجزائر بفرنسا بواسطة جنسية المستعمر ولغته، وكونت الإطارات المخلصة التي فجرت ثورة

<sup>262</sup>- محمد البشير الإبراهيمي(محرر): سجل المؤتمر الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1935)، المطبعة الإسلامية الجزائرية ، قسنطينة 1935.ص 234

<sup>263</sup>- نفس المرجع ، ص 178

<sup>264</sup>- أحمد توفيق مدني: حياة كفاح(مع ركب الثورة التحريرية)، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت. ص76

1954،<sup>265</sup> وكانت الدعامة الأساسية لعملية التعريب بعد أن استردت الجزائر سيادتها الوطنية سنة 1962 ويصف

الدكتور محمود قاسم في كتابه "الإمام عبد الحميد بن باديس" بأنه الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية". كما وشاركت الجمعية بواسطة جريدة البصائر في إظهار أساليب الوحشية لقمع حركة الثورة بواسطة الإرهاب والبطش و الزجر والتنكيل والاعتداء على الحريات الفردية و الجماعية وسجن الآلاف من أحرار البلاد، كما كانت توجه للأمة كلمة طيبة تستحثها فيها على التماسك و التكتل و الوحدة المطلقة في سبيل الدفاع عن حريتها المنتهكة وحقها المغتصب وكرامتها المهذورة و حياتها التي أهينت، وأن النصر و الصبر الجميل قريب و ساعة الفرج قريبة بحول الله.

#### ب- خارجيا / دور الجمعية في قضايا العالم الإسلامي :

دورها في قضية المغرب الأقصى: كانت جمعية العلماء المسلمين في الجزائر، وكانت صحيفتها البصائر أكثر الهيئات اشتغالا بقضية المغرب الأقصى الشقيق، وأمعتها دفاعا عن حقوقه، وأكثرها صرامة في كشف المؤامرات الخبيثة القذرة التي دبرتها الإقامة العامة الفرنسية بالرباط، و جرت خلفها جماعة من أوباش الرجعيين، وأنداس النفعيين، فيقول أحمد توفيق مدني: " فكننت في البصائر أكشف الستر عن خباياهم وخفاياهم في قسم: منبر السياسة العالمية الذي كنت أمضيه: أبو محمد. حتى إذا اقتروا إثمهم العظيم، و نفذوا مكيدتهم اللئيمة، فأبعدوا سليل الأشراف عن أشرف ملكه، و حولوا بينه وبين عرشه، قدمت احتجاجا صارخا ملتبها باسم الجمعية، تجدون نصه في أواخر الجزء الثاني، وشحذت قلبي وأمضيت عزيمتي واندفعت أكاد أقول جبارا في ميدان الدفاع الشريف، عن حق شريف وملك شريف".<sup>266</sup>

دورها في القضية الفلسطينية: لم تقتصر جهود العلماء على الاهتمام بقضايا الشعب المسلم في الجزائر بل اهتمت بأوضاع المسلمين عامة في مشارف الأرض ومغاربها\_ وخاصة القضية فلسطين\_ فقد قامت الجمعية بالدعوة إلى إنشاء " لجنة إعانة فلسطين " وترأس تلك اللجنة الشيخ أحمد الإبراهيمي رئيس الجمعية نفسه واستطاع الإبراهيمي أن يوسع قاعدة تلك اللجنة، وأن يقوم من خلالها بالاتصال بالجامعة العربية لتدعيم ومساندة الشعب الفلسطيني سنة 1948. ودعا الشيخ الإبراهيمي من خلال تلك اللجنة جميع مسلمي العالم بالكفاح ضد الإمبريالية والصهيونية وأن تقدم الاحتجاجات على ما حدث في فلسطين إلى الهيئات الدولية وبالطبع لم يقتصر نشاط اللجنة على ذلك فقط. بل قامت بإرسال عدد من المجاهدين الجزائريين إلى فلسطين للمشاركة في القتال ضد الصهيونية. وكذلك تم إرسال مبلغ أربعة ملايين فرنك ثم ثلاثة ملايين فرنك أخرى لدعم الجهاد الفلسطيني.

ومن أقوال الشيخ الإبراهيمي في الدفاع عن القضية الفلسطينية: " أيها العرب – أيها المسلمون – إن فلسطين وديعة محمد عندنا – وأمانة عمر في ذمتنا – وعهد الإسلام في أعناقنا – فلئن أخذها اليهود منا – ونحن عصابة – إذا نحن خاسرون". ويقول أيضا: " أيها الضانون أن الجزائر بعراقتها في الإسلام والعروبة تنسي فلسطين أو تضعها في غير منزلتها التي وضعها الإسلام من نفسها- لا والله ويأبي لها ذلك شرف الإسلام ومجد العروبة ووشائج القربى- إن الاستعمار يريد أن يباعد بين أجزاء الإسلام لكيلا تلتئم – وهيئات لما يروم"<sup>267</sup>.

<sup>265</sup> -الجزائر أحمد محمود: الإمام المجدد ابن باديس و التصوف ، الناشر بالإسكندرية ابريل 1999، ط1.ص 156

<sup>266</sup> -نفس المرجع ، ص 222

<sup>267</sup> - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ، ج1 و ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت-لبنان 1992، ط، ص 244

## الصعوبات والمعوقات التي واجهتها الجمعية:

أ- من الطرف الجزائري : الصعوبات التي واجهها العلماء هو اصطدامهم بالمرابطين واصطدموا أيضا بخريجي المدارس الفرنسية وبالنواب. فالأولون كانوا ينظرون إلى العلماء على أنهم رجال دين أكثر منهم رجال ثقافة. أما المتطرفون من خريجي المدارس الفرنسية (النخبة) فقد كانوا ينظرون إلى ثقافتهم على أنها هي ثقافة العصر، وإن الحياة تقضي الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة وتقليد الفرنسيين ولو بواسطة الاندماج والتجنس. ولذلك وقع التصادم أحيانا وإن كان تصادمًا أقل وقعا من التصادم الذي حدث بين المرابطين والمصلحين. وأهم قضية عارضها العلماء بشدة هي المرابطة. كانوا يعتبرون الجمعيات الطرقية معارضة للدين والتقدم. وبناء على رأي أحد العلماء، فإن المرابطة جاءت نتيجة تدهور الإسلام وانتشار الغموض. وكان زعماء الجمعيات الطرقية قد اتهموا بجهل القرآن، واستغلال الشعب وخدمة الاستعمار (1). فقد كتب الإبراهيمي ذات مرة قائلا: "إن المرابطة هي الاستعمار في معناه الحديث المكشوف، وهي الاستعباد في صورته الفظيعة" (2). لذلك أعلن العلماء الحرب على المرابطة تحت راية: "لا غموض في الإسلام" لأنها "هي سبب الفساد والأمراض، والانحراف الديني، والجهل، والإهمال في الحياة، والإلحاد بين الشباب" 268.

ب- من الطرف الفرنسي: فقد أصدر وزير الداخلية الفرنسي في شهر مارس 1935 قرارًا يقضي بقمع الدعاية المضادة للسيادة الفرنسية في الجزائر وخاصة عن طريق الصحافة والخطابة التي تقوم بها عناصر الجمعية. وفي 8 مارس 1938 صدر قرارًا من الإدارة الفرنسية بعدم جواز افتتاح المدارس العربية التابعة للجمعية وقد وصف عباس فرحات هذا القرار: " بأنه ضربة قاتلة للدين الإسلامي"، وفي نفس سنة أصدر الوالي العام في الجزائر منشورا إلى رؤساء الأقاليم يقضي بإلقاء القبض وسجن كل طالب ينتسب إلى جمعية العلماء أو قيامه بالدعاية لأفكارها. ولعل أخطر القرارات في محاربة نشاط الجمعية كان قرار عرقلة التعليم العربي الحر الصادر في 8 مارس 1938، وكذلك اعتقال الشيخ الإبراهيمي لرفضه تأييد فرنسا ضد الألمان في الحرب العالمية الثانية وكذلك فرض الإقامة الجبرية على الشيخ ابن باديس نفسه لذات السبب، كما سجن من زعماء الجمعية لنفس السبب الأمين العمودي وفرحات الدراجي، كما عطلت جريدة الشريعة والسنة المحمدية وكما تم إيقاف جريدتي البصائر و الشهاب سنة 1939 وهما جريدتان تابعتان للجمعية.

وخلاصة القول أن جمعية العلماء المسلمين كانت عبارة عن تيار إصلاحى اجتماعي تربوي، ركزت جهودها على الدفاع عن الشخصية الجزائرية وعروبته وإسلامها والمحافظة على قيمتها الروحية والتاريخية، وكان ذلك بمثابة الأرضية التي تشكلت عليها ملامح النضال السياسي والعسكري، الذي مارسه الجيل الذي فجر الثورة التحريرية الكبرى التي حررت الوطن والشعب من سجن الاستعمار الفرنسي البغيض 269.

بالإضافة إلى ما قامت به الجمعية هو جعل القضية الجزائرية محط أنظار العالم عامة والمسلمين في مختلف البلاد خاصة، فبفضل مجهود رجال الجمعية تلقى الجمعية الدعم من الحركات الوطنية والإسلامية في العالم الإسلامي، وأصبحت الدعاية لها في صحف العالم الإسلامي كبيرة ومتواصلة. وكذلك على الجانب الآخر فإن

268- نفس المرجع، ص 278

269- نفس المرجع السابق: ص 298

الجمعية ساهمت في زيادة اهتمام الشعب الجزائري بقضايا العالم الإسلامي عموماً مثل الاهتمام بقضية الشعب الليبي ضد الاحتلال الإيطالي وبثورة سوريا ضد الفرنسيين و بكفاح الشعب الفلسطيني ضد الإستعمار الصهيوني وغيرها...

#### 14- الحزب الشيوعي الجزائري

بدأت فكرة الشيوعية بالتسرب إلى الجزائر منذ الحرب العالمية الأولى حيث عثر على منشورات الانضمام للحركة الشيوعية العالمية في منطقة القبائل وبعض المناطق الأخرى كما أن هناك عدة أمثلة تدل على التعاون الشيوعي الإسلامي في الجزائر على حد تعبير وورثام سنة 1922 حيث أن "بروليناريات" إفريقيا الشمالية قد أرسلت مندوبين إلى المؤتمر الذي انعقد في مدينة "تور" حيث انضموا إلى الحركة الشيوعية العالمية كما قام الحزب بنشاطات حثيثة في الجزائر لخلق حزب شيوعي جزائري، حيث بدأ حمل لتجنيد الجزائريين في صفوفه وكان من المجندين: حاج علي عبد القادر ومحمد الأكل، كما استعملوا أيضاً المناشير والإعلانات إضافة إلى الصحافة لنشر أفكارهم بين الجزائريين غير أن الحزب الشيوعي لم يولد إلا بعد سنة 1935<sup>270</sup>.

حيث بدأت بوادر تأسيسه أولاً عام 1931، وقد أقره الحزب الشيوعي الفرنسي بهدف توقيف الأحزاب الوطنية في الأقطار والمستعمرات الخاضعة للهيمنة الفرنسية والتي بدأت تبتعد عن الحزب الشيوعي الفرنسي وأعضائه يحملون بقصد نيل الاستقلال والانفصال عن فرنسا، حيث قام مصالي الحاج بالانفصال عن الحزب الشيوعي الفرنسي، وأكد ذلك بقوله لأعضاء حزبه "إننا تركنا الشيوعية الموت وتمسكنا بالوطنية التي هي رمز الحياة"<sup>271</sup>.

فأجريت إثر ذلك انتخابات الولائية لتمكين الشيوعيين الجزائريين من الإعلان عن سياستهم التي أصبحت أحسن مما سبق رغم أنها أقرب للأوروبيين وقد تخلصت مطالبهم المعلن عنها في برنامج الحزب الانتخابي فيما يلي:

-إلغاء قانون "لا ند يجينا" والعمل على المساواة في الحقوق السياسية والنقابية على فصل الدين الإسلامي عن الحكومة وكذا المطالبة بحرية الصحافة والهجرة للعمل في فرنسا ...

-الدفاع عن العمال ومطالبهم، الفلاحين الصغار والخماسيين وعن صغار الصناع والتجار وكذا ضد الضرائب المجحفة في حقهم.<sup>272</sup>

كما عقد الحزب الشيوعي الفرنسي مؤتمراً سنة 1935 بزعامة "توريز" مدينة "فيلريان"، تم اعتبار نهاية 1935 تاريخ الظهور الفعلي للتيار الشيوعي الجزائري بفعل تبوء بعض العناصر الجزائرية لمواقع قيادية هامة<sup>273</sup>، حيث سعى الحزب الشيوعي لكسب أنصار جدد من الجزائريين وأقام حزبا شيوعيا خاصا بالجزائر ينفصل انفصالا شكليا عن قيادة الحزب في باريس، وكان من مؤسسيه "عمار أوزقان" وعلي بوقرط.

<sup>270</sup> - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص 332،334 .

<sup>271</sup> - بوحوش عمار: مرجع سابق، ص 282 .

<sup>272</sup> - بن عقون عبد الرحمان بن إبراهيم: الكفاح القومي والسياسي (1920-1936)، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984م، الجزائر، ص93 .

<sup>273</sup> - خيثر عبد النور: مرجع سابق، ص 284،285

وقد عقد الحزب مؤتمره التأسيسي الأول في الجزائر العاصمة في نفق أرضي بباب الوواد وذلك في شهر جويلية 1936 ثم شرع بعد ذلك في إنشاء فروعه على مستوى مناطق الجزائر وأسس جرائد باللغتين العربية والفرنسية منها "الجزائر الجديدة" l'Algérie nouvelle "الجزائر جمهورية" l'Algérie republicable "الحرية Liberté" وجريدة الكفاح الاجتماعي la lutte social<sup>274</sup>

وقد كان الحزب الشيوعي مشكلا في أغليته من الأوروبيين، بالإضافة إلى مناضلين جزائريين ورغم ذلك فقد كان نشاط هذا الحزب موجها للفئات الأوروبية من المستوطنين ولم يكن له أدنى قبول لدى الفئات الشعبية الجزائرية، وربما يعود ذلك إلى كرههم وعدم تقبلهم الفكرة الشيوعية المتعارضة مع العقيدة الإسلامية.<sup>275</sup>

ولقد تحولت الفدرالية الشيوعية إلى حزب شيوعي تشجيعا لانخراط المسلمين فيه لكنه بقي تابعا للحزب الشيوعي الفرنسي وخاضعا للوصاية الخارجية وتركزت مطالبه حول: قيام ثورة للفلاحين ضد الإقطاع والامبريالية، تجاهل قضية تحرير الجماهير من الاستعمار وهذا ما جعله معزولا عن الجماهير ولا يحظى بتأييدها، غير أن الحزب انخرط في الحياة السياسية بعد فترة من تشكيله، وتمكن بفضل قواده من التقرب إلى بقية الأحزاب والقوى السياسية في الجزائر عكس تجربة الفدرالية الشيوعية الجزائرية، حيث كان وسيطا بين تيارات الحركة الوطنية والإدارة الاستعمارية 1936، وكان ذلك بعد وصول الجبهة الوطنية إلى الحكم في فرنسا وتزامن ذلك مع تواجد الحزب الشيوعي الجزائري في تجمع المؤتمر الإسلامي (1936-1937) فتقرب إثر ذلك من المنتخبين المسلمين ومن جمعية العلماء المسلمين، وفي المقابل قاطع الحزب الشيوعي حركة مصالي ووصفها بالشغب والعمالة للفاشية الدولية.<sup>276</sup>

من أبرز الحركات الوطنية في الميدان التربوي والديني والثقافي، وحق السياسي ظهرت في تلك الفترة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست في 5 ماي 1931 بعد أن بلغ عمر الاستعمار الفرنسي في الجزائر قرنا كاملا . ويعود سبب تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931 بسبب احتفال الفرنسيين في فرنسا بقرن من الاحتلال الفرنسي للجزائر .

لذلك جاءت المناسبة لإرضاء الشعب الجزائري وعدم شعوره بالحرقة أمام احتفال الفرنسيين بمائة سنة من الاحتلال . لم تنشأ جمعية العلماء المسلمين الجزائرية هكذا فلقد كان لها هدفها وبرنامجه وأسسها الداخلية لتسيير بقاء وصمود برنامج الجمعية أمام تلك الظروف .

<sup>274</sup> - مومن العمري: المرجع السابق، ص46

<sup>275</sup> - ben khadda.ben youcef :les origines du 1er novembre.1954.édition dahlab.1989.P56.

<sup>276</sup> - خيثر عبد النور، مرجع سابق، ص ص 290،291 .

من اليسير أن تثبت أن الجمعية لها نشاطات في الميدان التربوي والديني والثقافي لكن من العسير أن تثبت أنها قد خاضت الأمور السياسية، ولتثبت هذه الحقيقة لا نبتعد كثيرا عن برنامجها الواضح (الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا) فالاعتراف بأهمية العلماء في إظهار ولادة عمل جديد ساعد على خلق حدث تاريخي في الجزائر وفي بلدان تعتبر الإسلام سندا قويا لبعث قوة الثورة، حقيقة أكيدة .

واستكمالا لمشروع الجمعية بإحداث قومية عربية، كانت لها مشاركات فعالة في تبليغ صوت الأمة الجزائرية العالمي الشرق والغرب، والإعراب عن رغباتها ومطالبها عن طريق زعمائها في جلب الدعم العربي للثورة التحريرية من خلال علاقاتهم الواسعة داخليا وخارجيا في العالم العربي والإسلامي. إن أهمية اللغة والإسلام في الثورة، جعل من العلماء بمثابة رسل لها، وإذا لم يتحمل الإبراهيمي أولوية جبهة التحرير، فإن الوتيلاني والمدني هما السباقيين للوقوف معها وبذلك نقول أن كل من يخرج من المدرسة البادسية كان حقا رمزا للثورة .

-\*الحاج علي عبد القادر ولد في دوار سعادة فرقة أولاد سيدي ونيس قرب غليزان كان عصاميا تعلم بنفسه وأنشأ متجرا للآلات الحديدية بمعسكر هاجر إلى باريس بين 1905 و 1910، دخل الحزب الشيوعي الفرنسي وأصبح عضوا في الإدارة ورئيسا لإحدى خلاياه، كان خطيبا باللغتين، وقدرته وجه وطلب منه أن يدخل معه إلى الحزب الشيوعي ليكون سندا له فرفض مصالي العرض، بقي دائم الصلة مع مصالي بعد خروجه من الحزب الشيوعي ومن النجم سنة 1929، شارك سنة 1933 مع منصور في لجنة الدفاع عن الجزائريين التي كانت تضم التجار المهاجرين وكانت تدعو إلى الاندماج توفي في باريس في ماي 1949 على الأرجح، وقد كان من الناحية التجارية ناجحا وكان من أثرياء المهاجرين

## 15- مشروع بلوم فيوليت 1919

موريس فيوليت\* على رأس الولاية العامة:

موريس ، ليس بالشخصية المجهولة في الجزائر فقد كان واليا عاما بها وهو عضو بمجلس شيوخها وهو رئيس حزب الاشتراكي واتباعه كثيرون له العديد من الموافق في ميدان المطالبة بحقوق الشعب الجزائري انه الرجل الذي دافع عن الجزائريين وقد جاء في مجلة الشهاب انه الرجل الذي دافع عن الجزائر دفاع الابطال وبعث في أنفس رجال السياسة الهمة والعزم وأظهر ما تعانیه من مشاكل وما يريده الجزائريين من حرية وعدل ومن بين مؤلفاته: هل تعيش الجزائر ومن جهة أخرى مارس سياسة إضطهادية تعسفية خاصة على الحركة الوطنية حيث شل نشاطه وطارده ممثلها أثناء عهد إدارته بالجزائر في سنة 1936م عينته الجبهة الشعبية في فرنسا عضوا في حكومتها ومختصا بالشؤون الجزائرية لتجربته في الجزائر ومعاصرتة لذكرى الإحتلال وحرمة على أن لا تضيع الجزائر من فرنسا كما

---

\*موريس فيوليت : صاحب المشروع المشهور ،ينتمي الى الحزب الاشتراكي الفرنسي ،حكم الجزائر من (1925-1927)، واصبح نائبا في مجلس الشيوخ بعد استقالته من منصب الحاكم العام ، كتب حول الجزائر كتابا بعنوان "هل تعيش الجزائر" ورغم معارضته لسياسة استبعاد الجزائريين الا انه اضطهد الحركة الوطنية الجزائرية ونفى زعمائها ، انظر : محمد حمزة ، مواقف ابن باديس السياسية من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931-1940 ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، المدرسة العليا للاساتذة ، الجزائر ،بوزريعة ،2000-2001 ،ص 58

ترأس لجنة من مجلس الشيوخ الفرنسي من أجل دراسة الأوضاع الجزائرية وتقديم بعض الإصلاحات التي يجب إدخالها وفعلا قدمت اللجنة المشروع الذي أصبح منذئذ يعرف بمشروع فيوليت، وقد جاء هذا المشروع في ظروف مزرية ولا بد لفرنسا الإسراع بإجراء تغييرات في سياستها بالجزائر حيث قال: " إذا استمرت بدون تغيير فستشكل خطرا على مستقبل إمبراطوريتنا"<sup>277</sup>.

## - المشروع:

### الدوافع السياسية:

مما دفع حكومة بلوم لتحقيق هذه الإصلاحات هي:

كثرة الإضرابات التي واجهتها الجزائر ما بين 1935-1936م فعندما تسلمت الجبهة الشعبية الحكم في شهر جوان نشئ العمال الجزائريون عددا من الإضرابات في المعامل والمصانع والشركات التي يسيطر عليها كبار المعمرين بهدف تحقيق المساوات بينهم وبين زملائهم الفرنسيين في رفع الأجور<sup>278</sup>.

ففي 11 جوان 1936م إضطرب عمال سيدي موسى و13 من نفس الشهر ببئر توتة و15 في برج الكيفان حسين الداوي وبئر خادم وفي 16 حدث الإضطراب في شطاوالي كما شهدت لسنة 1935 العديد من الإضرابات الخطيرة في كل من الجزائر ومستغانم قام بها عمال الموانئ إحتجاجا على البطالة وقد إشتراك فيها على الأقل 3000 شخص، كما حدث إضطراب خطير في سيدي بلعباس جرح فيه حوالي 40 شخصا وسطيف ووهران بسبب بلعباس جرح فيه حوالي 40 شخصا، وسطيف ووهران بسبب مشادات بين اليمينيين الشيوعيين وإشتراك فيها الجزائريين.

وعليه فقد سجلت لسنة 1936 حوالي 288 إضراب بمشاركة 69523 مضرب ومنها 220 إضراب شارك فيه حوالي 52885 مضرب، كما سجلت قسنطينة في 1936 عشرة إضرابات.

هذه الأخيرة على الرغم من أن سببها المباشر لم يكن سياسي إلا أن أهدافها وتطورها كان سياسيا، حيث أصبح الجزائريين في منتصف الثلاثينات أكثر وعيا من قبل وأكثر معرفة بحقوقهم السياسية وحياتهم.

وعليه فإن هذه الأحداث التي حدثت بين سنتي 1930 و 1935 جعلت بعض الفرنسيين يتخوفون من الجزائر بين الموالين لفرنسا يصبحون بعد خمس سنوات أي في سنة 1936 يشكلون خط على فرنسا بالإضافة إلى أن فرنسا لم تعرف مثل هذه الأحداث منذ ثورة عين توتة 1915 وماكامهون في 1916م.

وعليه يمكن القول أنه من بين ما دفع حكومة بلوم إلى تحقيق بعض الإصلاحات المعروفة بإصلاحات بلوم فيولت هي كثرة الإضرابات والإضرابات في هذه الفترة.

### الدوافع الاقتصادية والإجتماعية:

كانت الظروف الاقتصادية والإجتماعية في سنوات 1930 و 1936 أي قبيل صدور المشروع في حالة سيئة زادت تأثيرا على الرأي العام الجزائري<sup>279</sup>.

فمن الناحية الاقتصادية تتمثل في مخلفات أو نتائج الأزمة الاقتصادية العالمية 1929م والتي لم تنجوا الجزائر من

<sup>277</sup> -سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج 3 ، المرجع السابق ، ص ص 30-31

<sup>278</sup> - محمد مبارك الملي ، المؤتمر الاسلامي الجزائري ، د.ط ، دار هومة ، الجزائر ، 2007 ، ص 341

<sup>279</sup> - الخطيب احمد : حزب الشعب الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 ، ص ص 154- 198

آثارها وانعكاساتها، حيث أصابت هذه الأزمة الصادرات المنجمية الجزائرية فتراجعت بنسبة 30 إلى 40% عام 1931م، مما أدى إلى تسريح 5000 من عمال المناجم وانهيار المواد الصناعية، والقضاء على الصناعات التقليدية التي كان يعيش منها الحرفيون الأحرار كصناعة النسيج والجلود والأحذية لكل من تلمسان وقسنطينة بالإضافة إلى ارتفاع أسعار المنتجات وارتفعت معها الضرائب التي كانت محل جدال كبير بين الأحزاب والكتل الفرنسية مما جعل فرنسا تضع برنامجا ماليا يحتاج إلى نحو 10 ملايين فرنك، نصفها<sup>280</sup> ضرائب مفروضة على الشعب الجزائري، كما أثرت هذه الأزمة على أهم القطاعات بالجزائر ألا وهو القطاع الفلاحي حيث إنخفض إنتاج الحبوب في قسنطينة بنسبة 1/3% وإنتاج المواشي 1/3% في الوقت الذي ارتفعت فيه الضرائب بنسبة 41%.

كما انفرد المعمرون بالإستقلال المالي للجزائر بمقتضى قانون 19 ديسمبر 1900 الذي مكنه من التصرف المطلق في خيرات الجزائر الإقتصادية والسطحية والباطنية، والبرية والبحرية بالإضافة إلى إرهاب الجزائريين بالضرائب الباهضة التي لا تناسب إمكانيتهم المادية، بالإضافة إلى مصادرة الأراضي العقارية بمختلف الوسائل فأصبحت طبقة الفلاحين بضرر شديد، أما من الناحية الإجتماعية فقد انخفضت مستوى معيشة السكان وارتفعت الأسعار مما أدى إلى إنتشار الفقر والمجاعات والأوبئة والأمراض.

وفي مقابل هذا ظهرت خلال هذه الفترة نهضة فكرية أدت إلى ظهور صحافة وطنية نشطة لعبت دورا هاما في رفع الوعي الفكري والسياسي والإقتصادي والإجتماعي للمجتمع الجزائري كما ظهرت نوادي وجمعيات ثقافية خلفت نشاط سياسيا واسعا والتمثل في المحاضرات والدروس والمهرجانات والذي أدى بظهور النخبة على إختلاف ثقافتهم تحملوا عبئ الكفاح السياسي بمختلف أشكاله وأساليبه ومفاهيمه.

### 3- ردود الافعال على مشروع بلوم فيوليت:

#### -حزب الشعب الجزائري:

في الوقت الذي كانت فيه معظم جماهير الشعب تتابع الصخب الذي أحدثته تلك الإصلاحات حول مشروع فيولت وتضاعف نشاط الإصلاحيون في الإنتخابات بهدف بعث المؤتمر الإسلامي والمطالبة بتطبيق سياسة الإندماج كان شعار حزب الشعب الجزائري الاستقلال، ففي المؤتمر الإسلامي الثاني جويلية 1937 ذكر مصالي الحاج بسياسة الحزب التي تركزت منذ نشأتها نجم شمال إفريقيا 1936 على المحافظة على الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية لأنها من المطالب التي لا يمكن للشعب الجزائري الاستغناء عنها، ومن هنا جاءت معارضة الحزب لهذا البرنامج. أما عن الأخطار الناجمة عن هذا المشروع بالنسبة للحزب يتمثل في ذوبان الأمة الجزائرية في الأمة الفرنسية وإضمحلها بكل ما تحمله من دين وتراث وحضارات وعادات<sup>281</sup>.

وحسب شارك روبير فإن هذا البرنامج يرمي إلى تفكيك المجتمع الإسلامي يخلق أقلية من ذوي الإمتيازات. وفي هذا يقول أحمد محساس على لسان الحزب إلى ضرورة تقريض عظمته لأنه يقضي على العربية الوطنية، حيث كان هذا الحزب في العديد من الإجتماعات التي سبقت انعقاد المؤتمر الإسلامي من يشن هجمات على هذا المؤتمر

<sup>280</sup>-احمد توفيق المدني،: مذكرات حياة كفاح، ج 3، د، ط، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص 11

<sup>281</sup>- المرجع السابق، سعد الله ابو القاسم، ج 3، ص ص 29-43

مسقطين عنه الاسلام.

وكانوا مناضلوا يتدخلون في أغلب الاجتماعات للمطالبة بمواقف واضحة مواصلين عملهم بالرغم من طردهم واقصائهم الدائم من هذه الاجتماعات<sup>282</sup>.

لهذا قال الحزب: "لا يمكن أن نخيب امال المسلمين بعد خيبة 1919.

### -كتلة النواب المنتخبين:

عن موقف كتلة النواب المنتخبين يقول أبو القاسم سعد الله أنها وقفت إلى جانب هذا المشروع وأيدته منذ صدوره، وقد ظهر جليا في المؤتمر الإسلامي 1936م بالإضافة إلى أنه عندما بدأ الضغط على الجبهة الشعبية الفرنسية لكي تتراجع عن هذا المشروع من طرف شيوخ البلديات الفرنسيين بالجزائر عام 1937م تحركت كتلة النواب في وهران كما عقدوا إجتماعا لهم لهذا الغرض وأصدروا لائحة وبعثوا بها إلى الوزير الأول ليون يلوم والسيد فيوليت وإلى وزير الداخلية والحاكم العام معلنين تأييدهم المطلق لهذا المشروع، كما أصدرت في كل من الجزائر وقسنطينة لائحتين: الأولى بتاريخ 12 جانفي والثانية في 15 منه لسنة 1937، ونشطوا أيضا خلال نفس العام مؤتمر من أجل الدفاع عن المشروع بالإضافة إلى التجمعات والوقود<sup>283</sup>.

ومن ذلك وفد برئاسة السيد محمد الصالح بن جلول يوم 05 مارس إلى باريس واستقبل من طرف وزير المستعمرات وعدهم بتنفيذ المشروع ثم عاد هذا الوفد في سنة 1937م للدفاع عن شرعية مطالبهم فاقتنع الوزير بتلك الحجج لكنه اعترف لهم بتكالب الإقطاعية الاستعمارية التي وقفت ضده والذي وصفهم حسب فرحات عباس بأن "لا عقل لهم وما هم إلا بطون منتفخة"

### -جمعية العلماء المسلمين:

لقد قاوم الشيخ ابن باديس وأنصاره العلماء أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي مشروع بلوم - فيوليت على الرغم من أن ابن باديس أطلق على صاحبه وصف "الرجل العظيم" الذي لم ينسى فضله والسبب في هذه المقاومة يعود في نظرهم الى ان المشروع يفتقر الى التسوية "المساواة في الحقوق" لا بين طبقات المثقفة للاندماج، مع السكوت التام عن الدين واللغة"  
اما الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان معاصرا ومشاركا في الحديث فيرى بأن الرأي العام عند النخبة المثقفة وعند الخاصة فان مشروع فيوليت معروفا بشهرة صاحبه وليس بمعرفة محتواه لهذا كان من رأي الابراهيمى هو عدم الانحياز الى المشروع ومن الأفضل حسب رأي وضع برنامج مستقيل مستوحى من الظروف الجديدة ومن حاجة الشعب<sup>284</sup>.  
وفي هذا قال الابراهيمى مدليا بخطاب عن المشروع:

أي أبنائي ! إني انا الام الولود المنجبة.

للطرف الغر الحسان المعجبة.

فلم غدت محاسني محجبة.

"ولدت، المياميين ! من أباتكم الأوليين، فأوسحوني برا ونعومة وكافئوني وفاء واحسانا وفد علي الاسلام فكنت له

<sup>282</sup> - صلاح العقاد : المغرب العربي " الجزائر ، تونس،المغرب الاقصى " ط3،مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1969، ص 122

<sup>283</sup> -المرجع نفسه، ص 38

<sup>284</sup> - محمد دراجي : الاسلام في الجزائر في عهد الاستعمار ، "مواقف الامام الابراهيمى " د.ط.دار الافكار للنشر ، الجزائر 2007،ص

حصنا، ووفدت معه اللغة فقلت لها حسنا، ثم اتخذتهما مفخرتي دهري ... وأقسمت أن أتقلب بها طول عمري.  
... "أنا الأم ومن حق الأم أن تسمي ولدها وقد سميتكم العرب المسلمين، وأشهدت للتاريخ فسجل فلستم مني إن بتبديل الاسم أو تفويق المسمى"

كما أبدى الشيخ عبد الرحمن الشيبان رأيه في جمعية العلماء المسلمين بمناسبة تقديم الأستاذ محمد الميلّي كتابه الجديد "المؤتمر الإسلامي" حيث يرى أن هناك من يعيب على جمعية علماء المسلمين لأنها اشرفت على تنظيم المؤتمر الإسلامي الذي نظم إثر نجاح الجبهة الشيعية عام 1936<sup>285</sup>.

معتبرين أن الجمعية قبلت وتبنت مشروع الذي جاءت به الجبهة الشعبوية وهو مشروع بلوم فيولبت الباعي إلى اندماج الشعب الجزائري في الأمة الفرنسية، غير أن الموضوع عكس ذلك تماما حيث أن جمعية علماء المسلمين تولت مهمة الاشراف عليه حتى تمنع تمديد هذا المشروع عن طريق بعض النواب ورجال الأحزاب الذين كانت الجمعية تخشى أن يسيطر على مصالحهم السياسية تحت ضغوطات المحتل الفرنسي، وفي هذا يقول الشيخ عبد الرحمن شيبان قوله تعالى: "يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير"، وعليه فحسب ما أورد الشيخ فإنما وقفت سدا منيعا ضد هذا المشروع الإندماحي.

ثم يقول بأن هذا القول ليس رأيه وإنما هو حكم بناء على نصوص صدرت عن جمعية العلماء المسلمين الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله<sup>286</sup>.

#### -جمعية الزوايا والطرق الصوفية:

وهي الحركة الدينية ذات التوجه الصوفي والمحافظة على اصول التشريع الإسلامي الكتاب والسنة والإجماع والقياس على مذهبي الامامين الأشعري والماتريدي.

قامت هذه الجمعية بعقد مؤتمرها باسم مؤتمر الزوايا ورؤساء الطرق الصوفية بتاريخ 7 فيفري 1937 الموافق ل 26 ذي القعدة 1355 هـ بمناسبة تنظم الوفد السنوي لزيارة صاحب الطريقة الشيخ محمد بن عبد الرحمن دفين مدينة الجزائر، حيث أصدرت بيانا خصيصا للموضوع والذي يعلن قبول البرنامج ويشكر صاحبه على خطوته التي قام بها، كما تكلم في هذا الاجتماع أيضا أحد الخطباء أن موريس فيوليت صديق كبير للمسلمين، وأن الوعود الحكومية قد فتحت بابا للمسلمين الذين يعلقون عليه آمالا كبيرة.

ابتدأ الخطبة رئيس المؤتمر مصطفى القاسمي الصائغني مدير مدرسة السلام بقسنطينة وختم هذا الأخير خطابه بقوله "إنه أشيع أننا أقمنا المؤتمر ضد برنامج فيوليت، وإنما نؤكد وندقق أننا جميعا من أضياع هذا المشروع، فأجاب الحضور نعم"

كما وقعت في الاجتماع معارضة شديدة من بعض العلماء المحافظين والذين يرون وجوب رفض برنامج فيوليت ما دام يشترط الجنسية الفرنسية ويقولون إن الذي قبله عن رضى ولو بالمحافظة عن الحالة الشخصية.  
يعتبر مرتدا عن دين الإسلام، محتجين بقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى بعضهم أولياء

<sup>285</sup> - نفسه : ص 289

<sup>286</sup> - عبد اللطيف بن اشنهو: تكون التخلف في الجزائر ، محاولة لدراسة حدود التنمية الراسمالية في الجزائر بين عامي 1830-1962 ، تر،نخبة من الاساتذة ،د.ط.الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر 1979، ص ص 165-270

بعض من يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين<sup>287</sup>»

ويقول عليه الصلاة والسلام "من انتمى لغير أبيه، وانتسب لغير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل منه صرف ولا عدل.

ومن هؤلاء الشيخ الطاهر قربوع العطوي إمام وخطيب جامع الخروب قرب قسنطينة والذي كان أكبر معارض ومناظر لهذا البرنامج.

#### -المعمرون:

أما عن ردود فعل الإستعمار والذي يمثلته غلاة المعمرين، فقد اثار هذا المشروع صحية إستنكار عامة بين رؤساء البلديات والمنتخبين وكان بمثابة ناقوس خط بالنسبة للمعمرين<sup>288</sup>.

إذ جندوا له صحافتهم وممثلوهم في البرلمان الفرنسي في الوقت الذي لم يكن للجزائريين ممثلون هناك، وأموالهم لمنح الموافقة على المشروع كما استعملوا ضغط آخر وهو الإستقالة الجماعية من الوظائف العامة وكانت اتحادية شيوخ البلديات في وهران قد أصدرت لائحة في 05 يناير 1937 المعارضة هذا المشروع وقامت اتحادية شيوخ البلديات بقسنطينة بحركة مماثلة أيضا.

كون هذا المشروع لا يؤديه سوى المتطرفين في الجزائر وهم الذين يعملون على إنشاء أمة جزائرية تهدف على انفصال عن فرنسا كما ان دخول المسلمين في الهيئة الانتخابية من لشأنه ان يلحق الاذى باحوالهم الشخصية وان الوصول الى المواطنة الفرنسية انجح عقية في وجه النزعة القومية.

حيث كان هؤلاء المعمرين ينظرون إلى كل تغيير حتى ولو كان شكليا على أنه مساس بقوتهم ومصالحهم، هذه الأفكار الرجعية والعنصرية أدت بهؤلاء إلى تقدير خاطئ لمصالحهم على المدى الطويل وهو ما يلومهم عليه فيوليت وآخرون، وقد اعتبروا أن السياسة الإستعمارية التقليدية عاجزة أمام الوضع الجديد في الوقت الذي كانوا فيه منشغلين بالوجود الفرنسي.

-ويقول محساس أن هؤلاء المستوطنين يرفضون أن يأخذ أحد من الجزائريين من امتيازاتهم وتفوقهم العرقي رغم التطور العميق الذي يشهده العالم.

كما يقول أن هذه الإصلاحات هي عبارة عن استراتيجيات فرنسية لمكافحة أي نمو وعلى قومه وطني في صفوف الشعب وعليه قامت بهذه الإصلاحات بهدف عزلها وفصلها عن الجماهير وحرمانها من اطرادات ناطقة باسمها.

#### 4- محتوى مشروع بلوم فيوليت

الفصل الأول: يتاح للأهالي الجزائريين الفرنسيين بالعمالات للثلاث بالفطر الجزائريين الذين تتوفر فيهم الشروط المبنية بالفقرات التالية التمتع بالحقوق السياسية بدون أن يتيح عن ذلك أي تغيير في حالتهم الشخصية أو في حقوقهم المدنية وهذا بصورة نهائية ما عدا تطبيق التشريع الفرنسي للخاص بزوال الحقوق السياسية:  
أولا: الأهالي الجزائريون الفرنسيون الذين بارحوا الجيش برتبة ضابط<sup>289</sup>.

<sup>287</sup> - نفسه: ص 287

<sup>288</sup> - حسين تريكي : هذه هي الجزائر ، د.ط المؤسسة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 2002، ص 64

<sup>289</sup> - حسين تريكي : المرجع السابق ، ص 63

ثانيا: الأهالي الجزائريون الفرنسيون من صغار الضباط الذين بارحوا الجيش برتبة "باش شلوش" أو برتبة فوقها بعد أن خدموا العسكرية مدى خمسة عشر عاما وبعد أن خرجوا منها وبأيديهم شهادة حسن سيره.  
ثالثا: الأهالي الجزائريون الفرنسيون من صغار الضباط الذين قضا خدمتهم العسكرية وحصلوا جميعا على الوسام العسكري وعلى صليب الحرب.

رابعا: الأهالي الجزائريون الفرنسيون الذين بأيديهم احدى الشهادات العليا الآتية: شهادة التعليم العالي، باكالوريا التعليم الثانوي وشهادة المدارس وكذلك الموظفين الذين وقع انتخابهم في وظائفهم بمسابقة.  
خامسا: الأهالي الجزائريون الفرنسيون المنتخبون بالحجرات التجارية والفلاحية أو المعينون من طرف مجلس إدارة جبهة اقتصادية ومن طرف الحجرات الفلاحية بالقطر الجزائري على الشروط المبينة بالفصل الثاني.  
سادسا: الأهالي الجزائريون الفرنسيون لأعضاء بالمجلس المالي ومجالس العامة والمستشارون البلديون المباشرون لمهنتهم ورؤساء الجماعات الذين باشروا وظيفتهم خلال مدة المهمة<sup>290</sup>.  
سابعا: الأهالي الجزائريون الفرنسيون الباش آغوات والقياد الذين باشروا وظيفتهم مدة لا تقل عن أربعة أعوام.  
ثامنا : الأهالي الجزائريون الفرنسيون المجرون على للصف الثاني من وسام الشرف، أو الذين أحرزا على أحد أصناف ذلك الوسام بالطريقة العسكرية.

تاسعا: العمال الذين أخذوا على وسام الشغل ، وكتاب نقابات العمال المعينون بصور نظامية بعد مباشرة وظائفهم مدة عشر أعوام.

الفصل الثاني: إن مجلس إدارة الجبهة الاقتصادية بالقطر الجزائري سيعجب بإحدى دوراته التي ستعقب تطبيق هذا القانون مائتي تاجر 200 أو صانع أو عامل من كل عمالة جزائرية وعندما تعطى لهم الحقوق السياسية الممنوحة بالفصل الأول من هذا القانون، قرار من الوالي العام ، وستعين للحجرات الفلاحية الثلاث بالقطر الجزائري كل واحد على نفس الشروط ولنفس الغاية مائتي فلاح (200) بالدورة الأولى من كل سنة من السنوات التي ستعقب تطبيق هذا القانون.  
وان مجلس إدارة الجبهة الاقتصادية بالقطر الجزائري سيعين على نفس الشروط أنفا خمسين 50 تاجرا أو صانعا أو عاملا من كل عمالة ، وان للحجرات الفلاحية للثلاث ستعين كل واحد على نفس الشروط خمسين فلاحا.

الفصل الثالث: إن الأحكام المنصوص عليها بقانون الثاني فيفري 1852 بفصله 15-16 وكذلك كل عزل وقع إزاء أصحاب الوظائف المنصوص عليها بالفصل الأول بالمادتين 6 و 7 وكذلك تشطيب الاسم من قوائم الأوسمة الشرفية والوسام العسكري ، تقضي بكامل العنف تشطيب الاسم من القوائم الانتخابية<sup>291</sup>.

الفصل الرابع: يمكن بالنسبة لكل أهلي جزائري فرنسي متمتع بنصوص هذا القانون أن يسحب منه التمتع بالنصوص المذكورة أنفا بتطبيق ما تضمنه الفصل التاسع والفقرة الخامسة من قانون 10 أوت 1927.

الفصل الخامس: ليس لما تضمنه هذا أي مفعول فيما مضى ولا ينطبق إلا على الأهالي الجزائريين الفرنسيين الذين تتوفر فيهم الآن أو ستتوفر فيهم في المستقبل الشروط المبينة .

<sup>290</sup> - بوعزيز يحي : سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية ، د.م،ن، 2007، ص 6

<sup>291</sup> -Mahfoud kaddache ,histoire du nationalisme Algerien (1919-1951),Tome 1 ,ed SNED,1981,algerie ,p 397

الفصل السادس: ستتحقق نيابة للجزائر بمجلس الأمة بنسبة نائب واحد لكل سبعين ألف ناخب 70000 مرسومة أسماؤهم أو قسم عشرين ألف (20000) هكتار

## 16- المؤتمر الإسلامي

إن وفاة الأمير خالد حركت الروح الوطنية لدى الفئات الشعبية، فتعالت الأصوات منادية بضرورة توحيد الشعب الجزائري، و كان ابن باديس يعتقد أن مسألة تجديد القانون السياسي للجزائريين لا يجب أن يناقش من قبل طرف واحد، فهي مسألة تهم جميع الجزائريين، و من ذلك تكونت لديه فكرة عقد مؤتمر للنظر في مشروع بلوم فيوليت الذي جاءت به الجبهة الشعبية، فقد كان المؤتمر الإسلامي الجزائري أول محاولة لتكوين جبهة سياسية تضم ابرز التيارات السياسية الموجودة فتعددت الآراء حول هذا المؤتمر.

### أولاً: أسباب و دوافع انعقاده:

يعتبر المؤتمر الإسلامي الجزائري اكبر تجمع في الجزائر منذ الاحتلال الفرنسي لها، من حيث عدد الحاضرين و المشاركين رغم تباين أفكارهم و اتجاهاتهم السياسية، و قد تعددت الآراء في تحديد من دعا إلى عقد هذا المؤتمر، فهناك من يرددها إلى الحزب الشيوعي و البعض الآخر إلى جماعة النخبة و آخرون يعيدونها إلى جمعية العلماء المسلمين.

حسب ما جاء في صحيفة البصائر في عددها 23 يوم 12 جوان 1936، إن فكرة انعقاد المؤتمر انطلقت من قسنطينة، أذاعها الاثنان عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و الدكتور ابن جلول رئيس جمعية النواب بعمالة قسنطينة إلى عقد مؤتمر إسلامي جزائري عام تعرض فيه مطالب الأمة و حقوقها و تتبادل فيه الآراء بين علماء الأمة و نوابها و ذوي الرأي منها<sup>(292)</sup>

بينما يعزي الدكتور عبد الكريم بوصفصاف في محادثة شخصية أن فكرة عقد المؤتمر تعود إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس، و إن كانت بعض الشخصيات من النخبة قد دعت إلى تأسيس حزب سياسي كبير للجزائر منذ 1934<sup>(293)</sup>.

إضافة إلى ما يؤكده الدكتور بشير ملاح أن فكرة انعقاد المؤتمر الإسلامي تعود إلى الإمام عبد الحميد بن باديس الذي اقترحها على صفحات جريدة " لاديفانس " يوم 3 يناير 1936 لبحث واقع الجزائر المأساوي<sup>(294)</sup>.

في حين ممثل الحزب الشيوعي عمار أوزقان، يرى في شخصية عبد الحميد بن باديس المحرك الأساسي لعقد المؤتمر الإسلامي، و ذلك من خلال تصريحاته إذ يقول " كان مصلحنا الديني ثوريا خالصا و حكيما، كان أب المؤتمر الإسلامي الجزائري"<sup>(295)</sup>.

<sup>292</sup>-جريدة البصائر، المؤتمر الإسلامي الجزائري، البشير الإبراهيمي، العدد 23، يوم 12 جوان 1936، الجزائر، ص: 13.

<sup>293</sup>- مؤمن العمري، المرجع السابق، ص: 31

<sup>294</sup>- بشير ملاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص: 362

أما أبو القاسم معد الله فقد ارجع زعامة المؤتمر الإسلامي إلى العلماء و النواب، و يرى أن الشعب قد استجاب إلى دعوة الرجلين ابن باديس و ابن جلول، لأنهما يمثلان هئتين يثق فيهما ثقة واسعة<sup>(296)</sup>.

أما فرحات عباس فيقول إن رابطة المنتخبين المسلمين أسست كتلة بسطت نفوذها على كافة القطر الجزائري، و سمّتها المؤتمر الإسلامي<sup>(297)</sup>.

من خلال ما سبق يتضح لنا الخلاف حول من دعا إلى انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري، إلا أن الشيء المؤكد هو أن الفكرة انطلقت من قسنطينة، فالبعض ينسبها إلى عبد الحميد بن باديس و البعض ينسبها إلى الدكتور محمد الصالح بن جلول، و البعض يرى بان الحزب الشيوعي و حركة النواب كانا وراء عقد المؤتمر.

لقد لعبت الظروف الداخلية و الخارجية دورا كبيرا أدى إلى التفكير في ضرورة عقد مؤتمر إسلامي جزائري، فعن الظروف الخارجية يرجعها عبد الكريم بوصفصاف إلى:

❖ انعقاد جملة من المؤتمرات الإسلامية برزت إلى الوجود خلال العشرينات و الثلاثينيات أهمها:

(1) مؤتمر الخلافة الإسلامية بالقاهرة.

(2) المؤتمر الإسلامي بالقدس: الذي انعقد في ديسمبر 1931، وقد مثل الجزائر في هذا المؤتمر المهاجر الجزائري

إبراهيم اطفيش نزيل القاهرة في ذلك الحين، فقد عمل هذا المؤتمر على إحياء الوازع الإسلامي في نفوس المسلمين و ذلك لما دعا إليه من روح الوحدة الإسلامية<sup>(298)</sup>.

(3) مؤتمر مسلمي أوربا بجنيف: انعقد في شهر سبتمبر 1935، تحت رئاسة الأمير شكيب ارسلان<sup>(1)</sup> و قد حضره

عن النجم رئيسه مصالي الحاج الذي كان مقيما في جنيف، و حضره أيضا الكاتب العام عمار عيماش و بانون اكلي من باريس، و محمد يدك و الجزيري من فرع مدينة ليون، و قد دام المؤتمر من 12 إلى 17 سبتمبر، و تكلم أثناءه مصالي الحاج و عيماش عن حالة المسلمين في فرنسا و في شمال إفريقيا و ندد بالاستعمار الفرنسي و سياسيته<sup>(299)</sup>.

❖ أما عن الظروف الداخلية فنجلها فيما يلي:

(1) ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال الاجتماع التأسيسي الأول في شهر ماي 1931

(2) نجاح المنتخبين الجزائريين سنة 1934 في الانتخابات البلدية و أثرها في تبلور المطالب الجزائرية

(3) ميلاد الحزب الشيوعي سنة 1936 و تهديد المصالح الفرنسية في الجزائر<sup>(300)</sup>.

<sup>295</sup>- احمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية، ط 1، دار هومة، الجزائر، 2007، ص: 171

<sup>296</sup>- ابو القاسم سعد الله، ج 3، المصدر السابق، ص: 161

<sup>297</sup>- فرحات عباس، المرجع السابق، ص: 153

<sup>298</sup>- ابو القاسم سعد الله، ج 3، المصدر السابق، ص: 151 152

<sup>299</sup>- محمد قنانش، المرجع السابق، ص: 67

<sup>300</sup>- مولد العمري، المرجع السابق، ص: 52

(4) ظهور جملة من المشاريع الإصلاحية الفرنسية و على رأسها مشروع " بلوم فيوليت" (2)، و يعتبر هذا المشروع من اكبر الدوافع التي أدت إلى عقد المؤتمر.

أما بالنسبة لمحمد الطيب العلوي و الذي يقول على لسان ما كتبه البشير الإبراهيمي، أحد الذين عاصرو الفكرة من نشأتها إلى نهايتها بمقالته التي حررها بالمناسبة لمجلة الشهاب ما يلي: " و كانت حكومة فرنسا كلما تعلق صوت المطالبة تعمدت إلى المسكنات و المخدرات، فأرسلت مرة لجنة من مجلس الشيوخ يرأسها م فيوليت الوالي العام الأسبق للجزائر لتدرس الحالة، و تشير بالعلاج، و أرسلت أخيرا وزير الداخلية لذلك العهد م. رونييه، و لم تكن لذلك المسكنات من نتيجة و لا تأثير، و الحالة بالجزائر لا تزداد إلا ارتباكا، و حالة المسلم الجزائري تنتقل من سيء إلى أسوء، و الحكومة الجزائرية مصممة عن سماع صوت المطالبة، ممعنة بفور أحزاب الجبهة الشعبية، فارتفع صوت الأمة الجزائرية بالمطالبة من جديد، و حدثت فكرة المؤتمر (301).

و من هنا استشف الأسباب و هي:

❖ إن الجزائريين سمعوا و عودا كثيرة.... لكن لم تنفذ.

❖ إن فكرة المؤتمر لم تظهر إلا بعد فوز أحزاب الجبهة الشعبية.

❖ إن الذين فكروا في عقد المؤتمر كانوا يحسنون الظن بأحزاب الجبهة الشعبية لمواقف رجالها – في السابق – في القضية الجزائرية.

ففي سنة 1931 عقب الاحتفال بذكرى الاحتلال، ترأس موريس فيوليت (1) لجنة من مجلس الشيوخ الفرنسي، عهد عليها بدراسة الأوضاع الجزائرية و تقديم توصيات عن الإصلاحات التي يجب ادخالها، و فعلا قدمت اللجنة مشروع إصلاحات أصبح منذئذ يعرف " بمشروع فيوليت ".

و قد احتوي مشروع فيوليت 8 فصول و 50 مادة، واهم ما اقترح فيه منح الجنسية الفرنسية للجزائريين من دون التخلي على الأحوال الشخصية، مع احترام حقوق الجزائريين و إلغاء قانون الأهالي، نوقش هذا المشروع من طرف البرلمان الفرنسي إلا انه رفض بعد التصويت، و رحبت به النخبة اشد ترحيب، حيث رأت فيه خلاصها و خلاص الجزائر من حالة الأهلية، كما رفضه حزب نجم شمال إفريقيا لأنه يربط الجزائر بفرنسا، كما رفضه المعمرين الفرنسيون تخوفا من تفوق الجزائريين عددا و نفوذا في المجالس المحلية، أما العلماء فقد وقفوا منه موقف المتحفظ.

و في 21 مارس 1935 ألقى فيوليت خطبة في البرلمان الفرنسي، راع فيه مصلحة فرنسا قبل كل شيء، و قد وضع أمامهم خيارين:

الأول: منح حق الانتخاب لكل الجزائريين مع بقائهم في هيئة انتخابية خاصة حتى لا يتنافسوا مع

المعمرين الفرنسيين.

---

(1) شكيب ارسلان، زعيم عربي إسلامي ، ولد يوم 25 ديسمبر 1869 بسوريا و توفي يوم 9 ديسمبر 1946، نذر حياته على خدمة التراث العربي الإسلامي و الدفاع عن القضية العربية الكبرى في عصبة الأمم بجنيف.

(2) مشروع فيوليت هو عبارة مشروع إصلاحي تقدم به موريس فيوليت سنة 1931، بعدما ترأس لجنة من مجلس الشيوخ الفرنسي، و احتوى المشروع على 8 فصول و 50 مادة.

<sup>301</sup> محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، ص: 152

(1) موريس فيوليت ولي حاكما عام على الجزائر مابين 1925-1927، حاول اعطاء بعض الحقوق للمسلمين الجزائريين.

الثاني: منح حق الانتخاب لعدد قليل منهم، و هم جماعة النخبة و جعلهم ضمن الهيئة الانتخابية الفرنسية، كما لو كانوا مجنسين بالجنسية الفرنسية مع بقائهم على أحوالهم الشخصية، بذلك يكون 21000 فرنسي-مسلم له حق التصويت مع الفرنسيين، و العدد الإجمالي 202750 ناخب في الانتخابات التشريعية و يكون تمثيل الجزائر في البرلمان منذئذ بمعدل نائب لكل 20000 ناخب و كانت غاية فيوليت إجبار السكان الأوروبيين عن طريق وحدة هيئة الناخبين أن يبحثوا بأنفسهم عن ميدان المصالحة مع الصفة الجزائرية<sup>(302)</sup>.

و قد أوضح فيوليت انه يفضل الاختيار الثاني لسببين هما: أنه يمنح حق الانتخاب لأشخاص جدد ضمن نظام موجود من قبل و أن تحقيق هيئة انتخابية واحدة سيساعد على تحقيق دمج الجزائريين في المجتمع الفرنسي، و هو الأمر الذي تقوم عليه السياسية الفرنسية، و أما خلق هئتين انتخابيين كما يقترح الاختيار الأول فهو يشجع الوطنية والانفصال، و بناء على الاختيار الثاني فان الجزائريين سيزداد عددهم تدريجيا حسب المؤهلات التي فصلها المشروع<sup>(303)</sup>.

لم يكن مشروع فيوليت المشروع الفرنسي الوحيد الذي طرح كل مشاكل الجزائر خلال الثلاثينيات، بل هناك ثلاث مشاريع أخرى لم تنل شهرة كما ناله هذا الأخير، وهي: مشروع فيرنوت الذي نوقش أيضا و مشروع دوروكس و مشروع كوظولي<sup>(304)</sup>.

نلاحظ في النهاية أن كل هذه المشاريع باءت بالفشل لأنها لم تجد حكومة قوية تفرض وجودها على المعمرين في الجزائر، إضافة معارضة التيارات الوطنية حزب الشعب الجزائري و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قد أدت إلى سحب كل المشاريع من الميدان عشية الحرب الثانية.

### ثانيا: انعقاد المؤتمر الإسلامي و دور الشخصيات الحاضرة فيه:

ازدادت الحالة في الجزائر في الثلاثينيات سوءا على سوء، فالوعود الكثيرة التي لوحت بها فرنسا للجزائريين منذ الحرب العالمية الأولى بشأن تحقيق بعض الإصلاحات الجوهرية في الميادين السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية التي لم يحقق منها شيء، و الحركات السياسية مشتتة و الشعب يئن تحت وطأة القوانين الاستثنائية الصارمة التي تكاد تلغى حتى يعاد العمل بها أو بما هو اشد منها قسوة و صرامة، و إزاء هذه الحالة قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بتوجيه الدعوة إلى كافة التنظيمات السياسية في البلاد لعقد مؤتمر إسلامي لدراسة قضية الجزائر من كافة جوانبها، و تقرير ما يراه صالحا في شأنها للخروج بالأمة من حالة اليأس العام و التذمر الشامل، و كسر الجمود الذي يحيط بالقضية الوطنية من كل جانب<sup>(305)</sup>.

<sup>302</sup> - شارل روبر اجيرون، المصدر السابق، ص: 145

<sup>303</sup> - ابو القاسم سعد الله، ج 3، المصدر السابق، ص: 17

<sup>304</sup> - المصدر نفسه، ص: 20

<sup>305</sup> - رابع تركي، المرجع السابق، ص: 75 76

و قبل التطرق إلى عقد المؤتمر نجيب أولا على الإشكالية التالية، وهي هل سبق هذا المؤتمر أي تحضير؟ ولماذا انعقد المؤتمر الإسلامي سنة 1936؟

انطلقت الدعوة لعقد المؤتمر الإسلامي من قسنطينة، و بدأ ابن باديس في اتصالاته مع الهيئات المعنية، وتمكن من إقناع ابن جلول بالفكرة، و نتيجة لتقارب وجهات النظر اصدر الزعيمان بتاريخ 16/05/1936 إلى المسلمين الجزائريين لكي يشكلوا لجانا من اجل التحضير لمؤتمر إسلامي جزائري ينعقد بالعاصمة خلال شهر جوان<sup>(306)</sup>.

إذا كانت أحداث ماي 1945 هي الشرارة التي أضاءت طريق الكفاح المسلح و قطعت الطريق على أنصاف الحلول، فإن سنة 1936 هي المنطلق الحقيقي للكفاح السياسي و للمد الثوري و المنعطف التاريخي، كما كان أول نوفمبر 1954 هو النتيجة الحتمية لهذه المسيرة، فأول نوفمبر ولد سنة 1936 و بلغ سن الرشد في أحداث 8 ماي 1945، و أصبح سيد نفسه في سنة 1954<sup>(307)</sup>.

إن الشعب الجزائري لم يعرف الحياة السياسية منذ احتلال بلاده سنة 1830 إلا في سنة 1936، التي نجحت فيها الجبهة الشعبية في الانتخابات التشريعية بفرنسا، و خرجت فيها الحركة الوطنية للتنظيم و الوعي الوطني في وضوح النهار، هذه السنة التي بدأت فيها الجماهير الشعبية تفرض وجودها على الساحة السياسية، وتستعيد كرامتها النضالية و تعبر على نفسها بالاحتجاج و المظاهرات و الإضراب عن العمل<sup>(308)</sup>.

عرفت سنة 1936 حدثين هامين تمثل الأول في وفاة الأمير خالد رائد الوطنية الجزائرية، حيث حركت وفاته الروح الوطنية لدى الفئات الشعبية، فتعالت الأصوات منادية بضرورة توحيد الشعب الجزائري، أما الحدث الثاني فهو مجيء الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا<sup>(309)</sup>.

من دون شك فإن المؤتمر الإسلامي قد سبقته عدة لقاءات تطرقت إلى مطالبه و أبعاده، و الشائع أن كل هذه اللقاءات كانت تدور حول مشروع فيوليت، الذي اقترح منح الجنسية الفرنسية للجزائريين من دون التخلي على الأحوال الشخصية، مع احترام حقوقهم في العيش و إلغاء قانون الأهالي<sup>(310)</sup>.

لقد شهدت العمالات الثلاث قسنطينة و العاصمة و وهران، تجمعات ضخمة حضرها لجان تحضيرية، شارك فيها النواب العلماء الشباب العمال و الفلاحين و حتى قدماء المحاربين و الشيوعيين و الاشتراكيين.

هذا و قد سبق عقد هذا المؤتمر اجتماع بنادي الترقى ضم ممثلي العمالات الثلاث و دعاة المؤتمر و أنصاره، كم انضم إليه نواب آخرون جاءوا من تيارات و تلمسان، مستغانم، سيدي بلعباس، تم فيه تحديد جدول أعمال جلسات

<sup>306</sup>- احمد مريوش، المرجع السابق، ص: 173

<sup>307</sup>- محمد قناتش، المسيرة الوطنية و أحداث 8 ماي 1945، منشورات دحلب، ص: 45

<sup>308</sup>-المصدر نفسه، ص: 46

<sup>309</sup>- حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص: 71

<sup>310</sup>- احمد مريوش، المرجع السابق، ص: 174

المؤتمر و تنظيمه و سير أعماله و أشغاله و تحديد أعضاء مكتبه و خطابه، كما تم فيه تسمية المؤتمر بالمؤتمر الإسلامي الجزائري العام، كما تم الاتفاق على إنشاء رئاسة المؤتمر إلى الدكتور ابن جلول<sup>(311)</sup>.

انعقد هذا المؤتمر يوم 07 جوان 1936 بقاعة الماجستيك في الجزائر العاصمة، و قد وصف محمد قنانش جو القاعة التي تعرف حاليا بقاعة الأطلس بأنها تعيش في جو تغمره الفرحة الكبرى بهذا اللقاء الأول من نوعه<sup>(312)</sup>.

وفد المنتخبون و الأعيان، و ضم المؤتمر السياسيين البارزين في ميدان السياسة الجزائرية، و الممثلين للعلماء و فدالية المنتخبين و ابن باديس و الإبراهيمي، العقبي و الأمين العمودي و الدكتور ابن جلول و فرحات عباس و الدكتور سعدان و بوكردنة و ممثلي الحزبين الاشتراكي و الشيوعي ابن الحاج و ابو شامة و بوقرط و شخصيات مستقلة، و تناول الكلمة فيه عدد من الشخصيات الهامة، حيث افتتح الخطابة الدكتور ابن جلول الذي وضع في تدخله أهداف المؤتمر و أهميته و مطالبه، ثم تلاه كل من الدكتور ابن التهامي و الدكتور عبد الوهاب، و من بعدهم فرحات عباس ثم جاء دور العلماء، فتحدث الشيخ ابن باديس الذي ركز على مطالب الجمعية فيما يتعلق باللغة العربية و الدين الإسلامي، ثم تلاه الشيخ الطيب العقبي الذي ندد بالقوانين الاستثنائية المطبقة على الجزائريين منها قانون ميشال\*، ثم تلاه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي تحدث عن أهمية المؤتمر و مكانة اللغة العربية و التعلم في الجزائر و من الذين تكلموا في هذا المؤتمر السيد سكوت الفرنسي مندوب فرع الحزب الاشتراكي الفرنسي<sup>(313)</sup>.

#### ● مطالب المؤتمر و قراراته:

أسفر المؤتمر الإسلامي على جملة من المطالب لخصت مجملها في وثيقة أعطي لها عنوان الميثاق المطالب للشعب الجزائري، و هي:

- (1) إلغاء سائر القوانين الاستثنائية التي لا تطبق إلا على الجزائريين<sup>(314)</sup>.
- (2) إلحاق الجزائر بفرنسا رأساً، و إلغاء الولاية العامة الجزائرية، و مجلس النيابات العامة، و نظام البلديات المختلطة.
- (3) المحافظة على الحالة الشخصية الإسلامية مع إصلاح المحاكم الشرعية بصفة حقيقية و مطابقة لروح الفقه الإسلامي و تحرير هذا القانون.
- (4) فصل الدين الإسلامي عن الدولة بصفة تامة، و تنفيذ هذا القانون حسب مفهومه و منطوقه<sup>(315)</sup>.
- (5) إرجاع سائر المعاهد الدينية إلى الجماعة الإسلامية لتتصرف فيها بواسطة جمعيات دينية مؤسسة تأسيساً صحيحاً.
- (6) إرجاع أموال الأوقاف لجماعة المسلمين لتتمكن بواسطتها القيام بأمور المساجد و المعاهد الدينية و الذين يقومون بها.
- (7) إلغاء كل ما اتخذ ضد اللغة العربية من وسائل استثنائية و إلغاء اعتبارها لغة أجنبية.

<sup>311</sup>- عبد الكريم بوصفصاف، المصدر السابق، ص: 252

<sup>312</sup>- محمد قنانش، المصدر السابق، ص: 109

نسبة إلى ميشال والي ولاية الجزائر، يقضى المنشور بمنع العلماء من القيام بنشاطهم في المساجد.\*

<sup>313</sup>- بشير ملاح، المصدر السابق، ص: 382 383

<sup>314</sup>- محفوظ قداش، المصدر السابق، ص: 31

<sup>315</sup>- راجح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة العربية الإسلامية في الجزائر المعاصرة، ط2، موفم للنشر، 2003، ص: 119

(8) الحرية التامة في تعليم اللغة العربية و حرية القول للصحافة العربية.

#### ❖ الإصلاحات الاجتماعية:

- (1) التعليم الإجباري للبنين و البنات.
- (2) الشروع في بناء المدارس الكافية لتعميم التعليم الإجباري.
- (3) جعل التعليم مشتركا بين الجزائريين و الأوربيين.
- (4) الزيادة في معاهد الصحة من مستشفيات و مستوصفات، و الزيادة في معاهد الإغاثة كالمطاعم الشعبية، و إنشاء خزينة خاصة للعاطلين عن العمل<sup>(316)</sup>.

#### ❖ الإصلاحات الاقتصادية:

- (1) تساوي الأجور إما تساوي العمل.
- (2) تساوي الرتبة إما تساوي الكفاءة.
- (3) توزيع إعانات الميزانية الجزائرية للفلاحة و التجارة و الصناعة و الاحتراف على الجميع، و على مقتضى الاحتياج دون تميز بين الأجناس.
- (4) تكوين جمعيات تعاونية فلاحية و مراكز لتعليم الفلاحين.
- (5) الإقلاع عن انتزاع ملكية الأرض من الجزائريين.
- (6) توزيع الأراضي الشاسعة البور على صغار الفلاحين و عمال الفلاحة.
- (7) إلغاء قانون الغابات<sup>(317)</sup>.

#### ❖ الإصلاحات السياسية:

- (1) إعلان العفو السياسي العام<sup>(318)</sup>.
- (2) التمثيل الجزائري في البرلمان الفرنسي.
- (3) منح الجنسية الفرنسية للجزائريين مع الاحتفاظ بشخصيتهم الإسلامية.

#### ❖ الإصلاحات الإدارية:

- (1) حذف مناطق الحكم العسكري التي لا زالت في الجنوب الجزائري و جعلها مدنية.
- (2) إصلاح نظام البلديات بصفة عامة.
- (3) حذف نظام القيادة التعسفي.

#### ● قرارات المؤتمر

صادق أعضاء المؤتمر على جملة من القرارات يمكن تلخيصها فيما يلي<sup>(319)</sup>:

- (1) ثقة المؤتمر بالحكومة الشعبية و شكرها على عواطفها نحو الأمة الجزائرية.
- (2) إلغاء جميع القوانين و القرارات الاستثنائية الخاصة بالمسلمين.
- (3) منح المسلمين جميع الحقوق التي للفرنسيين مع التمتع الكامل بالميزات الإسلامية و إدخال إصلاحات عليها.

<sup>316</sup>- عبد الرحمان الجيلاني بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج 4، ديوان المطبوعات، 1982، ص: 357

<sup>317</sup>- عبد الرحمان إبراهيم العقون، الكفاح القومي و السياسي، ج 1، الجزائر، 1984، ص: 22

<sup>318</sup>- محمد قناتش، محفوظ قداش، المصدر السابق، ص: 112

<sup>319</sup>- ابو القاسم سعد الله، ج 3، المصدر السابق، ص: 157

- (4) منح الجزائريين حق التمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي.
- (5) انتخاب مشترك بين المسلمين و الفرنسيين و التأكد في المحافظة على الأحوال الشخصية الإسلامية.
- (6) تأسيس لجنة تنفيذية للمؤتمر.

### ثالثا: اللجنة التنفيذية المنبثقة عن المؤتمر و دورها:

كانت النتيجة الأولى لاجتماع المؤتمر الإسلامي العام، أن انتخبت لجنة مؤقتة (1) لتسيير أعماله وتنفيذ مقرراته التي اجمع عليها ممثلو الأمة من سائر الطبقات و كل الهيئات في ذلك اليوم، و كان من عمل اللجنة المؤقتة نشر الدعوة العامة في العمالات الثلاث ( الجزائر، قسنطينة، وهران ) لكي تنتخب لجانها من يمثلها في انتخاب اللجنة التنفيذية للمؤتمر (320).

و قد انتخب 21 عضوا لتمثيل اللجنة التنفيذية أي بمعدل سبعة أعضاء لكل ولاية ( ثلاثة من النواب، ثلاثة من العلماء، و واحد من الشباب )، حيث اجتمعت اللجنة التنفيذية يوم 6 جويلية 1936 و كانت نقط جدول أعمالها: تحديد مهمة الوفد، عدد أعضائه و تاريخ سفره، و قد تقرر تقديم مطالب المؤتمر على أنها مطالب الأمة الإسلامية دون أن يضيف عليها الوفد شيئا، و إذا واجهت الوفد صعوبات فعليه أن يعود إلى الجزائر للمشاورة، كما تقرر عدم التساهل في المطالب و ضرورة التمسك في الوحدة و تعيين متكلم خاص باسم الوفد حتى لا تصدر عنه أخبار متناقضة، كما تحددت أسماء أعضاء الوفد و التاريخ المقرر للسفر إلى فرنسا. و هذه اللجنة اتفقت كلمتها على وجوب الإسراع بانجاز مقررات المؤتمر و المبادرة في إرسال وفد المؤتمر إلى باريس يطالب بالحقوق الجزائرية (321).

بعد إتمام أعمال اللجنة التنفيذية طلب مكتب اللجنة من جناب الوالي العام م. لوبو أن يحدد موعدا لمقابلته ليخبروه رسميا بتشكيل الوفد و تاريخ سفره فكان لهم ذلك فاستقبلهم يوم 9 جويلية فذهب كل من الدكتور ابن جلول و الأستاذ العمودي و الأستاذين ابن الحاج و بوكردنة، فلقوا من جنابه عطفًا أنعش الآمال و سهل لهم مهمة السفر (322).

أبحر وفد المؤتمر يوم 18 جويلية إلى فرنسا على متن الباخرة قوفيرنون قيون، ليقيم المطالب التي حررتها لجنة التنسيق و كان الوفد يضم ثمانية عشر عضوا، من النواب تسعة أعضاء: ثلاثة يمثلون عمالة الجزائر و هم: الدكتور البشير عبد الوهاب و عبد الرحمان بوكردنة و الحاج عمارة فرشوخ، و ثلاثة يمثلون عمالة قسنطينة و هم: ابن جلول و عباس فرحات و طهرات العربي، و ثلاثة يمثلون عمالة وهران و هم: باش تارزي بن عودة و قاضي محمد المحامي و طالب عبد السلام، و من الشبان ثلاثة واحد عن كل عمالة و هم: السادة ابن الحاج و ابن قليعة إبراهيم و بوشامة عبد الرحمان، و من العلماء ثلاثة أيضا واحد عن كل عمالة و هم الأساتذة: الشيخ عبد الحميد بن باديس و

<sup>320</sup> -جريدة البصائر، تشكيل الوفد، العدد 29، 24 جويلية 1936، الجزائر، ص: 1، للمزيد انظر الملحق: 01

تتكون من النواب و هم: ابن جلول، طالب عبد السلام، بوكردنة، و من العلماء هم: الأبراهيمي، العقبي، خير الدين، و من الشباب هم: ابن الحاج، أبو شامة. للمزيد انظر: جريدة البصائر، العدد 24، السنة الأولى، 19 جوان 1936.

<sup>321</sup> -أبو القاسم سعد الله، ج 3، المصدر السابق، ص: 157

<sup>322</sup> -محفوظ قداش، محمد قناش، المصدر السابق، ص: 111

الشيخ البشير الإبراهيمي و الشيخ الطيب العقبي، ونائب عن قسم الجزائر الجنوبي الدكتور سعدان ببسكرة، و السيد الأمين العمودي بصفته ترجمان للوفد و الدكتور الاخضري مستشار للوفد<sup>(323)</sup>.

عند وصول الوفد استقبل من طرف عدد من المسؤولين و البرلمانيين الفرنسيين، فكان رئيس الوفد ابن جلول يقدم الوفد للوزير واحدا واحدا، إذ يلقي كلمات التعريف بالوفد و مقاصده و ما يناسب مقام زيارة الوزير، ثم يتكلم الوزير بما يدل على الترحيب و حسن القبول، و بعدها يلقي الكاتب العام للجنة المؤتمر الأستاذ ابن الحاج مطالب الوفد و يشرحها مطلبا مطلبا شرحا وافيا، كما يجيب الوزير عن تلك المطالب و يناقش في بعضها، ثم تكون كلمات من بعض الأعضاء<sup>(324)</sup>.

أول زيارة كانت عند السيد موريس فيوليت و قد دامت المفاوضات بينه و بين الوفد أكثر من ساعتين حول المطالب، كما تمت مقابلته مرة ثانية، و بعدها قابل الوفد الكاتب العام للوزارة " راول اوبو" و وعد هذا الأخير بالنظر في المطالب و انه سيقدم هو إلى الجزائر بنفسه.

و في 24 جويلية استقبل " ليون بلوم" رئيس الوزراء وفد المؤتمر و عرضت عليه مطالب الأمة، فوعد بأنه سيدرس جميع المسائل المعروضة عليه و يفصلها في اقرب وقت.

كما صرح وزير الحربية " دلاديه" للوفد انه لن يوافق على إعطاء المسلمين الجزائريين حق النيابة في البرلمان ما داموا باقين على الشريعة الإسلامية، كما أوضح انه يكون من المعارضين لو طرحت القضية على البرلمان الفرنسي. هذا فيما يخص جل المقابلات و الزيارات التي قام بها الوفد أثناء فترة عمله<sup>(325)</sup>.

### • الاجتماع العظيم بالملعب البلدي:

بعد رجوع الوفد أعلن دعوة عامة للأمة الجزائرية لحضور الاجتماع العظيم، الذي عين له مكانا الملعب البلدي بالعناصر يوم 2 أوت 1936، ليقيم الوفد نتيجة المهمة و آفاقها، وقد رافق الوفد في نفس الباخرة التي أقلتهم رئيس نجم شمال إفريقيا السيد مصالي الحاج و زوجته و ولده<sup>(326)</sup>.

حيث إن الاجتماع انعقد باسم الأمة الإسلامية الجزائرية كلها على اختلاف هيئاتها و أحزابها، فلم يكن لأعضاء الوفد أن يمنعوا أي احد من حضوره أو الكلام عند المقتضى مع احتفاظ كل فريق بمبادئه و فكره الخاص، كانت الساعة المعينة لافتتاح الجلسة هي السابعة و النصف و لكن تأخر الدكتور ابن جلول رئيس المؤتمر و الوفد لعارض ما تم الافتتاح على الساعة الثامنة و خمسة و أربعون دقيقة، و قد كان اوزقن عضو اللجنة التنفيذية هو الذي افتتح

<sup>323</sup>-جريدة البصائر، المصدر السابق، انظر الملحق: 01

<sup>324</sup>- بشير ملاح، المصدر السابق، ص: 384

<sup>325</sup>-جريدة البصائر، وفد المؤتمر الإسلامي، العدد 30، 31 جويلية 1936، الجزائر، ص: 1، انظر الملحق: 3

<sup>326</sup>-. Mahfoud kaddache, Mohamed Guenaneche, L'Etoile Nord-Africaine 1926-1937, O.P.U, p :

الجلسة أمام ما يناهز عشرون ألف من الحضور، فألقى خطابا أتي فيه ببيان الغرض من الاجتماع ثم أعطيت الكلمة إلى ابن جلول الذي أخذ يتكلم عن مراحل سفر الوفد وما قوبيل به من الحفاوة من قبل الوزراء<sup>(327)</sup>.

إذ تداول الخطباء الكلام متناولين الرحلة و الغرض و النتائج، وان ابرز ما وصف به هذا اليوم بأنه " يوم تاريخي"، هو ما ألقاه عبد الحميد بن باديس و مصالي الحاج من خطب وطنية صادرة عن روح وطنية عالية، كما أعلنوا بنتيجة تمسكهم بمطالب المؤتمر.

وقف ابن باديس في هذا اليوم و كأن الخيبة المريرة التي يحس بها أو يتوقعها توخره و تدفعه موقف رجل زعيم سياسي ما عرفناه من قبل، فصرح في ذلك الحشد قائلا: " أيها الشعب انك بعملك العظيم برهنت على انك شعبا متعطش للحرية هائم بها، إننا مددنا إلى الحكومة الفرنسية أيدينا، و فتحنا قلوبنا، فان مدت إلينا يدها و ملئت بالحب قلوبنا فهو المراد، و إن ضيقت فرنسا فرصتها هذه، فإننا نقبض أيدينا و نغلق قلوبنا فلا نفتحها إلى الأبد... أيها الشعب لقد عملت و أنت في أول عملك، فاعلمة دم على العمل وحافظ على النظام، واعلم أن عملك هذا على جلالته ما هو إلا خطوة و وثبة وراءه خطوات و وثبات، و بعدها إما الحياة و إما الممات.."<sup>(328)</sup>.

ثم تلاه السيد بوكردنة بصفته أمين المال، و أفاض في القول عن وصف وضعية الأمة الجزائرية المزينة، ثم يطلب الكلمة مصالي الحاج الذي لم يكن مبرمجا، وبعد اخذ و رد سمح له بعشرة دقائق، بدأ خطابه بتحية لهذا التجمع الحاشد و أبدى فرحته لوجوده في الجزائر بعد 12 سنة من الغربة، ثم حيا المرأة الجزائرية ثم أخذ الكلمة بالفرنسية و حيا فيها المؤتمر و أيد فيها جميع المطالب المستعجلة ما عدا إلحاق الجزائر بفرنسا و التمثيل بالبرلمان الفرنسي و اقترح برلمان جزائريا، ثم يخطب الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ الطيب العقبي، و هكذا انقضى الاجتماع<sup>(329)</sup>.

لقد اعتبر محفوظ قداش هذا المؤتمر فترة حاسمة في تاريخ الجزائر، كما وصفه محمد قنانش بالمنعطف التاريخي خلال تلك الفترة بما اشتملت من أحداث و تقلبات على الصعيد الوطني و العالمي<sup>(330)</sup>، و كما يرى أيضا محمد الطيب العلوي حسب رأيه أن المؤتمر حظي باهتمام زائد من الجزائريين<sup>(331)</sup>، لأنه:

أولا: لأول مرة ينعقد مؤتمر واسع بحجمه و أبعاده.

ثانيا: لأنه يضم اغلب التشكيلات و التنظيمات الموجودة بالجزائر.

ثالثا: تعرفت الجزائر من خلال المؤتمر على خلفيات الكثير مما كانوا يتصدرون و يتزعمون المحافل السياسية باسم الجماهير و الدفاع عنها.

رابعا: من الناحية التاريخية بمناسبة انعقاد المؤتمر ظهرت لأول مرة على ارض الوطن وبشكل علني أفكار نجم شمال إفريقيا.

<sup>327</sup> - جريدة البصائر، اجتماع عظيم لم يسبق له نظير، العدد 31، 7 أوت 1936، الجزائر، ص: 1 انظر الملحق: 4

<sup>328</sup> - عبد الرحمان ابراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص: 33 34

<sup>329</sup> - محمد قنانش، محفوظ قداش، المصدر السابق، ص: 114

<sup>330</sup> - محفوظ قداش، المصدر السابق، ص: 29

<sup>331</sup> - محمد الطيب العلوي، المصدر السابق، ص: 163

خامسا: كانت تجربة و لها من نتائجها السلبية ما هو ايجابي.

● ابرز شخصيات المؤتمر:

شارك في هذا المؤتمر كل التيارات السياسية و الاجتماعية على اختلافها، النواب و العلماء و الشبان و

الشيوعيين و الشخصيات المستقلة، و من ابرز شخصياته نذكر:

الدكتور ابن جلول: و هو الذي تصدر منصة المؤتمر و برز في نشاط الإعدادات له، حيث عينه ابن باديس على

رئاسة المؤتمر و اللجنة التنفيذية كما ترأس الوفد إلى باريس، فهو المكلف بتقديم تقرير مهمة الوفد بعد الرجوع إلى الجزائر<sup>(332)</sup>.

و لعلنا نتساءل عن الأسباب التي جعلت ابن باديس يرشح أن جلول لرئاسة المؤتمر، يبدو أن هناك أكثر من

سبب وراء ذلك، أن فكرة المؤتمر ولدت في قسنطينة مقر نشاط ابن جلول، الذي له شهرة واسعة بين الناس هناك بالإضافة إلى مكانته المرموقة من الوجهة الفرنسية، لأنه كان على رأس النواب.

الشيخ ابن باديس: و يعتبر الشخصية الرئيسية في المؤتمر، رغم انه لم يضع نفسه في الصدارة، فهو الذي

دعا إليه منذ البداية و هو الذي كان موضع ثقة الجميع مهما اختلفت اتجاهيته، و هو الذي تكلم يوم المؤتمر للجماهير

بلغتها و خاطبها بعواطفها ( عن الدين )، و كان بمظهره المؤثر و قدرته على الخطابة و اقتناعه الشخصي بما كان

يدعو إليه مناط التقدير و الثقة من الحاضرين، وقد عبر ابن باديس شخصيا عن دوره في المؤتمر و نظرته إليه في

اجتماع اللجنة التنفيذية حيث خاطب زملائه قائلاً ، انه يعتز في حياته بعملين هما جريدة المنتقد و مجلة الشهاب من

جهة، وجمعية العلماء من جهة أخرى، وقد إنضاف إليهما عامل ثالث و هو أعظمهما و أكثر فائدة منها و ذلك هو

المؤتمر الإسلامي الجزائري، الذي اعتبره اكبر حادث وقع في الجزائر<sup>(333)</sup>.

مصالي الحاج: هو الشخصية الثالثة في هذه الظروف بعد ابن جلول و ابن باديس، إذ حضر التجمع الشعبي

للمؤتمر ليستمع إلى تقرير الوفد عن رحلته إلى باريس، ألقى مصالي خطبته العامة التي تعتبر في حد ذاتها وثيقة

تاريخية من وثائق السياسة الجزائرية المعاصرة، فقد افتتحها باللغة العربية و التي عبر بها عن فرحته و

عودته إلى ارض الوطن بعد غربة دامت 12 سنة، حيث قال انه يفتخر بالحديث باللغة العربية و يعتز لأنها لغته

الوطنية، ثم تحدث باللغة الفرنسية و أول ما أعلنه إلى الحاضرين انه جاء شخصيا ليربط النجم بهذه المظاهرة الكبيرة،

و أعطي صورة كاملة للحاضرين عن نشاط النجم في فرنسا، و بطريقة لا إرادية اخذ حفنة من التراب الجزائري و

صاح بكل قواه أن هذا التراب لا يندمج في غيره و لا يباع، و نادى لأول مرة فوق هذه الأرض الجزائرية بكلمة

الاستقلال، حيث لقي تجاوبا و حماسا كبيرا من طرف الحضور<sup>(334)</sup>.

<sup>332</sup>- أبو القاسم سعد الله، ج 3، المرجع السابق، ص: 159

<sup>333</sup>- المصدر نفسه، ص: 162

<sup>334</sup>- محمد قنانش، المصدر السابق، ص: 46، انظر ملحق رقم: 6

إضافة إلى حضور شخصيات عديدة كان لها دور كبير في نشاط المؤتمر نذكر منها: الشيخ الطيب العقبي ، السيد بوكردنة، و الأمين العمودي، والدكتور سعدان و الاخضري و غيرهم من الحضور

### موقف الحركة الوطنية من المؤتمر الإسلامي الجزائري:

تشير اغلب المصادر إلى أن المؤتمر اقتصر حضوره على ثلاث قوى رئيسية، هي العلماء و النواب و الشيو عيين الذين أصبح لهم تأثير في الحياة السياسية، بعد وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا قبيل انعقاد المؤتمر بقليل.

هناك من رأى في غياب مصالي عن تحضير المؤتمر بمثابة شل للقضية الوطنية، إلا أن غياب مصالي لا يعني بالقطع غياب أنصاره و حزبه عن كل المناقشات الواسعة عن هذا الأخير<sup>(335)</sup>.

فالنجم لم يشارك بجدية في المؤتمر على الرغم من الخطاب الذي ألقاه مصالي الحاج أمام المؤتمرين و اقر فيه انه قدم إلى الجزائر للمشاركة في الاجتماع الكبير بالملعب البلدي، لكي يشرك منظمنا في هذه المظاهرة الضخمة، " و رغم موافقتنا و تأييدنا بل و تهنئتنا لمنظمي المؤتمر، الذي سيكون نقطة تحول في تاريخ الجزائر، فإننا نقول لكم بصراحة بأنه يجب علينا اليوم أن نقدم لكم توضيحات نراها ضرورية، حقا إننا نوافق على المطالب التي قدمت إلى حكومة الجبهة الشعبية و إننا سنؤيدها بكل قوانا حتى نراها منجزة، و لكننا نقول صراحة و بشكل لا يقبل التراجع بأننا ننتبرأ من ميثاق المطالب بخصوص إلحاق بلادنا بفرنسا، و بخصوص التمثيل البرلماني "، و من هذا كله يتضح لنا بأن موقف النجم مؤيد للمطالب الدينية و الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية، و رفضه للمطالب السياسية التي تمس السياسية الوطنية، فالنجم مطلبه الأول و الأخير هو الاستقلال التام للجزائر<sup>(336)</sup>.

فرجال النجم قد أكثروا من المناورات، فهم لا يشتركون في الإعداد للمؤتمر و لا في تحمل المسؤولية السياسية، و مع ذلك اشتركوا في النقد و في محاولة قطف الثمار حين أن وقت اقتطافها، ولولا التجمع الذي نظمه المؤتمرين لما استطاع مصالي أن يلقي خطبته الشهيرة يوم الثاني من أغسطس فقد وجد الطريق ممهدة و النفوس معدة و الجمع حافلا، منتهزا هذه الفرصة الثمينة لدعوة الشعب للانضمام إلى حزبه<sup>(337)</sup>.

أما عن مشاركة جمعية العلماء في تبني سياسية و مطالب المؤتمر اعتبرت غلطة سياسية كبرى انتقدت عليها، كما انتقد الشيخ عبد الحميد بن باديس و هو المناضل بصلافة عن الشخصية القومية للشعب الجزائري، و قد ذكر لنا الشيخ البشير الإبراهيمي " إن جمعية العلماء لم تشارك في المؤتمر الإسلامي الجزائري، و لم توافق على مطالبه إلا من

335- احمد مريوش، المرجع السابق، ص : 184

336- ابو القاسم سعد الله، ج 3، المصدر السابق، ص: 264 للمزيد انظر الملحق رقم: 6

337- مصدر نفسه، ص: 164

اجل المحافظة على الشخصية الإسلامية للشعب الجزائري، و إن دمج مطالبها في حرية الدين الإسلامي و التعليم العربي، و ترسيم اللغة العربية و تنظيم القضاء الإسلامي<sup>(338)</sup>.

كما يذكر لنا توفيق المدني نفس المبرر في شأن مشاركة جمعية العلماء بان هدفهم كان للدفاع عن الكيان العربي الإسلامي و إدماج المطالب الدينية و العربية ضمن برنامج المؤتمر، لكن كل تلك المبررات لا تعفي من انتقاد مشاركة ابن باديس في المؤتمر، و تبنيه لمطالب التي لا تخرج في عمومها عن نطاق مفهوم الإدماج<sup>(339)</sup>.

ذلك أن مشاركة الجمعية في المؤتمر الإسلامي ليست ضربة مفاجئة للرجعية و أهل الجمود فحسب، بل كانت مزعجة للدوائر الفرنسية أيضا هذا من جهة، و من جهة أخرى فان فشل المؤتمر الإسلامي كان من الحوافز التي دفعت الجمعية إلى الثقة بالحكومة الفرنسية في الحصول على الحقوق المدنية و السياسية التي انعقد المؤتمر الإسلامي من أجلها، و زاد في إيضاح موقف الجمعية من كل الأحزاب و الهيئات السياسية و الدينية و الاجتماعية في البلاد<sup>(340)</sup>.

أما أنصار العلماء فيقولون بأن مشاركتهم لم تكن باسم الجمعية لكن باسم الأفراد الذين كانوا يعبرون عن وجهات نظرهم الخاصة، و قد دافعوا عن ذلك بأن مشاركة العلماء قد منعت الجزائر من الاندماج لان معظم المشاركين في المؤتمر كانوا من أنصاره<sup>(341)</sup>.

و لعل الذي سبب كل هذه التعاليق حول مشاركة العلماء هو شخصية بن باديس، و كثير من الناس لم يفرقوا بين بن باديس رئيس الجمعية و بن باديس رجل مواطن، و المقصود هنا ليس أي عمل إصلاحية ينسب إلى جمعية العلماء و رئيسها، كما نجد احد الكتاب المعاصرين يقول " و لم يكن العلماء على جانب من الخبرة بوسائل الاستعمار في مجال الصراع الفكري.... و لم يكن لديهم من حدة المزاج و صرامة الإرادة ما يكفي حتى يتداركوا الموقف عندما بدأ الوطن يخرج رويدا رويدا من جادته إلى مسارب الديماغوجية<sup>(342)</sup>.

ومع ذلك فقد شاركوا في ذلك التجمع السياسي الكبير بوفد هام إلى جانب الزعماء السياسيين، و كان لهم دورا بارزا في أعمال المؤتمر و مطالبه.

فبقدر ما كان موقف الشيخ بن باديس المعارض شديدا و قطعيا و مفحما للتجنيس و دعائه، كان موقفه مطواعا إلى حد اتجاه زعماء المؤتمر الإسلامي<sup>(343)</sup>.

و يبقى دائما السؤال المطروح، كيف غير الشيخ بن باديس رأيه بسرعة و ناقض نفسه و جمعيته في هذا المؤتمر الذي يتناقض مطالبه و أهدافه مع مطالب و أهداف الجمعية، و توجهاتها التي تتلخص في الشعار الخالد: الإسلام ديننا و العربية لغتنا و الجزائر وطننا.

<sup>338</sup>-ربيع تركي، المرجع السابق، ص: 79

<sup>339</sup>-مرجع نفسه، ص: 79

<sup>340</sup>-عبد الكريم بوصفصاف، المصدر السابق، ص: 216

<sup>341</sup>-ابو القاسم سعد الله، ج 3، المصدر السابق، ص: 164

<sup>342</sup>-عبد الكريم بوصفصاف، المصدر السابق، ص: 332

<sup>343</sup>-يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و الحرب العالمية الأولى، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص: 28

و الجواب هو كلا من بن جلول و الشيخ بن باديس يكملان بعضهما البعض، ولذلك ضحى كلا منهما ببعض مواقفه للحصول على موافقة الآخر و دعمه، فابن جلول كان يرى إن انعقاد المؤتمر بدون جمعية العلماء و الشيخ بن باديس بالذات لا يمكن أن ينال النجاح، و لا ربما لا يمكن عقده أصلا.

أما حركة النواب فكانوا يبررون موقفهم المتخاذل بأن المطالبة بالحقوق الفرنسية ليست إلا مرحلة يجب أن تجتازها الجزائر، كما أن موقف الشيخ الطيب العقبي بالحاجة على الولاء لفرنسا يختلف عن موقف الشيخين بن باديس و الإبراهيمي.

أما الحزب الشيوعي فلم يفوت فرصة أن سجل في بيان مؤتمره الأول ( 18/17 أكتوبر 1936 ) إن قبوله بمطالب المؤتمر لا يعني تنازله على بعض مبادئه الأساسية و يبرز موقفه في البيان الصادر عن مؤتمره ذلك بأن الحزب يساند كل حركة تطرح مطالب مرحلية " فسنظل دائما منتصرين بحماس لوحدة جميع المضطهدين و المشغلين دون تمييز في الاتجاه أو العرق أو الدين.. " لذلك نريد توحيد أنصار السلم و الحرية داخل الجبهة الشعبية و المؤتمر الإسلامي و توحيد نشاط هاتين الحركتين التقدميتين<sup>(344)</sup>.

كما تعاون قادة الحزب الشيوعي الجزائري مع أحزاب الحركة الوطنية في أواخر الأربعينيات دور هام في مساندة جمعية العلماء و التنسيق معها في المؤتمر الإسلامي الجزائري<sup>(345)</sup>.

- موقف الأحزاب الفرنسية و الكولون من المؤتمر الإسلامي:

لما شعرت الإدارة الفرنسية بتلاحم تيارات الحركة الوطنية الجزائرية قبيل موعد سفر الوفد إلى باريس، خصوصا على اثر مظاهرات 14 جوان التي شهدتها العاصمة و المدن الجزائرية الأخرى، لجأت إلى إصدار عدة قرارات في اليوم الذي قرر فيه سفر وفد المؤتمر منها: التدعيم المالي و حرية تنقل الأهالي، و تكوين مكتب خاص للجنة المالية، حيث كان الهدف من وراء هذه القرارات هو تجميع مطالب الوفد من جهة، و من جهة أخرى إسكات التيار الشيوعي الذي استفحل أمره بعد انفصاله عن الحزب الشيوعي الفرنسي، واستخدامه القاعدة العمالية و تحريضها على الإضراب لتحقيق المطالب<sup>(346)</sup>.

إضافة إلى أن الضغط على الجبهة الشعبية لم يكن عائدا كله إلى العوامل الخارجية مثل موقف المعمرين، بل كان يعود أيضا إلى عامل داخلي و هام، وهو أن الجبهة قررت عدم تحمل مسؤولية نهاية الإمبراطورية الفرنسية على يديها، فقد كانت مستعدة لتقديم بعض التسهيلات إلى مختلف الاتجاهات الوطنية الناشئة في الإمبراطورية و النظر بعطف على آمال الشعوب التي تناشد الحرية و تحاول الخلاص من نير الاستعمار<sup>(347)</sup>.

<sup>344</sup>- محمد الميلي، المؤتمر الإسلامي الجزائري، دار هومة، الجزائر، 2007، ص: 452

<sup>345</sup>- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص: 282

<sup>346</sup>- احمد مريوش، المرجع السابق، ص: 187

<sup>347</sup>- ابو القاسم سعد الله، ج 3، المصدر السابق، ص: 31

بعدها انقضى الاجتماع الذي انعقد بالملاعب البلدي يوم 2 أوت وقعت مؤامرة استعمارية قتل فيها المفتي بن دالي المدعو كحول، لغرض ضرب حركة المؤتمر و شل كل تحرك سياسي كيفما كان مصدره، و قد اتهم الشيخ الطيب العقبي و السيد عباس التركي و اعتقلا<sup>(348)</sup>.

فبالنسبة للأستاذ عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون فيقول في هذا الصدد " و هكذا تكيد إدارة الولاية العامة مكيدة مقتل مفتي الجزائر العاصمة، و الإمام الأول بها الإمام الشيخ محمود كحول بن دالي \*، و هو ينتسب لكتلة العلماء المحافظين، و قريب من الإدارة الفرنسية فاشترت شخص بثلاثين ألف فرنك يدعى "عكاشة" فقتله و اتهم السيد الطيب العقبي و السيد عباس التركي محمد علي و هما ينتسبان للصف المقابل لجمعية العلماء المسلمين<sup>(349)</sup>.

أما عمار بوحوش فيقول هو أيضا " و في شهر أوت لقي هذا المفتي حتفه حيث تم اغتياله من طرف شخص مجهول، و لكن السلطات الفرنسية اتهمت الشيخ الطيب العقبي ( الذي هو من الشخصيات المقربة لعبد الحميد بن باديس )، باغتيال مفتي الجزائر و بادرت بإلقاء القبض عليه بدون وجود أي حجة ملموسة "، قيل انه كان يعارض بعض الموظفين السامين الفرنسيين في إدارة الشؤون الأهلية بخصوص احتجازهم لأموال بعض الأوقاف الإسلامية، فتأمروا ضده و عزموا على التخلص منه قبل أن يكشفهم<sup>(350)</sup>.

كانت جمعية العلماء و نادي الترقى من اشد خصوم الإدارة كانت الفرصة مواتية لإلصاق التهمة بالعلماء المصلحين بعد أن وجهت برقية احتجاج ضد وفد المؤتمر الإسلامي إلى الحكومة في يوم 19 جوان 1936، أراد هؤلاء المتآمرون في إدارة الاحتلال أن يضربوا عصفورين بحجر واحد، فاغتالوه و نسبوا الجريمة لجمعية العلماء، و اخصوا بذلك الشيخ الطيب العقبي و كانت عملية الاغتيال بواسطة عصابة إرتشتها الإدارة، و الهدف من وراء ذلك هو القضاء على نادي الترقى و جمعية العلماء و طمس منابع الإصلاح الإسلامي<sup>(351)</sup>.

وقد أثيرت ادعاءات كثيرة حول اغتيال المفتي كحول و قدم الطيب العقبي إلى المحكمة مرات عديدة، ومع ذلك كان موقفه أثناء جلسات المحكمة من شهر أوت 1936 إلى شهر جوان 1939 موقفا شجاعا حتى برئ من التهمة في

348- محمد قناتش، المرجع السابق، ص: 47

349- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص: 37

350- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص: 261

351- عبد الكريم بوصفصاف، المصدر السابق، ص: 286

\* كان الشيخ محمود بن الحاج كحول بن دالي من علماء الدين الجزائريين، ولكنه لم يكن ينتسب لجمعية العلماء أو عضوا فيها لأنه كان موظفا رسميا لدى الحكومة، و تولى تدريس العربية و الشريعة الإسلامية في مدرسة قسنطينة الحكومية فترة من الزمن، ثم نقلته الإدارة إلى مدينة الجزائر فصار محررا في قسم الترجمة في الولاية العامة، ثم عين إماما للجامع الكبير و نائبا لمنفي المالكي بالعاصمة، فأصبح من المقربين إلى الإدارة الفرنسية بحكم منصبه. انظر الملحق رقم: 8

جوان 1939، وقد وقع خلاف في هذا الصدد بين العقبي و زملائه في الجمعية حول هذه الحادثة، ومنذ ذلك الحين أصبح هذا الأخير يميل إلى التيار الموالي للحكومة، فظهر بينه وبين ابن باديس شيء من الخلاف<sup>(352)</sup>.

و جاء يوم 10 أكتوبر 1936 و هو اليوم الذي نشرت فيه جريدة " الوقت " المعادية للتيار الفرنسي، مقالا أبرزت فيه مخاوف فرنسا من إقدام حكومة الجبهة الشعبية على إصدار مراسيم للإصلاحات السياسية و وضع الجميع أمام الأمر الواقع، و أثار هذا المقال احتجاجات كبيرة في الجزائر و في فرنسا ضد حكومة الجبهة الشعبية، التي وجدت نفسها مضطرة إلى إصدار بيان أنكرت فيه وجود أية نية لإصدار مراسيم خاصة بالإصلاحات السياسية و أعلنت ستقدم بمشروع سياسية تتعلق بإعطاء بعض الحقوق السياسية لأبناء الجزائر الأصليين إلى البرلمان الفرنسي لكي يناقشها<sup>(353)</sup>.

وفي الوقت نفسه تحرك أوروبيي الجزائر في عدة اتجاهات فالبرلمانيون منهم طالبوا بوجود طبقتين من المنتخبين الفرنسيين وغيرهم، في حين أن المشروع ينص على وجود طبقة انتخابية واحدة و هناك مثل "اليزي ساباتني" من طالب بتشكيل مجلس اعلى من المسلمين مقره باريس يكون ممنوعا إدارة أي أراء سياسية، ومن الواضح أن تشكيل مجلس منتخب من المسلمين فقط يهدف -عبر التزييف - إلى انتخابات صورية ، تمكن الإدارة التي يسيطر عليها الاستعماريون المتطرفون من تعيين ما يريدون من المسلمين الذين يأترون بأوامرهم ، و هناك من كان يربط حق إعطاء حق التصويت إلى فئة الجزائريين الذين ينص عليهم المشروع ، بتخليهم عن الأحوال الشخصية فهو ما كانت ترفضه اغلب التيارات التي تشكل عنها المؤتمر الإسلامي ومما لا شك فيه أن الأوروبيون يشترطون هذا الشرط لأنهم يعرفون أن معظم الجزائريين يرفضونه، و في سياق حملة أوروبيي الجزائر تلك أعلن نوابهم في البرلمان عن أنهم يستقلون إذ قدم المشروع للنقاش<sup>(354)</sup>.

إذن فسلطة الكولون تدبير ضروري يجب أن يبقى ويسود للإبقاء على هذه السلطة المطلقة يلجا المستعمرون دائما إلى العنف وإنشاء وحدات قمع مسلحة و إطلاق يدها على الأهالي.

ومضت هذه الحملة المغرضة التي يدفعها و يمولها كبار المستعمرون موري نو و دوروا و بورجو وسيكار و غيرهم تتفاقم وتتعاظم بواسطة هذه الفئة ووفودها ومكائنها تعمل في ناحيتين وتحارب في واجهتين، واجهة نحو الحكومة الشعبية لتأليب الأحزاب اليمينية المتطرفة عليها و الواجهة الأخرى نحو الشعب الجزائري وضرب الحركة الوطنية وتشيتت أحزابه وأفراده والتالي تقضي على أي تحرك مهما كان نوعه و لو بالقوة الغاشمة أن لزم الأمر<sup>(355)</sup>.

فقد غادر ليون بلوم رئاسة الحكومة دون أن يتمكن من انجاز أي واحد من الوعود التي التزم بها وقد سلك كاميل شانطون مسلكه عندما خلفه في رئاسة الحكومة من جوان 1937 إلى جانفي 1938 ثم إن بعض الشخصيات الفرنسية

352- عبد الكريم بوصفصاف، المصدر السابق، ص: 288

353- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص: 262

354- محمد الملي، المصدر السابق، ص: 467

355- فرحات عباس، المرجع السابق، ص : 139

التي أسندت إليها مسؤوليات تتصل بالجزائر بسبب ما عرف عنها من تحرر لم تلبث أن تراجع فالسيد اوبان و هو مسؤول عن الشؤون الجزائرية في وزارة الداخلية ليتفقد الأوضاع ويعود بما يعزز خط المشروع وبعد عودته أدلى بتصريح إلى صحيفة لوماتان جاء فيه " أن السؤال المطروح هو هل نريد أو لا نريد أن نحفظ بالجزائر ففي ما آدا كنا نريد الحفاظ على مكانتنا فيجب أن نمارس في المستعمرة سياسة سلطة حازمة ، أن تطبيق تدابير استثنائية صارمة ضروري للقضاء على عمل المشاغبين

و جاء هذا الإعلان بمثابة تمهيد و تحضير لحملة منسقة قام بها ممثلو الأوروبيون في البرلمان الفرنسي ورؤساء البلديات في الجزائر الذين قاموا بإضرابات كانت نتيجتها إصابة الإدارة الجزائرية بشلل تام<sup>(356)</sup>.

دق ناقوس الخطر بالنسبة للمعمرين من خلال مناقشة مشروع بلوم فيوليت، فجنودا صحافتهم و ممثلهم في البرلمان الفرنسي ( لم يكن للجزائريين ممثلون هناك )، و أموالهم لمنع الموافقة على المشروع، و قد استعملوا ضغطا آخر و هو الاستقالة الجماعية من الوظائف العامة، كما حدث عندما استقال حوالي 390 شيخ بلدية في 8 مارس 1938 ثم تعاقبت الاستقالات، و أمام هذه الضغوط و التهديدات قررت حكومة السيد دلادية الجديدة وضع حد للمشروع<sup>(357)</sup>.

إلا أن السيد البيرو صارو وزير الداخلية حاول أن يتقدم بمشروع قرار إلى البرلمان يعطي لحوالي 27 ألف جزائري نفس الحقوق التي يتمتع بها المعمرين، حيث أن النخبة حملة الشهادات العلمية و أصحاب الأوسمة و الموظفين الإداريين، يفقدون تماما حالتهم الشخصية الإسلامية و يصبحون إجباريا فرنسيين كليا، أما بقية المسلمين فلم حرية البقاء على الحالة الإسلامية وهم بذلك يؤلفون كتلة انتخابية خاصة بهم و لهم الحق في إرسال من يمثلهم في مجلس النواب الفرنسي على نسبة عدد الممثلين الفرنسيين<sup>(358)</sup>.

لكن هذه الخطوة أثارت سخط هؤلاء، و كان هدف صارو من ذلك هو منع الجزائريين من الانجذاب نحو حركة الجامعة الإسلامية أو القومية العربية، غير انه كان يدرك جيدا أن مجلس الدولة الفرنسي يستطيع أن يرفض المراسيم الحكومية التي لا تستند على قواعد قانونية معترف بها في التشريع الفرنسي<sup>(359)</sup>.

بل أن شخص مثل البيرو صارو قد نسب إليه القول بان المشروع لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كانت أمام باريس، حركة إسلامية يستبعد منها علماء الإصلاح الديني<sup>(360)</sup>، حيث تكفل المستوطنون و من وراءهم الولاية العامة التي كانت تحت سيطرتهم ليظهروا للحكومة المركزية أن الجزائريين مقدمون على ثورة ضد الحكم الفرنسي<sup>(361)</sup>.

356 - محمد الميلي، المصدر السابق، ص: 468

357 - ابو القاسم سعد الله، ج 3، المصدر السابق، ص: 76 77

358 - المصدر نفسه، ص: 79

359 - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص: 262

360 - Charles Robert Ageron, Histoire de L'algerie, contemporaine 1871-1950, tome 2, pains : puf, 1979, P : 458

## المؤتمر الإسلامي ونتائجه

يعتبر المؤتمر الإسلامي الجزائري الذي انعقد بالعاصمة في السابع من يونيو سنة 1936 أول تجمع من نوعه في الجزائر، فلم تعرف الجزائر طيلة أكثر من قرن تجمعاً تشترك فيه كل الاتجاهات وتمثل فيه مختلف الطبقات وتبرز خلاله وحدة الصف والكلمة على مطالب معينة مثل ما حدث في المؤتمر المذكور.<sup>362</sup>

وفي هذا الصدد نرى بأن فكرة عقد المؤتمر الإسلامي انطلقت من قسنطينة وبتوجيه من د. محمد الصالح بن جلول "زعيم جماعة النخبة الذي نقلها بدورها إلى الشيخ" عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء الذي رحب بها وشرع في الإعداد لها إلى أن تحققت بانعقاد المؤتمر.<sup>363</sup>

وفي هذا المجال يؤكد أحد الكتاب أن المؤتمر الإسلامي الجزائري هو عبارة عن تجمع يتألف من قوتين عظيمتين رئيسيتين هما: اتحادية النواب المسلمين الجزائريين بهذه المناسبة، وللمرة الأولى عن موقفها المعلن بصريح العبارة في قانونها الأساسي وهو الامتناع عن ممارسة أي نشاط سياسي، وانضم الحزب الشيوعي الجزائري، إلى هذا التجمع الذي كان يسعى إلى تحقيق هدف مشترك هو: الاندماج أو الارتباط بين الجزائر وفرنسا.<sup>364</sup>

ولقد كان انعقاد المؤتمر مخيم بالظروف الداخلية والخارجية إلى انعقاد جملة من المؤتمرات الإسلامية خلال فترة العشرينات والثلاثينات ولقد كان أهمها:

- مؤتمر الخلافة بالقاهرة .

- المؤتمر الإسلامي بالقدس .

- مؤتمر مسلمي أوروبا بجنيف .

أما الصفوف الداخلية فتمثلت فيما يلي :

- ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931 .

- نجاح المنتخبين الجزائريين 1934 في الانتخابات البلدية .

- ميلاد الحزب الشيوعي الجزائري 1936.<sup>365</sup>

قابلت فرنسا المؤتمر الإسلامي بمشروع بلوم فيوليت والذي فتح المجال أكثر للإدماج، دفع الجمعية إلى رفضه كيف لا وعلى رأي مالك بن نبي "فبأي غنيمة أرادوا أن يرجعوا من هناك (باريس) وهم يعلمون أن مفتاح القضية في روح

<sup>361</sup> - عبد الرحمان ابراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص: 36

<sup>362</sup> - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 151 .

<sup>363</sup> - مومن العمري: المرجع السابق، ص 51 .

<sup>364</sup> - بن يوسف بن خدة: جذور أول نوفمبر، ط2، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص 77 .

<sup>365</sup> - انظر الملحق رقم (07)، ص 73 .

الأمة لا في مكان آخر؟"، هنا ينصب مالك بن نبي إلى الأمور التي آلت إليها المؤتمر الإسلامي<sup>366</sup>، هذا وقد سبق لعقد هذا المؤتمر بنادي الترفيه ضم ممثلي العملات الثلاث ودعاة المؤتمر وتم فيه تحديد جدول أعمال جلسات المؤتمر وتنظيمه وسير أشغاله وتحديد أعضاء مكتبه وخطاباته (\*\*\*) كما تم فيه تسمية المؤتمر الإسلامي الجزائري العام.<sup>367</sup>

ولقد تمحورت مطالب المؤتمر الإسلامي التي كانت من تدخلات جمعية العلماء المسلمين وجماعة النخبة والشيوعيين وقد كانت كالتالي :

-إلغاء المعاملات الخاصة بالجزائريين (الأند جينا .

-إلغاء المجالس العسكرية وأعطيات الجندية .

-تسوية نواب الجزائريين بالنواب الفرنسيين في جميع المجالس .

-توحيد النيابة البرلمانية بكلا المجلسين "مجلس الجزائريين ومجلس المعمرين ."

-المساواة في الحقوق والواجبات .

-إلغاء الولاية العامة (منصب الحاكم العام)

-إلغاء البلديات المختلطة ومجلس الوفود المالية والمجلس الأعلى للحكومة .

-العفو عن المحكوم عليهم في حوادث قسنطينة (1934) .

-تكريم الرجال الذين عملوا لخير الجزائر كالأمر خالد، وفيوليت وموتي، وروزي .

-عقد المؤتمر على نفس المبادئ والأهداف.<sup>368</sup>

وقد انتهت أشغال المؤتمر بتوصية من تشكيل وفد هذا الوفد يسهر على نقل برنامج(\*) مطالب المؤتمر الإسلامي إلى "ليون بلوم" وغادر الوفد إلى العاصمة في 23 جويلية 1936 وسلمت المطالب إلى رئيس الحكومة الفرنسية وبعدها أطلقت عليها تسمية ميثاق مطالب الشعب الجزائري المسلم.<sup>369</sup>

ولكن نرى بعد عودة الوفد إلى الجزائر البلد الأم، دعى إلى عقد تجمع شعبي بالملعب البلدي الغرض منه في 02 أوت 1936 هو إعطاء تقرير مفصلا عن مهمتهم في باريس، ويصادف هذا اليوم عودة مصالي إلى الجزائر الذي توجه مباشرة إلى الملعب البلدي، وفي نهاية اليوم ألقى مصالي الحاج كلمة مؤثرة تعبر عن موقف النجم من المؤتمر

<sup>366</sup>- تم الاتفاق على اسناد رئاسة المؤتمر إلى الدكتور ابن جلول، أما المكتب فتكون من السادة من الجزائر العاصمة: داتا مزالي، داشير عبد الوهاب، محمد الطاهر طيار الصيدلي، عبد الرحمان بوكردفة، عن قسنطينة: عبد الرحمان بن خلاف، د.سعدان، الصيدلي فرحات عباس، وهران: السيد محمد بن سليمان، د.الجيلالي بن النعماني، السيد محمد لالوت عن العلماء: عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي

<sup>367</sup>- عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 252

- \*بلوم هو رئيس الوزراء في حكومة الجبهة الشعبية، وفيوليت كان حاكما للجزائر خلال العشرينات وعين في هذه الحكومة <sup>369</sup>- كريمة عرار: دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حشد دعم المشرق العربي للثورة التحريرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، قسم التاريخ 2005-2006، ص 19 .

الإسلامي، لكن رغم تلك المطالب البسيطة قوبلت من طرف الإدارة الفرنسية بالإهمال وعدم المبالاة وكان مصيرها الفشل في نهاية المطاف.<sup>370</sup>

وفي الأخير نجد أن المؤتمر الإسلامي هو اللب الوحيد لتوحيد مطالب الحركة الوطنية الجزائرية ضد السياسة الفرنسية المنتهجة (القمعية، التعسفية، الاضطهادية) ومهما قيل بشأنه فإنه سجل محطة هامة في مسار النضال الوطني من جهة ومعرفة نوايا الإدارة الوطنية من جهة أخرى.<sup>371</sup>

#### أولاً: تأثيراته على نشاط التيار الإدماجي:

لم تفقد النخبة الأمل في إمكانية نجاح المشروع، فعقد فرحات عباس عدة لقاءات مع " البير سارو" الذي أصبح وزيراً للداخلية الفرنسية في عام 1937، و أوضح فيها شرعية المطالب الجزائرية، وكانت النخبة لا تزال ترى أن الحل الأمثل للمشكلة الجزائرية هي دمج الجزائري بالفرنسي، وقد اقتنع "سارو" بالحجج التي أدلى بها فرحات عباس، ولكنه اعترف بعجزه أمام قوة الاستعماريين و قال " استقبلت في هذه الأيام بعد النواب الأوروبيين و تناقشت معهم في مشروع فيوليت، و أدليت لهم بنفس الحجج التي عرضتها أنت على، حاولت عبثاً أن أقنعهم وناشدتهم أن يتفهموا لها باسم وطنيتهم و عقولهم و قلوبهم، و لكنني أدركت بان هؤلاء السادة لا وطنية لهم ولا عقل ولا قلب، ما هم إلا بطون منتفخة"<sup>(372)</sup>.

فوجه المؤتمرون الدعوة إلى النخبة الجزائرية للاستقالة من مناصبهم إذا لم توافق الجبهة الشعبية على المشروع، و بالفعل لبي النداء حوالي 3000 جزائري في منطقة قسنطينة فغادروا مكاتبهم لكن الاستجابة كانت ضعيفة في المناطق الأخرى<sup>(373)</sup>.

غير أن الإدارة الفرنسية في الجزائر حاولت تهدئة الموقف و أعلنت أن مشروع بلوم فيوليت سيطرح للمناقشة أمام البرلمان الفرنسي و إزاء ذلك الموقف عاد أعضاء النخبة إلى مناصبهم مرة أخرى، غير أن الأمر باء بالفشل بين الطرفين<sup>(374)</sup>.

حاولت النخبة مرة أخرى التفاوض مع الحكومة الفرنسية للموافقة على المشروع، فانعقدت دورة ثانية للمؤتمر الإسلامي بين 9 و 11 جويلية 1937 بناي الترقى دون مشاركة حزب الشعب، و جددوا تمسكهم بمطالب المؤتمر الأول و أرسل وفد إلى باريس لتقديم المطالب الجزائرية، و قابل رئيس وزراء فرنسا الجديد " دلاديه"، حيث أجاب هذا الأخير أعضاء الوفد مهدداً بالقول: " إن البرلمان معارض لمشروع فيوليت لأنه يرى أن الجنسية الفرنسية

<sup>370</sup> - مومن العمري، المرجع السابق، ص 52 .

<sup>371</sup> - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 158 .

<sup>372</sup> - ناهد إبراهيم دسوقي، المرجع السابق، ص: 226

<sup>373</sup> - مرجع نفسه، ص: 228

<sup>374</sup> - مرجع نفسه، ص: 229

لا تتلائم و قانون الأحوال الشخصية الإسلامية، ولذا ليس بيدي شيء و اطلب منك إعانتني على حفظ الأمن و لا تضطروني إلى استخدام القوة التي بحوزة فرنسا، لان فرنسا امة قوة الجانب <sup>(375)</sup>.

وكان هذا القول بمثابة ضربة وجهت إلى الأمل الأخير الذي كان يدفع النخبة إلى بذل المزيد من الجهد، حيث رد فرحات عباس قائلاً: " إن احترام حقوق الإنسان أكثر أهمية مي أي قوة، والسياسية التي تفسح للأمال طريقاً دون تحقيقها، وتلوح بالعودة دون أن تفي شيء منها، لا هي سياسية تؤدي إلى القطيعة. و ستتحمل الحكومة الفرنسية مسؤولية هذه السياسية الخرقاء أمام التاريخ <sup>(376)</sup>.

وأجاب الشيخ ابن باديس قائلاً: " لا حوله و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، الحق بجانبنا والحق يعلو و لا يعلى عليه، و مهم يكون من أمر فإننا مستمرين في كفاحنا، أحب من أحب و كره من كره <sup>(377)</sup>.

و قد أدرك ابن باديس مذ خيبت الحكومة الفرنسية أماله و أمال إخوانه برفض الاستجابة لمطالب المؤتمر الإسلامي المتواضعة، ادر كان ذلك يمثل فاصلاً بين مرحلتين متميزتين من تاريخ النضال الجزائري، مرحلة ما قبل المؤتمر الإسلامي، و عبر عنها الشاعر الذي وضعه على واجهة صحيفة " الشهاب " حتى عدد أكتوبر 1937، وهو: " الحق و العدل و المؤاخاة، في إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات"، معبراً بذلك عن فكرة السعي إلى تحقيق المساواة استناداً إلى تفهم فرنسا الذي لم يتحقق. أما بعد إخفاق المؤتمر، فقد استبدله بشعار آخر يعبر عن اليأس من فرنسا، و ضرورة الاستعداد بالتوكل على الله لخوض معركة المضير، وهو: " لنعول على أنفسنا، و لننتكل على الله <sup>(378)</sup>.

بدأت النخبة في الابتعاد عن الفرنسيين بعد ان ايفنت بعدم جدوى التعامل معهم و اتجهت الى الكتلة الوطنية، وكان الدكتور بن جلول اول من قام بالخطوة الاولى في هذا المجال <sup>(379)</sup>، فأعلن في عام 1938 عن تنظيم يحمل اسم التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري <sup>(380)</sup>، و كان التنظيم يضم جماعات مختلفة من العلماء مثل ابن باديس و بعض الاتحادات التجارية و رجال الحزب و مجموعة من اعضاء حزب الشعب الجزائري، و قد اكدا هذا الاتحاد على المطالب الاصلاحية التي كان المؤتمر الإسلامي الأول قد أعلنها من قبل و أهمها: الإعراف باللغة العربية كلغة رسمية للبلاد، و حرية الصحافة العربية، إلغاء القوانين الإستثنائية، المساواة في الأجور و فرص العمل بين الأوروبيين والمسلمين، منح المساعدات المالية للفلاحين و إيجاد هيئة إنتخابية واحدة مع تطبيق مبدأ الإقتراع العام <sup>(381)</sup>.

<sup>375</sup> - بشير ملاح، المصدر السابق، ص: 385

<sup>376</sup> - المصدر نفسه، ص: 385

<sup>377</sup> - ناهد إبراهيم دسوقي، مرجع سابق، ص: 228

<sup>378</sup> - المرجع نفسه، ص: 229

<sup>379</sup> - المرجع نفسه، ص: 229

<sup>380</sup> - عمار بوحوش، مرجع سابق، ص: 235

<sup>381</sup> - ناهد إبراهيم دسوقي، مرجع سابق، ص: 229

أما فرحات عباس فقد انفصل عن بن جلول و كون في افريل 1938 الإتحاد الشعبي الجزائري، و اعلن ان هدف الإتحاد هو الدفاع عن حقوق الشعب الجزائري و حق المواطنة الفرنسية التي كان بن جلول قد تعهد بالمطالبة بها منذ عام 1937<sup>(382)</sup>.

و خلال الحرب العالمية الثانية حاول فرحات عباس و أنصاره أن يستغلوا فرصة إنهاء الحكومة الفرنسية في باريس و يتفاوضوا مع حركة المقاومة الفرنسية في الجزائر بشأن الاعتراف بالحقوق السياسية للجزائريين مقابل التعاون مع فرنسا، و خاصة ان " دارلان " و " جيرو " قد طلبا من السكان المسلمين مساعدة فرنسا في التخلص من الاحتلال الالمانى، و مقابل ذلك ستأخذ فرنسا مطالبهم السياسية بعين الاعتبار، فقد قام فرحات عباس في بداية 1943 بتحرير بيان وقعه مع 28 شخصية سياسية من زملائه المنتخبين، و أبدوا فيه استعدادهم للمشاركة في المعركة من اجل تحرير فرنسا و لكن بشرط ان تلتزم فرنسا بعدم السماح لاية تفرقة عنصرية بين الافراد، و اكدوا في البيان على ضرورة اعطاء الحقوق السياسية للجزائريين و منح حرية التعبير للجميع، كما طالبوا بعقد مؤتمر للمنتخبين و ممثلي جميع المنظمات الاسلامية و ذلك بقصد اعداد قانون يتضمن جميع المسائل السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية<sup>(383)</sup>.

لكن " جيرو " ممثل حركة المقاومة الفرنسية في الجزائر اظهر معارضته و عدم ميالاته بهذا البيان حيث اجاب الوفد الجزائري الذي جاء لمقابلته بعد ذلك بانه منشغل بالحرب و ليس بالسياسية، و بالرغم من هذا الرد السلبي، فلم يستسلم فرحات عباس و 28 من زملائه المنتخبين حيث قاموا يوم 10 فيفري 1943 باصدار وثيقة جديدة اطلقوا عليها اسم " بيان الشعب الجزائري "، ثم اضافوا اليها مشروعهم للاصلاحات السياسية و الاقتصادية، و قاموا بتسليم الوثيقتين الى الجنرال ديغول يوم 10 جوان 1943، كما سلموا في نفس الوقت نسخا اخرى الى الجنرال " كاترو " الذي عين في سنة 1943 مسؤولا عن الجزائر، و تتلخص نقاط البيان في المطالبة بانشاء دولة جزائرية يكون لها دستور الخاص بها، يتم اعداده من اعضاء في مجلس جزائري انتقالي منتخب من طرف جميع سكان الجزائر<sup>(384)</sup>.

و بعد رفض المشروع الذي تقدم به فرحات عباس الى السلطات الفرنسية في الجزائر، قرر هذا الاخير ان يقترب من مصالي الحاج زعيم حزب الشعب و الشيخ البشير الابراهيمي زعيم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و الحزب الشيوعي الجزائري، و بدأ العمل من اجل التحالف معهم ضد الجالية الاروبية في الجزائر<sup>(385)</sup>.

### ثانيا: تأثير المؤتمر على التيار الإصلاحى:

لقد فوجئت الإدارة الفرنسية حيث أدركت أن جمعية العلماء هي اشد خصومها خطرا و أكثرها تأثيرا على الأوساط الشعبية، و ذلك لتقارب وجهات نظرها مع تيارات الحركة الوطنية، ومن هنا أصبحت الإدارة الفرنسية تسعى إلى محاربتها و إفشال مخططها الإصلاحى و إحباط مشاريعها الوطنية، حيث اتهمت جريدة الطان الباريسية

382- المرجع نفسه، ص : 230

383- عمار بوحوش، مرجع سابق، ص: 236

384- المرجع نفسه، ص: 236

385- المرجع نفسه، ص: 237

الصادرة في 21 فيفري 1936 العلماء بمحاولة تهيج الرأي العام الجزائري، و ركزت في كلامها بان ابن باديس و العقبي هم رأسا العلماء قد جمع في نادي الترقى كل الذين يعملون على تحطيم النفوذ الفرنسي باستعمال الوسائل المختلفة بمثابرة و دقة<sup>(386)</sup>.

فابتداء من شهر جويلية 1936 بدأت جمعية العلماء تعاني من المشاكل التي نجمت عن تزعمها المؤتمر الإسلامي و تعاونها مع الأحزاب السياسية الأخرى، بقصد الحصول على التمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي و الحرص على الشخصية العربية والدفاع عنها وتمسك الجزائر بها<sup>(387)</sup>.

إن سنة 1938 كانت البداية لتقلص النفوذ السياسي للجمعية و تعرضها لازمات داخلية و مواجهات عديدة مع الإدارة الفرنسية، فمنذ بداية 1938 قررت فرنسا أن تمنع الأناشيد الوطنية، كما صدر مرسوم 13 جانفي 1938 يقضى بفرض رقابة مشددة على نوادي جمعية العلماء، و منعها من القيام بأي نشاط ثقافي أو سياسي إلا بعد الحصول على الموافقة من الإدارة الفرنسية، ثم جاء بعد ذلك مرسوم 8 مارس 1938 يقضي بعدم السماح لأي معلم بفتح مدرسة في الجزائر إلا بعد الحصول على إذن من الإدارة الفرنسية، و قد اعتبر ابن باديس هذا اليوم الذي صدر فيه هذا المرسوم بأنه اكبر يوم مشؤوم في تاريخ الإسلام بالجزائر<sup>(388)</sup>.

كذلك في ربيع 1938 اصدر الوالي العام في الجزائر منشور إلى رؤساء الأقاليم الجنوبية يقضي بإلقاء القبض و سجن كل طالب ينتسب إلى جمعية العلماء يقوم بالدعاية لصالح الجمعية<sup>(389)</sup>.

و في نفس السنة أمر حاكم قالمة بمحاربة القائمين بالتعليم في كل مدارس هذه المدينة، و لقد استعملت الإدارة الاستعمارية وسائل عدة في محاربتها للجمعية و أعضائها<sup>(390)</sup>، الذين الحو على ضرورة الحفاظ على عروبة الجزائر وإسلامها<sup>(391)</sup>، و من هذه الوسائل أما قوانين صادرة عن مجلس الأمة في فرنسا في ظروف مختلفة و الأسباب متعددة و إما قرارات إدارية فردية مصدرها الحكام العامين في الجزائر، و مرد هذه القرارات اعزات بوليسية توجيهها اليد الاستعمارية<sup>(392)</sup>. كما صدر مرسوم أوت 1939 الذي يقضي بمصادرة جميع الجرائد التي تتعرض على قضايا الأمن الوطني، و بذلك أصيبت صحافة العلماء بالشلل التام و تم تجريد نشاطها السياسي عن طريق فرض هذه القيود على مناضليها<sup>(393)</sup>.

386- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص: 261

387- جنيدي خليفة، مصدر سابق، ص: 184

388- عمار بوحوش، مرجع سابق، ص: 263

389- عبد النور خيثر، منطلقات و أسس الحركة الوطنية، منشورات المؤسسة الوطنية، المطبعة الرسمية، ص: 292

390- عبد الكريم بو صفصاف، المصدر السابق، ص: 209

391- يحي بو عزيز، سياسية التصلط الاستعماري و الحركة الوطنية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص: 100

392- عبد الكريم بو صفصاف، المصدر السابق، ص: 210

393- Charles Robert Ageron, opcit, P :347

و عقب صدور هذا القرار عقدت بنادي الترقى اجتماعات ضمت ابرز قادة الجمعية، حيث درسوا الإجراءات التي يمكن اتخاذها لإجراءات 8 مارس، و ووال البصائر لسان حال الكتابة لهذه الجمعية، و لما انتهت المسألة إلى النيابة المالية ( و هي أعلى نيابة في الوطن ) بواسطة النواب المسلمين قدمت لهم الحكومة وعودا بحلها و لكن دون جدوى، لان الإدارة الفرنسية في الجزائر حاولت اقتلاع جذور الثقافة العربية و القضاء على الشخصية الوطنية، بالرغم من أن السلطة المستعمرة قد عطلت الكثير من المدارس التابعة للجمعية<sup>(394)</sup>.

إضافة إلى سجن و فرض غرامات مالية على معلمي الثقافة العربية و محاكمتهم كمجرمين، و نفت بعض من زعمائها الشيخ البشير الإبراهيمي نائب رئيسا لابن باديس، و الرئيس الثاني للجمعية حكم عليه بالنفي إلى آفلو بسبب امتناعه عن التحدث إلى الشعب في الإذاعة الجزائرية، بهدف حث الجزائريين على الوقوف بإخلاص إلى جانب فرنسا في حربها ضد دول المحور، لم يسمح له بالدخول إلى الجزائر إلا بعد دخول الحلفاء شمال إفريقيا سنة 1943.

كما ظل الشيخ ابن باديس موقفا عن النشاط في قسنطينة بعد قيام الحرب العالمية حتى وفاته في 16 أبريل 1940، و سجن الأمين العمودي و فرحات الدارجي و هما شخصيتان بارزتان يوم 16 نوفمبر 1939 بسبب الدعاية في أوساط الجزائر بإلقاء المحاضرات في نادي الترقى، واهم حدث سجل في شهر نوفمبر 1939 في جمعية العلماء هو إيقاف جريدة البصائر و مجلة الشهاب عن الصدور، و هما القطبان الرئيسيان في دعوة الجمعية خلال الثلاثينيات مما احدث فراغا سياسيا و ثقافيا كبيرا في أوساط قرائها، هذا علاوة على أن إدارة الاحتلال قد شددت الرقابة على كل المطبوعات، و صادرت خلال شهر نوفمبر 4 آلاف منشورا كانت تحمل تهاني ابن باديس لقراء صحف الجمعية بمناسبة عيد الفطر<sup>(395)</sup>.

لقد تعرضت الجمعية خلال الثلاثينيات إلى أزمة داخلية كانت لها علاقة وثيقة بشخصية الشيخ الطيب العقبي، الذي كان الشخصية الثانية بعد عبد الحميد بن باديس في جمعية العلماء قبل انسحابه من عضويتها، حيث قان الشيخ العقبي بإرسال برقية للحكومة الفرنسية سنة 1938 حدد فيها بوضوح موقفه من زملائه الآخرين، و انتهى به الخلاف مع ابن باديس إلى تقديم استقالته و الانسحاب نهائيا من الجمعية، ثم قام بتأسيس جمعية دينية باسم " الإصلاح الإسلامي "، و جعل لسان حالها جريدته القديمة " الإصلاح " و أضحى مواليا للإدارة الفرنسية و هو الولاء الذي لم يحد عنه فيما بعد<sup>(396)</sup>.

وجد العلماء أنفسهم من خلال جمعيتهم منخرطين و مشتركين في إصلاح تاريخي و اجتماعي و سياسي حاسم ضد الإدارة المدنية و القانونية للاحتلال، و رغم الصعوبات الشديدة التي كانت تواجه رواد جمعية العلماء، إلا أنهم استطاعوا أن يتجاوزوا كل تلك العراقيل و يؤسسوا نهضة وطنية دينية و ثقافية إلى جانب الإصلاح الاجتماعي، حيث أسست جمعية العلماء ما يزيد عن 130 فرع لها سنة 1937، لكن النجاح الكبير الناجح الكبير للجمعية كان في بناء المدارس و المعاهد الثقافية و المراكز<sup>(397)</sup>.

تمكنت جمعية العلماء من نشر أفكارها التحريرية في جميع أنحاء الجزائر و تبليغ الرسالة السياسية و الثقافية و الإعلامية إلى جميع السكان المسلمين بالجزائر و بالخارج، و بالرغم من توقف جريدة البصائر عن الصدور غداة قيام

394- عبد الكريم بو صفصاف، المصدر السابق، ص: 212

395- مصدر نفسه، ص: 213

396- علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، ج 2، ص: 122

397- احمد صاري، المرجع السابق، ص: 118

الحرب العالمية الثانية فإنها قد استأنفت صدورها عام 1947، ولم تتوقف عن الصدور إلا بعد قيام حرب التحرير في أول نوفمبر 1954، و انضمام الجمعية إلى جبهة التحرير سنة 1956.

### تأثيراته على نشاط التيار الاستقلالي:

بعد تولي الجبهة الشعبية للسلطة في فرنسا سنة 1936، و إصدار العفو العام عاد مصالي الحاج من منفاه إلى فرنسا، و تقدم على حكومتها بمطالب تضمنت تشكيل برلمان جزائري منتخب، و اثر انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري أعلن النجم عن دعمه للمطالب التي تخدم المصلحة العامة للجماهير، و رفضه لمطالب الأقلية في إشارة واضحة للإدماج و التجنيس، و عندما فشل مصالي الحاج في إقناع وفد المؤتمر الإسلامي بالتخلي عن فكرة تمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي وفي التجنيس، قرر الحزب بزعامته نقل نشاطه لأول مرة للجزائر<sup>(398)</sup>.

بعد الانتقادات التي وجهها النجم إلى مؤسسي المؤتمر الإسلامي، قررت الحكومة الفرنسية اتخاذ إجراءات للقضاء على النجم و إنهاء وجوده القانوني، و كانت الإشاعة في أواخر عام 1936 تحدثت عن تطبيق الحكومة القانون الصادر في 10 جانفي 1936 بحق النجم، ويعطي هذا القانون رئيس الجمهورية وحده حق إعلان حل المنظمات التي تهدد وحدة البلاد و ذلك بموجب مرسوم يتخذ في مجلس الوزراء.

<sup>398</sup>-عبد النور خيثر، المرجع السابق، ص: 255

## قائمة المصادر والمراجع

1. حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2007.
2. احمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1995.
3. أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج4، ط10، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1995.
4. احمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية، ط 1، دار هومة، الجزائر، 2007
5. ادريس خضير، البحث في تاريخ الجزائر الحديث، ج 1، دار الغرب للنشر و التوزيع،
6. بسام العسلي ، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي.
7. بشير ملاح ، تاريخ الجزائر المعاصر ( 1830-1989 ) ، ج 1 ، الجزائر ، دار المعرفة ، ( ب.س.ط )
8. بشير ملاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
9. بن يوسف بن خدة: جذور أول نوفمبر، ط2، دار الشاطية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.
10. جمال قنان، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر.
11. جمال قنان، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر في الحديث و المعاصر .
12. جمال قنان، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر.
13. حمدان بن عثمان خوجة، المرأة ، ترجمة: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1972.
14. رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة العربية الاسلامية في الجزائر المعاصرة، ط 2، موفم للنشر، 2003.
15. سعد الله ابو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ( بداية الاحتلال ) ، ط 3 ، الجزائر ، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع ، 1982 .
16. سعد الله أبو القاسم، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط 1، لبنان، 2005، ص 45، سماني محفوظ، الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، ترجمة محمد الصغير بناني، عبد العزيز بوشعيب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.
17. سعد الله، ابو القاسم ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج 1 ، ط 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1981.
18. سعد الله، ابو القاسم ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج 1، ط 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981 .
19. سعد الله، ابو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، دار البصائر، دط، الجزائر، 2007، ج 3،
20. سعيد بو شعير، النظام السياسي الجزائري، ط 2، دار الهدى، الجزائر، 1993.

21. شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1971 إلى التحرير 1954، ترجمة جمال الدين القاضي، نادية الأزرق، فتحي سعدي، حسين بن قرين، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2008، ج2.
22. صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر (من عهد الفينقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق.م - 1962 م)، (ب.ط)، دار العلوم للنشر و التوزيع، (ب.س.ط).
23. صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر (1830-1925)، (ب.ط)، الجزائر، مديرية النشر لجامعة 08 ماي 1945 قالمة، 2010.
24. عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881-1908 جانبها العسكري والسياسي، دار هومة، الجزائر 2013.
25. عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
26. عبد الرحمان إبراهيم العقون، الكفاح القومي و السياسي، ج 1، الجزائر، 1984.
27. عبد الرحمان الجيلاني بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج 4، ديوان المطبوعات، 1982.
28. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3. ديوان المطبوعات، 1982.
29. عبد الرحمن المودن، عبد الرحيم بن حادة، العثمانيون و العالم المتوسط مقاربات جديدة، ط 1، 2003، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء. المغرب.
30. عبد السيد شريط، محمد الملي، الجزائر في مرآة التاريخ.
31. عبد القادر خليفي، الشيخ بوعمامة وقضية الأمان، مجلة حولية المؤرخ، العدد الثاني سنة 2000.
32. عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2010.
33. عبد النور خيثر، منطلقات و أسس الحركة الوطنية، منشورات المؤسسة الوطنية، المطبعة الرسمية،
34. عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، 1425هـ/2004م.
35. عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، الجزء الثاني، المطبعة الملكية، الرباط 1979.
36. عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي (1830-1960)، ترجمة جوزيف عبد الله، دار الحداثة، ط1، لبنان، 1983.
37. على دبوز، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، ج 2.
38. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962.
39. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962، ط 1، بيروت، دار العرب الاسلامي، 1997.
40. عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط 1، الجزائر، دار ربحانة، 2002.
41. قندز حنان، بشير زهرة، بوبكر عتيقة، السياسة الإدارية الفرنسية في الجزائر وتأثيرها على المجتمع الجزائري ما بين 1890-1914، مذكرة ليسانس، قسم العلوم الإنسانية، جامعة حسبية بن بو علي - الشلف، 2013/2012.

42. مبخوت بودواية، مقاومة أولاد سيدي الشيخ في الجنوب الغربي الجزائري ( 1864- 1908 ) ، رسالة ماجستير ، جامعة عين الشمس ، مصر ، 1991-1992.
43. محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر.
44. محمد العربي الزبير، الثورة في عامها الاول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
45. محمد الميل، المؤتمر الاسلامي الجزائري، دار هومة، الجزائر، 2007.
46. محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791-1830)، مطبعة دحلب، الجزائر.
47. محمد صلاح، المرجع السابق، ص 106، أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، دار البصائر، الجزائر، 2007، ج1.
48. محمد صلاح، تاريخ العالم الحديث والمعاصر (1870-1939)، منشورات القضية، الجزائر، 1997 .
49. محمد قنانش، المسيرة الوطنية و أحداث 8 ماي 1945، منشورات دحلب.
50. محمد مبارك الميل، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج3.
51. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الجزء الثاني، المكتب الإسلامي، بيروت دمشق 1399هـ/ 1979 .
52. مصطفى الهشماوي، جذور نوفمبر 1954 في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2010.
53. --نادية طرشون وآخرون، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي، دار هومة، دط، الجزائر، 2007.
54. يحي بو عزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية 1912-1948، ديوان المطبوعات الجامعية.
55. يحي بو عزيز، سياسية التصلب الاستعماري و الحركة الوطنية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
56. يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث، قسنطينة 1980.
57. يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و الحرب العالمية الأولى، دار الهدى، الجزائر، 2004.
58. يحيى بوعزيز ، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية ، ط 1998 ديوان - المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ، بن عكنون ، الجزائر -
59. يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج1،
60. يحيى بوعزيز، أوضاع الجزائر في عهد الداى حسين إلى آخر دايات الجزائر ( 1818-1830)، أوراق عن التاريخ ، جريدة الحوار ، 22 سبتمبر 1994 .
61. يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوربا (1500-1830) .

1. -Hamza Boubakeur , Un Soufi Algérien Sidi Cheik, éditions Maisonneuve et Larose, Paris 1990.
2. -Dans l'extrême sud oranais, un poste dans le bled, en escorte de convoi au Sahara, manuscrit d'un officier anonyme, Paris 1900-1901, 151 pages. Archives de la wilaya d'Oran, cote N°182
3. . Charles Robert Ageron, Histoire de L'algerie, contemporaine 1871-1950, tome 2, pains : puf, 1979,
4. Gilbert Meynier, Histoire interieure du FLN 1954-1962, Casbah Edition, Alger, 2003,
5. Mahfoud kaddache, Mohamed Guenaneche, L'Etoile Nord-Africaine 1926-1937, O.P.U,
6. . Slimane Cheich, L'Algerie en arme ou le temp des certitudes, alger, OPU, 1981,
7. : -Bezy (Le citoyen), Insurrection du sud Oranais, publié par le Citoyen Bezy, - Oran collet 1884

#### الجرائد والمجلات

1. . جريدة البصائر، اجتماع عظيم لم يسبق له نظير، العدد 31، 7 أوت 1936، الجزائر، ص: 1 انظر الملحق:
2. . جريدة البصائر، المؤتمر الإسلامي الجزائري، البشير الإبراهيمي، العدد 23، يوم 12 جوان 1936، الجزائر
3. . جريدة البصائر، تشكيل الوفد، العدد 29، 24 جويلية 1936، الجزائر، ص: 1، للمزيد انظر الملحق: 01
4. . جريدة البصائر، وفد المؤتمر الإسلامي، العدد 30، 31 جويلية 1936، الجزائر، ص: 1، انظر الملحق: 3

الصفحة	العنوان
3-1	- مقدمة
10-4	- الوضع العام في الجزائر قبيل الاحتلال .
18-11	- الحملة الفرنسية على الجزائر.
32-19	- ظهور النزعات الوطنية ودولة الامير عبد القادر ومقاومته
26-19	- مقاومة الامير عبد القادر.
32-27	- مقاومة احمد باي.
48-33	- الثورات الشعبية الاخرى خلال القرن التاسع عشر- المقراني -بوعمامة
35-33	- ثورة المقراني
48-36	- ثورة بوعمامة
53-49	- سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في الجزائر .
68-54	- اوضاع الجزائر من مطلع القرن العشرين الى غاية 1919- سياسيا-اقتصاديا-اجتماعيا
88-69	- حركة الامير خالد
108-89	- دراسات الاحزاب السياسية والجمعيات الوطنية 1926-1939
93-89	- نجم شمال افريقيا
99-94	- حزب الشعب
105-100	- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
108-106	- الحزب الشيوعي الجزائري
114-109	- مشروع بلوم فيوليت
140-115	- المؤتمر الاسلامي
144-141	- قائمة المصادر والمراجع
145	- الفهرس